بحر الكلام

يبحث في بعض الفرق الإسلاميّة
والردّ عليها من الكتاب والسُّنّة

تأليف

الإمام أبي المعين النسفي

ميمون بن محمد بن محمد بن مكحول

المتوفى سنة ٥٠٨ هـ

تحقيق

السّيد يوسف أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، الحمد لله على نعمة الإسلام وتوفيق الإيمان ، لك الحمد يا ربي في الأولى والآخرة ولك الشكر على كل حال .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي المبعوث رحمة للعالمين ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

الصحابة وعلم الكلام :

أطاع الصحابة الكرام أمر رسول الله ﷺ في اجتناب الخوض في الآيات المتشابهات فلم يظهر من يجادل ويبحث فيها وعلة ذلك كما قال السيوطي . انظر صون المنطق (١/٧٦) : كما يذكر ابن عباس رضي الله عنهما : منع وقوع الشك في القلوب .

وكان أول من خالف هذه السنة وسأل عن المتشابه رجل يقال له : عبد الله بن صبيغ ، جعل يسأل عن المتشابه عندما قدم المدينة ، فاستدعاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسأله عن اسمه فلما أخبره ، أخذ عرجونًا من عراجين النخل فضربه حتى دمى رأسه .

ويبدو أن الرجل كان مصممًا على موقفه ، لأنه وعد بترك السؤال ثم عاد إليه ، فطلبه عمر فقال : إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً ، فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين .

أول من صنف في علم الكلام :

كان واصل بن عطاء رأس المعتزلة أول من صنف في علم الكلام والجدال والخصام مع أهل السنة والجماعة[١] .

وقال ابن قتيبة : كان المتناظرون فيما مضى يتناظرون في معادلة الصبر بالشكر ، وفي تفضيل أحدهما على الآخر ، وفي الوساوس والخطرات ، ومجاهدة النفس ، وقمع الهوى فقد

---

(١) السفاريني انظر شرح عقيدته (صـ١٠) .

صار المتناظرون يتناظرون في الاستطاعة والتولد والطفرة والجزء والعرض والجوهر ، فهم دائبون يخبطون في العشوات ، قد تشعبت بهم الطرق وقادهم الهوى بزمام الردى ، (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص ٢٢٤) .

وقال ابن تيمية : وبمتابعة الأزمنة بعد عصر الحجاج نرى أنه كلما بعد الزمن وقل عدد الصحابة والتابعين بعدهم بدأت البدع تظهر تدريجيًا ، لأن نور النبوة في الأصل كان بمثابة الشمس الساطعة التي طمست الكواكب وعاش السلف فيها برهة طويلة ثم حجب بعض نور النبوة . انظر (بغية المرتاد ص ١١٢) .

وبانقضاء دولة الخلفاء الراشدين ، وتولي زمام الحكم من هم أقل منهم مرتبة ظهر أثر ذلك في بعض قضايا أصول الدين مثل ما أثاره الخوارج ، ولما كان ظهورهم آخر حكم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه مرتبطًا بالخلافة أو الإمامة الكبرى فقد تبعه بدع الأحكام والأعمال والصفات ، ثم ظهر الملك على يد معاوية رضي الله عنه وابنه يزيد ، وانشق المسلمون على أثر مقتل الحسين بن علي بالعراق وفتنة الحرة سنة (٣٧هـ) بالمدينة وقيام عبد الله بن الزبير بمكة في وجه بني أمية والمختار بن أبي عبيدة وغيره من الشيعة بالعراق .

وعلى إثر هذه الأحداث الجسام برزت الخوارج والشيعة والقدرية والمرجئة ، وقد قام بعض الصحابة آنذاك بالرد على هذه البدع والوقوف في وجهها .

ويضرب ابن تيمية مثلاً على ذلك بأن القدرية لم يجرءوا على الكلام في الذات أو الصفات الإلهية إلا في أواخر صغار التابعين ، أو في أواخر الدولة الأموية وكانوا قبل ذلك يقتصرون على الكلام في الأحكام والوعد والوعيد .

ثم تأثرت الحياة الدينية في بداية العصر العباسي بعاملين **أحدهما** : ظهور الموالي من غير العرب لا سيما العناصر الفارسية . **والثاني** : ترجمة كتب الفرس والروم والهند .

وكان مما ساعد على قوة هذين العاملين انقضاء عصر التابعين وكذلك تابعو التابعين في أواخر الدولة الأموية ؛ ولذا لم نجد من يقف في وجه هذه التيارات الجديدة التي تسللت إلى المسلمين مثلما فعل الصحابة من قبل .

ويقول الشيخ عبد الحليم محمود بهامش لطائف المنن ص ٥٤ :

ومن توجيه الإسلام أن وجود الله لا ينبغي أن يوضع موضع البحث وكل من وضعه موضع البحث فإنه بذلك يعدل عن توجيه الله تعالى إلى توجيه بشري إنه يبتغي غير الإسلام موجهًا ، ولقد ابتغى المسلمون الأول الإسلام توجيهًا كما ابتغوه مبادئ وسار الأمر على ذلك

إلى أن تسللت الفلسفة اليونانية كميكروب خبيث إلى الجو الإسلامي ، تسللت في عهد المأمون وشجعه على ذلك معتزلة عصره ، وقابل المؤمنون ذلك بكثير من النفور ، وحق لهم ذلك ، فقد رفع المأمون راية الانحراف والوثنية بجوار راية الهداية المعصومة وعارض المؤمنون واحتجوا وبينوا أن الوثنية ولو وافقت الدين فهي وثنية .

أسباب ذم علم الكلام :

يرجع ذم علم الكلام إلى :

١- أغنى الله تعالى المسلمين بكتابه وسنة رسوله ﷺ عن الالتجاء إلى مصادر أخرى لمعرفته تعالى أو إثبات توحيده وصفاته وأسمائه .

٢- أن الرسول ﷺ لم يترك أمرًا من أمور الدين أصوله وفروعه إلا وقد أوضحه وأتم بيانها .

٣- يرى علماء السلف أن علم الكلام بمسائله واصطلاحاته وأبحاثه يعد من قبيل فضول الكلام الذي لا يفيد الاشتغال به ، بل إن العمل به مضيعة للجهد والوقت بعد أن كفانا الله مؤونة العكوف على مسائله بما بين لعباده ما يحتاجون إليه في عاجلهم وآجلهم .

٤- خشية الفتنة بسبب استخدام المصطلحات الكلامية التي لم يأتها الكتاب والسنة . (انظر صون المنطق (١/١١٧)) .

تعريف علم الكلام :

علم الكلام عند ابن خلدون علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة في الاعتقادات على مذاهب السلف وأهل السنة .

أهم موضوعات علم الكلام :

تدور المناقشات في أصول الدين التي يتكلم المتكلمون فيها ويتناظرون عليها حول المسائل الآتية :

١- الرد على الدهرية القائلين بقدم العالم فأخذ المتكلمون يبرهنون على حدوث الأجسام والدلالة على أن للعالم محدثًا هو الله تعالى .

٢- تنزيه الله عز وجل للرد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى ودحض مزاعم القائلين بكثرة الصانعين كالمجوس ، فقد شبه اليهود الله سبحانه وتعالى بصفات المخلوقين وادعى النصارى بالقول بالتثليث ، وقال المجوس بإله النور وإله الظلمة .

٣- إثبات أن الله تعالى عالم قادر حي قيوم وأنه واحد للرد على المعطلة النافين للصفات .

٤- الكلام في رؤية الله عز وجل في الجنة وإثباتها أو نفيها وأن كلام الله مخلوق أو غير مخلوق .

٥- البحث في أفعال العباد وهل هي مخلوقة يحدثها الله تبارك وتعالى أو العباد ، وإذا كانت الاستطاعة قبل الفعل أو معه ؟

٦- الحكم على من مات مرتكبًا الكبائر ، فهل يخلد في النار أو يجوز أن يرحمه الله تعالى ويتجاوز عنه ويدخله الجنة .

٧- الدلالة على النبوة بعامة ردًا على البراهمة وغيرهم من مبطلي النبوة ، والدلالة على نبوة محمد ﷺ بخاصة .

٨- القول في الإمامة ومن يصلح لها ومن لا تصلح له وهل هي قضية مصلحية تتم بأهل الحل والعقد في الأمة أم أنها تتم بالنص ، (الخوارزمي- مفاتيح العلوم ص ١٧ - ١٨) .

حجج المتكلمين في الدفاع عن منهجهم :

يستند علماء الكلام في الدفاع عن مناهجهم إلى الحجج الآتية :

١- أن ظهور علم الكلام في زمن أتباع التابعين استتبعه استحسان وتم تدوينه بالكتب ، فيعد من هذا الوجه من قبيل البدعة الحسنة ، به انزاحت الشبه عن قلوب أهل الزيغ .

٢- إن أدلة العقول لازمة لبيان صحة أصول الدين وحقائقها .

٣- إذا جعل أصل الدين الاتباع- لا العقل- ، فإن ذلك مخالفة للكتاب لأن الله تعالى ذم التقليد في القرآن وندب الناس إلى النظر والاستدلال .

علماء الكلام لدى علماء الحديث والسنة :

ذم علماء الحديث والسنة لعلم الكلام اقتصر على علم الكلام المشحون بالفلسفة والتأويلات الشاذة وصرف الآيات القرآنية عن معانيها الظاهرة .

الإمام أحمد بن حنبل وعلم الكلام :

دخل علم الكلام عند علماء السنة دور التدوين والتبويب منذ الإمام أحمد بن حنبل وصار إمام أهل السنة بسبب صموده ووقوفه أمام مذاهب الاعتزال فأظهر عقيدة الأوائل وشرح ما التبس على أفهام المعتزلة والكشف عن خطأ منهجهم وهو ما أشار إليه في مقدمة كتابه (الرد على الزنادقة والجهمية) فبعد أن حمد الله تعالى الذي جعل في زمان فترة من الرسل بقايا من

أهل العلم الذين يبصرون الناس ويدعونهم إلى الهدى ، أخذ في شرح سمات المعتزلة فوصفهم بأنهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابهة من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم (انظر مقدمة كتاب الرد على الزنادقة والجهمية) وأمام هذه الموجة التي بدأت تهب على عقائد المسلمين رأى علماء الحديث أن واجباتهم تقتضي الوقوف في وجهها وحماية المسلمين منها ، واندفعوا بنية أداء ما أوجبه الله عليهم يقول ابن قتيبة : كما رأيت إعراض أهل النظر عن الكلام في هذا الشأن منذ وقع وتركهم تلقيه بالدواء حيث بدأ إلى أن استحكم أساسه لم أر لنفسي عذرًا في ترك ما أوجبه الله عليَّ بما وهب من فضل المعرفة في أمر استفحل بأن قصر مقصر ، فتكلفت بمبلغ علمي ومقدار طاقتي ما رجوت أن يقضي بعض الحق عني ، لعل الله ينفع به فإنه بما شاء نفع . (انظر الاختلاف في اللفظ ص ٢٢٥) .

وإلى نفس السبب يرجئ الدارمي اضطراره للخوض في علم الكلام إذ إنه يشخص أحوال المسلمين ويفسر تاريخهم طبقًا للقاعدة الشرعية العقلية التي تقتضي بأفضلية أهل العصور الأولى ؛ لأن الله تعالى أثنى عليهم وعلى من بعدهم باتباعهم إياهم فقال : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ وكانت قوة المسلمين المادية والمعنوية كفيلة باختفائهم تخوفًا من الافتضاح ، بل كانوا يتقلبون مع المسلمين في النعم ، ويمضي الدارمي فيقول : لم يزالوا بعد ذلك مقموعين أذلة مدحورين حتى قلت الفقهاء وقبض العلماء فشد ذلك طمع كل متعوذ في الإسلام .

ثم قال الدارمي : فحين رأينا ذلك منهم رأينا أن نبين من مذاهبهم رسومًا من الكتاب والسنة وكلام العلماء ما يستدل به أهل الغفلة من الناس على سوء مذهبهم ، (انظر نقد الدارمي على المريسي ص ٢٥٩) ومن علماء أهل السنة والجماعة الكثير الذين تصدوا لأهل البدع والكلام ومنهم هذا المصنف للكتاب الذي بين أيدينا كتابه (بحر الكلام) لأبي المعين النسفي .

التعريف بالمصنف :

هو الإمام أبو المعين ميمون بن محمد بن محمد بن مكحول النسفي الحنفي(١) ، متكلم فقيه أصولي (٤١٨-٥٠٨) قال في معجم المؤلفين (٦٦/١٣) : متكلم فقيه أصولي كان

---

(١) ترجمته : الجواهر المضية (١٨٩/٢) ، الزركلي في الأعلام (٣٠١/٨) ، إيضاح المكنون (١/ ١٥٦ ، ٥٦٣/٢) ، توضيح المشتبه (٨/ ٣٥ ، ٣٦) ، كشف الظنون (٢٢٤ ، ٣٣٧ ، ٤٨٤ ، ٥٧٠) ، الفوائد البهية (٢١٦ ، ٢١٧) ، هدية العارفين (٤٨٧/٢) .

بسمرقند وسكن بخارى، من تصانيفه :

التمهيد لقواعد التوحيد ، بحر الكلام ، تبصرة الأدلة ، شرح الجامع الكبير للشيباني ، ومناهج الأئمة وكلاهما في فروع الفقه الحنفي .

وقال في توضيح المشتبه (٨/ ٢٣٥، ٢٣٦) : أبو المعين ميمون بن محمد الدربي النسفي ، سمع أبا بكر محمد بن أحمد البلدي ، وعنه السمعاني وابنه عبد الرحيم .

خطة العمل بالكتاب :

وبعد ؛ فقد قمت بالعمل في ذلك الكتاب واستعنت فيه بكتب الصحاح والرجال وآراء علماء أهل السنة والجماعة وكتب الفرق والجماعات الإسلامية وطرح آرائهم والرد عليها والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه راجيًا من الإخوة القراء تقديم النصح لنا في أي خطأ وقعنا فيه فهذا العلم من العلوم التي يتجنب الكثير من العلماء الخوض فيها خوف الفتنة أو الوقوع بقول ما يخالف الدين والشرع والمقرر بالكتاب والسنة وقد تجنبنا فيه بقدر الإمكان الدخول في شبهته بل عرضنا القضايا وآراء العلماء فيه بما يوافق سياق الموضوع فالحمد لله على ما تم وأسأله النجاة من الزلل إنه نعم المولى ونعم النصير .

وأتوجه إلى الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن يجعل ثوابه في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وأهدي عملي هذا إلى روح والديَّ أبي وأمي رحمهما الله سائلاً المولى أن يتغمدهم بواسع رحمته وعظيم عفوه ، وأن يلحقنا بهم على الإيمان والإسلام، وعلى الكتاب والسنة وأن يتوفانا ربنا وهو راض عنا .

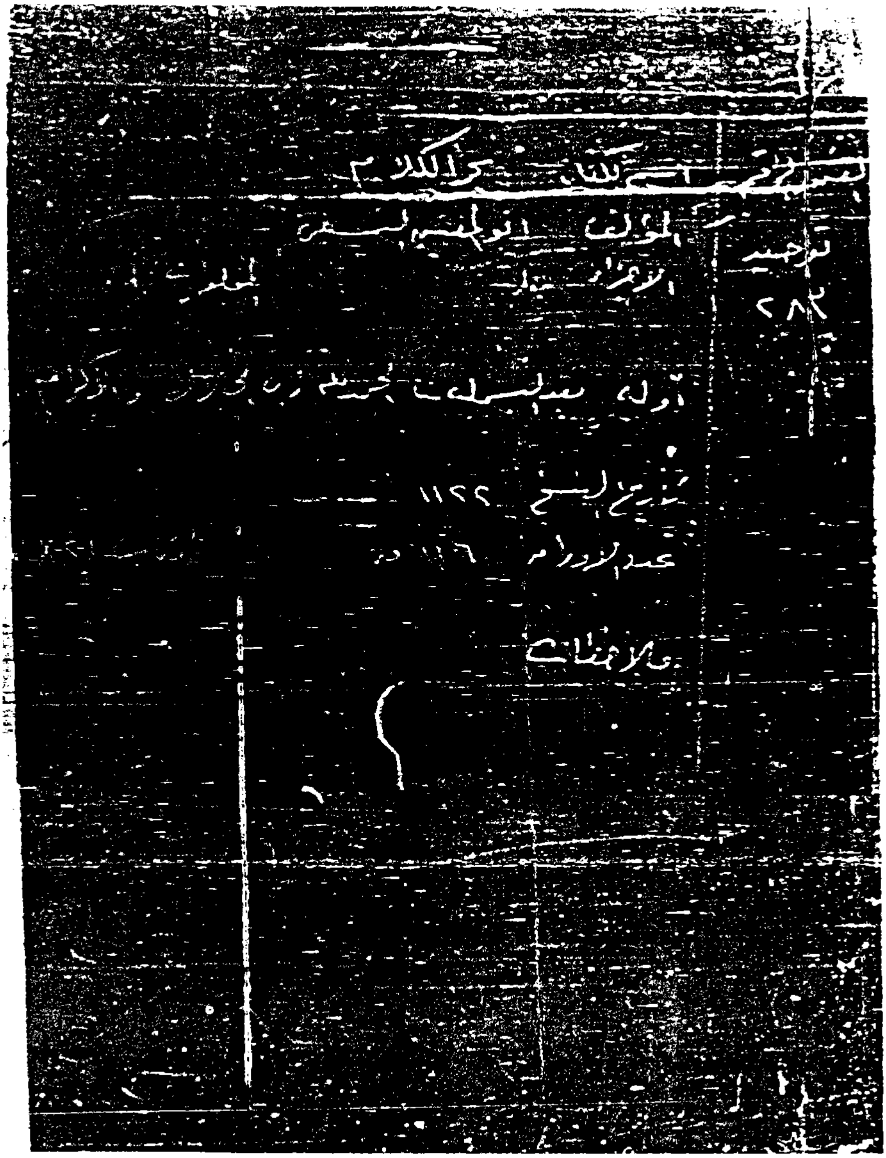
كما أهدي هذا العمل لأولادي الأحباء رنا وأحمد ومحمد وإلى الزوجة العزيزة والحبيبة أم أولادي وشريكة حياتي داعيًا المولى لهم أن يكونوا له طائعين ولطريق الإسلام متبعين إنه على كل شيء قدير .

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾

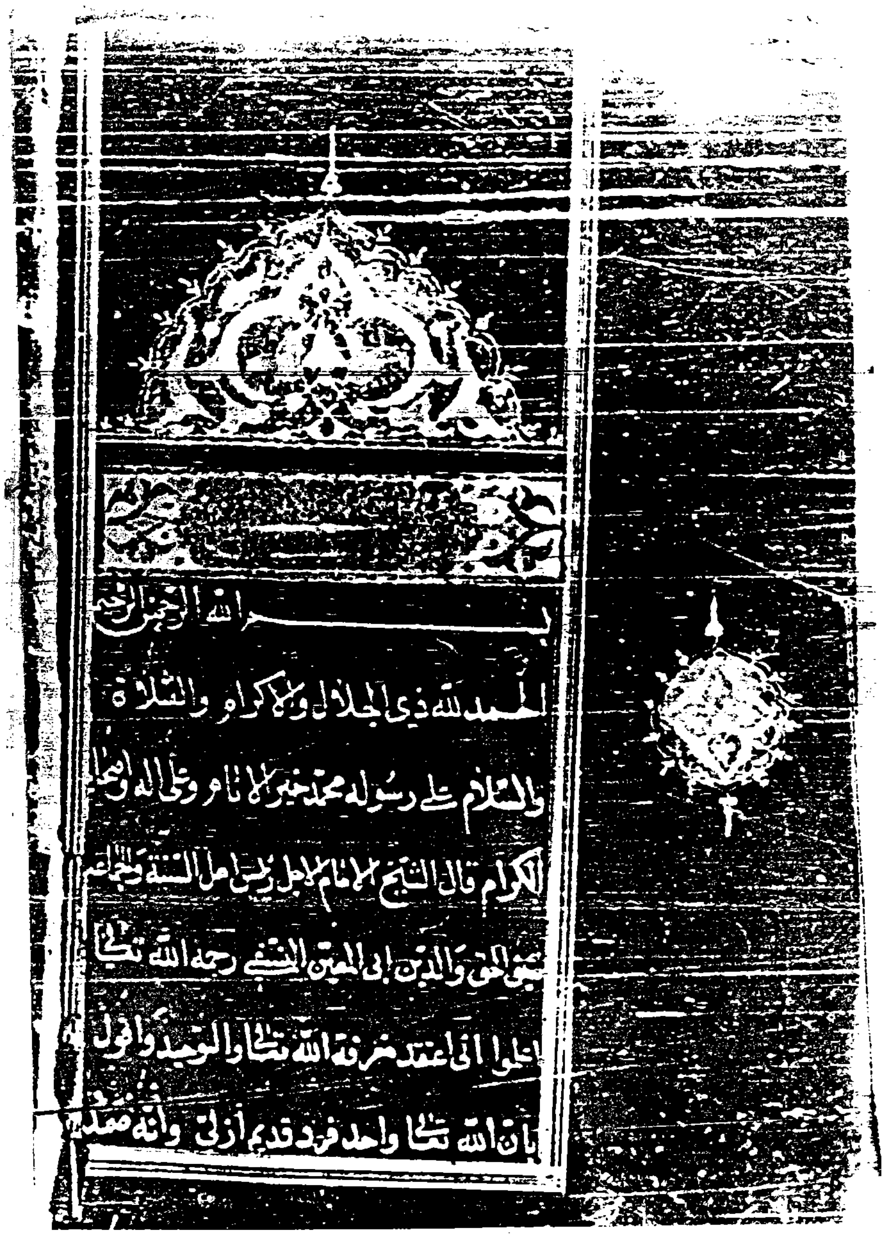
المحقق السيد يوسف أحمد

يوم الإثنين غرة صفر سنة ١٤٢٥ هـ

الموافق ٢٢ من مارس ٢٠٠٤ م



صورة الصفحة الأولى من المخطوط


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الجلال والاكرام والصلاة

والسلام على رسوله محمد خير الانام وعلى اله واصحابه

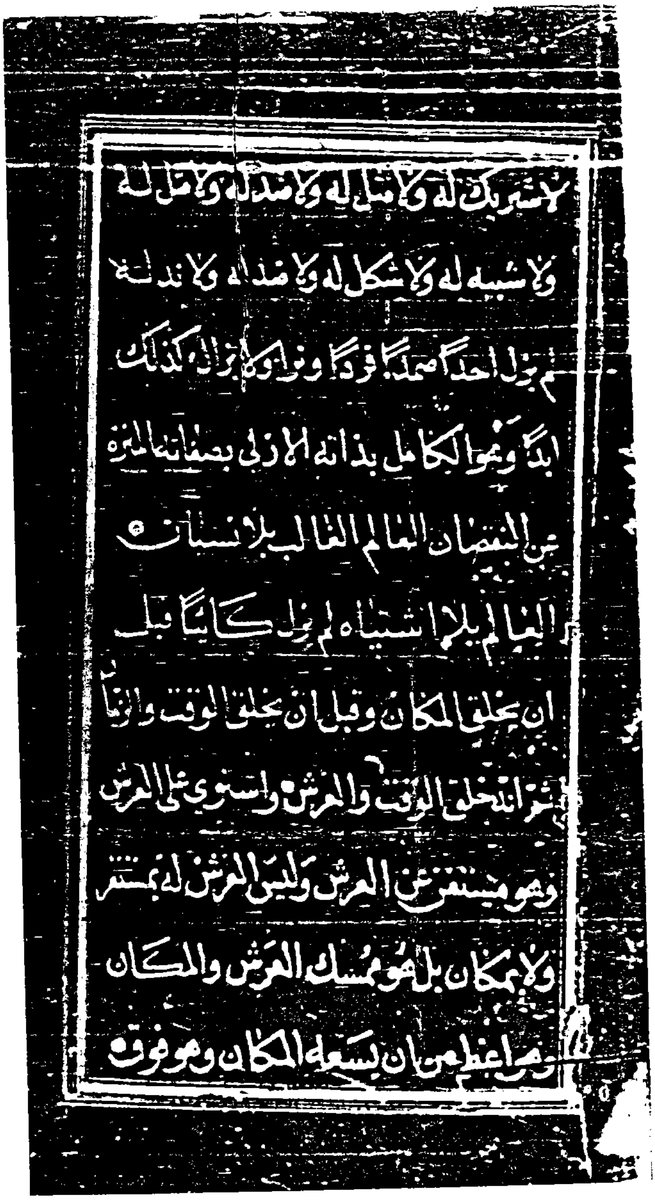
الكرام قال الشيخ الامام الاجل رئيس اهل السنة والجماعة

سيف الحق والدين ابي المعين النسفي رحمه الله تعالى

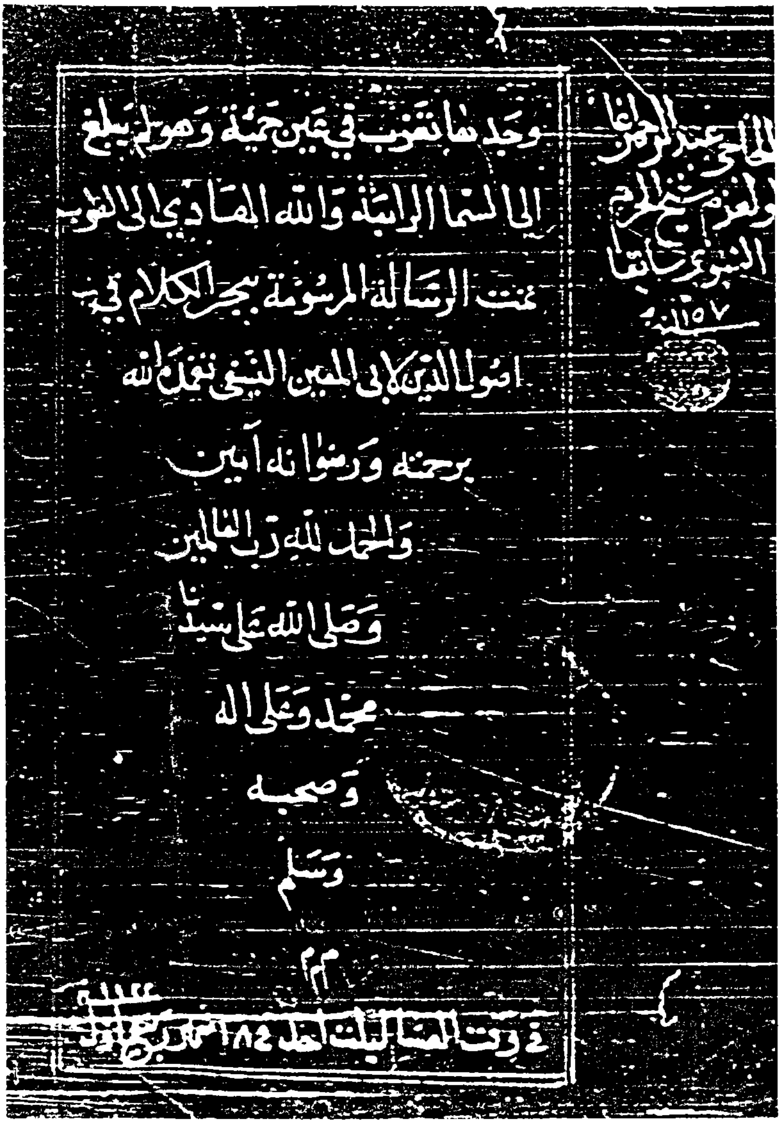
اعلموا اني اعتقد معرفة الله تعالى والتوحيد واقول

بان الله تعالى واحد فرد قديم ازلي وانه صمد

صورة الصفحة الثانية من المخطوط


لا شريك له ولا مثل له ولا ضد له ولا مثل له
ولا شبيه له ولا شكل له ولا ضد له ولا ند له
لم يزل احداً صمداً فرداً ولم يزل ولا يزال كذلك
ابداً وهو الكامل بذاته الازلي بصفاته المنزه
عن النقصان العالم الغالب بلا نسيان
العالم بلا اشتباه لم يزل كائناً قبل
ان يخلق المكان وقبل ان يخلق الوقت وانما
ثم انه خلق الوقت والعرش واستوى على العرش
وهو مستغن عن العرش وليس العرش له بمستقر
ولا بمكان بل هو ممسك العرش والمكان
وهو اعظم من ان يسعه المكان وهو فوق

صورة الصفحة الثالثة من المخطوط


وجدناها تغرب في عين حمئة وهو لم يبلغ
إلى السماء الرابعة والله الهادي إلى الصواب
تمت الرسالة الموسومة ببحر الكلام في
أصول الدين لأبي المعين النسفي تغمده الله
برحمته ورضوانه آمين
والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله
وصحبه
وسلم

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الجلال والإكرام ، والصلاة والسلام على رسوله محمد خير الأنام ، وعلى آله وأصحابه الكرام .

قال الشيخ الإمام الأجل رئيس أهل السنة والجماعة سيف الحق والدين أبي المعين النسفي رحمه الله تعالى : اعلموا أني أعتقد معرفة الله تعالى والتوحيد ، وأقول بأن الله تعالى واحد فرد قديم أزلي ، وأنه صمد لا شريك له ولا مثل له ولا ضد له ، ولا مثيل له ولا شبيه له ولا شكل له ولا ند له .

لم يزل أحدًا صمدًا[1] فردًا وترًا ، ولا يزال كذلك أبدًا وهو الكامل بذاته ، الأزلي بصفاته ، المنزه عن النقصان ، العالم الغالب بلا نسيان ، العالم بلا اشتباه ، لم يزل كائنًا قبل أن يخلق المكان وقبل أن يخلق الوقت والزمان .

ثم إنه خلق الوقت والعرش واستوى على العرش ، وهو مستغن عن العرش ، وليس العرش له بمستقر ، ولا بمكان بل هو ممسك العرش والمكان ، وهو أعظم من أن يسعه المكان وهو فوق كل مكان ، علم ما يكون قبل أن يكون أن لو كان كيف يكون[2] .

قد سبق علمه في الأشياء قبل كونها ، ولا يكون في ملكه شيء إلا بعلمه وإرادته ومشيئته وتقديره وقضائه ، وهو كما وصف نفسه في كتابه ، وكما عرف نفسه من غير رؤية وإحاطة .

فقال جل جلاله لرسوله ﷺ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى تمام السورة .

وهو : إشارة إلى الوجود نقض على المعطلة[3] والباطنية .

---

(١) الصمد هو الملاذ والملجأ والثبات على المبدأ وهو المأمل والمقصد الصامد، لا يفتر العالي ولا يدرك ذو الطول والسؤدد .

(٢) الصمد الذي لم يزل ولا يزال ولا يجوز عليه الزوال ، كان ولا مكان ولا أين ولا أوان ولا عرش ولا كرسي ولا أنس ولا جان وهو الآن كما كان .

(٣) المعطلة هم المعتزلة لأنهم نفوا الصفات القديمة عن الله وعلى رأسهم واصل بن عطاء المتوفى سنة (١٣١) .

بدعوى أنه لو كانت هذه الصفات لشاركت الله في القدم الذي هو أخص الوصف له .

أحدٌ : إثبات وحدانيته نقض على المشركين والوثنية .

الصمد : نقض على المشبهة[1] .

لم يلد ولم يولد : نقض على اليهود والنصارى .

ولم يكن له كفوًا أحد : نقض على المجوس[2] بقولهم (يزدان وإهدمن[3]) كما قال الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ .

فلما تبين وظهر اعتقاده سئل عن معتقده .

وقيل : ما المعرفة ؟ وما التوحيد ؟ وما الإسلام ؟ وما الدين ؟ .

أما المعرفة أن تعترف بالوحدانية ، وأما التوحيد أن تنفي عنه الشريك والأمثال والأضداد .

وأما الإيمان[4] : الإقرار باللسان ، والتصديق بالقلب بوحدانية الله تعالى .

وأما الإسلام : أن تعبد الله بالوحدانية .

= والمعطلة والصفاتية ضدان ، والصفاتية أثبتوا الصفات لله ، وأجروها على ظاهرها أو أولوها فوقع بعضهم في التشبيه .
موسوعة الفرق والجماعات (صـ٣٧٠) .

(١) هم الذين شبهوا الله بالمخلوقات ، وهم جماعة من غلاة الشيعة وأصحاب الحديث الحشوية .
المرجع السابق (صـ٣٥٦) .

(٢) قالوا العالم يحكمه أصلان أو مبدءان أحدهما أزلي قديم والآخر محدث مخلوق مثل الكرماني وكان يقول : إن الله فاض منه العقل الفعال ، وفاض من العقل الفعال العقل المنفعل وهو النفس الكلية ، وفاض منها الهيولى الأولى إلخ ، وقال : إن العقل الأول هو المبدع الأول والعلة الأولى والحي الأول .
المرجع السابق (صـ٣٤٢) .

(٣) كلمة فارسية أظنها : بتعدد الآلهة .

(٤) قال النووي : قال الخطابي البستي : قال الزهري : الإسلام الكلمة والإيمان العمل واحتج بالآية يعني قوله تعالى : ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ وذهب إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد واحتج بقوله تعالى : ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ .
وقال الخطابي : والصحيح أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنًا في بعض الأحوال ولا يكون مؤمنًا في بعضها والمؤمن مسلم في جميع الأحوال فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا .
شرح مسلم للنووي (١/١٣٠) .

وأما الدين : فالثبات على هذه الخصال الأربع إلى الموت .

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ۝ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ .

فصل

اعلم أن المناظرة والجدل في الدين جائزة بخلاف ما قالت المبتدعة أنه لا يجوز ، وإنما يكره المراء والجدال وطلب الجاه والثناء في الدنيا .

فإن قيل : ما حد العلم ؟ .

قال أهل السنة والجماعة[١] : معرفة المعلوم على ما هو به ، وهو علم المخلوقين .

وعلم الله تعالى الإحاطة ، والخبر على ما هو به لأنه لا يوصف بالمعرفة ولأنه لم يزل عالمًا لما بينا ، قال الله تعالى : ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ .

وقالت المعتزلة[٢] : حد العلم معرفة الشيء على ما هو به .

هذا باطل ؛ لأن المعدوم ليس بشيء ولا يقع عليه اسم الشيء ، لأن الله تعالى خلق الأشياء لا من شيء بقوله : ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ، وعندنا بالصنع لا بالقول .

فلو قلنا : إن معرفة الشيء على ما هو به يؤدي إلى قدم الأعيان مع الله تعالى .

وهذا مذهب الدهرية[٣] الكفرة الفجرة ؛ لأن عندهم العالم قديم والله تعالى عالم بعلمه .

---

(١) أهل السنة والجماعة تمسكوا بعروة الإسلام وحبل الدين واجتمعوا في أصولهم غير متفرقين فكانوا هم أهل النجاة لأنهم يرون الجماعة ويستعملون في الأدلة الشرعية كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة والقياس ويجمعون بين جميعها في فروع الشريعة ويحتجون بجميعها وما من فريق من فرق مخالفيهم إلا وهم يردون شيئًا من هذه الأدلة فبان أنهم أهل السنة والجماعة . موسوعة الفرق والجماعات (صـ٧٦) .

(٢) المعتزلة سموا بذلك لأنهم انفصلوا عن أهل السنة وقد يكون سبب ذلك أن واصل بن عطاء اعتزل لأنه انفرد برأي ليس هو رأي الجماعة .
وقيل : إنهم معتزلة لأنهم قالوا بالمنزلة بين المنزلتين أي ابتعدوا عن الخصومات وركنوا إلى الحياد ، فحكموا مثلاً على أصحاب الجمل وأصحاب صفين أن أحدهما مخطئ ولم يحددوا أيهما المخطئ وقالوا أحدهما مخطئ لا بعينه .
موسوعة الفرق والجماعات (صـ٣٦٠) .

(٣) هم فرقة من أهل الغلو ، نفوا الربوبية وجحدوا الصانع المدبر العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم =

وعندنا العلم من صفاته الأزلية ، بخلاف ما قالت المعتزلة أن ذاته علمه .

والله تعالى عالم بذاته ، على ما ذكرنا .

وعندنا هو عالم بعلمه ، والعلم من صفاته الأزلية علم ما يكون قبل أن يكون ، وما لا يكون أن لو كان كيف يكون .

وقد سبق علمه في الأشياء قبل كونها .

قال تعالى : ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ .

وقالت الروافضة[1] والقدرية : إنه لا يعلم الشيء ما لم يخلقه ولم يوجده .

فصل

والعلم أفضل من العقل .

وعقل الأنبياء لا يكون كعقل الأولياء عند أهل السنة والجماعة .

وعقل الأنبياء لا يكون كعقل نبينا محمد ﷺ ، بخلاف ما قالت المعتزلة : الناس كلهم في العقول سواء ، وكل عاقل بالغ يجب عليه أن يستدل بأن للعالم صانعًا ، كما استدل إبراهيم عليه السلام ، وأصحاب الكهف[2] رضي الله عنهم ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ

= يزل موجودًا كذلك بنفسه لا بصانع ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان وكذلك كان وكذلك يكون أبدًا .

وهم ينكرون النبوة والبعث والحساب ويردون كل شيء إلى فعل الأفلاك ولا يعرفون الخير ولا الشر وإنما اللذة والمنفعة .

(١) هم الشيعة الرافضون لإمامة أبي بكر وعمر ، أو أن ابتداءهم كان عندما خرج زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على هشام بن عبد الملك فأراد أنصاره الطعن في أبي بكر فمنعهم وانصرفوا عنه فقال لهم : رفضتموني ؟ فبقي اسم الرافضة عليهم ، وقيل : إنهم الرافضة لأنهم رفضوا الدين بالكلية فقد كفروا الصحابة وأبطلوا الاجتهاد واتهموا القرآن بالتحريف من قبل الصحابة بالنقصان والزيادة وادعوا أن الشريعة كما هي بين أيدي المسلمين ليست هي ما أنزل الله وأسقطوا التكاليف لذلك وأباحوا المحرمات الشرعية وتوسعوا فيها .
موسوعة الفرق والجماعات (ص ٢٢٨، ٢٢٩) .

(٢) ذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل ، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شبابًا ، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل ، وكذا أخبر الله تعالى عن أهل الكهف أنهم كانوا فتية شبابًا آمنوا بربهم واعترفوا له بالوحدانية وشهدوا أنه لا إله إلا هو .
تفسير ابن كثير (٣/٧٦) .

﴿مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذًا شَطَطًا﴾[١] .

أي قولاً بعيدًا عن الحق .

غير أن من لم يبلغه الوحي لا يكون معذورًا .

بخلاف ما قالت المتقشفة والأشعرية[٢] ، لأن المذهب عندنا : الإيمان فعل العبد بهداية الرب جل جلاله .

ولا نقول بأن الإيمان مخلوق أو غير مخلوق ، بل نقول من العبد الإقرار باللسان والتصديق بالقلب ، ومن الله الهداية والتوفيق .

وعند الشافعي[٣] رضي الله عنه العمل بالأركان من الإيمان .

وقالت المتقشفة : الإيمان مجرد القول دون التصديق .

فإن قيل : أهو من الله تعالى إلى العبد ، أو من العبد إلى الله تعالى أو بعضه من الله إلى العبد أو من العبد إلى الله تعالى وبعضه من العبد .

فإن قال : من الله تعالى إلى العبد فهذا قوة لمذهب الجبرية[٤] ، لأنهم قالوا العبد مجبور

---

(١) سورة الكهف (١٤) .

(٢) هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري أبوه هو إسماعيل بن إسحاق كان سنيًا جماعيًا حديثيًا أي على مذهب أهل السنة والجماعة والحديث وتجمع المصادر على أن ميلاده كان بالبصرة سنة (٢٦٠) وتوفي سنة (٣٣٦) وعندهم أن الإيمان هو التصديق بالله فقط ، ولهذا كان الفاسق من أهل القبلة مؤمن بإيمانه ، فاسق بفسقه وكبيرته .
موسوعة الفرق والجماعات (صـ٥٠ ، ٥٢) .

(٣) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، أبو عبد الله الشافعي القرشي المطلبي المكي، أخرج له البخاري تعليقًا ومسلم وأصحاب السنن، وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين، توفي سنة (٢٠٤) وله (٥٤) سنة .
ترجمته : تهذيب التهذيب (٢٥/٩) ، تقريب التهذيب (١٤٣/٢) ، الكاشف (١٧/٣) ، التاريخ الكبير (٤٢/١) ، الجرح والتعديل (١١٣٠/٧) ، سير الأعلام (٥/١٠) .

(٤) قالوا بالإجبار والاضطرار في الأعمال وأنكروا الاستطاعات كلها وأنه لا فعل ولا عمل لأحد غير الله وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به وهذا مذهب الجبرية الخالصة كالجهمية والضرارية والنجارية .
أما الجبرية المتوسطة كالأشعرية قالوا : أفعال العباد مخلوقة لله وليس للإنسان فيها غير اكتسابها أي أن الفاعل الحقيقي هو الله وما الإنسان إلا مكتسب للفعل الذي أحدثه الله على يدي هذا الإنسان . =

على الكفر والإيمان .

وإن قال : من العبد إلى الله تعالى فهذا قوة لمذهب القدرية ؛ لأنهم قالوا : العبد مستطيع بكسب نفسه لنفسه قبل الفعل ولا يحتاج إلى قوة وعون من الله تعالى .

والجواب فيه أن نقول فعل الإيمان ، فعل العبد بهداية الرب جل جلاله .

والتعريف من الله تعالى ، والمعرفة والتعرف من العبد ، والهداية من الله تعالى ، والاهتداء والاستهداء من العبد ، والتوفيق من الله تعالى ، والجد والعزم والقصد من العبد ، والإكرام والإعطاء من الله تعالى ، والقبول من العبد .

فما كان من الله تعالى فهو غير مخلوق ، وما كان من العبد فهو مخلوق .

لأن الله تعالى بجميع صفاته غير مخلوق ، والعبد بجميع صفاته مخلوق[١] .

فكل من لم يميز صفة الله تعالى من صفة العبد فهو مبتدع ضال .

وقال (الفرعوتية)[٢] : الإيمان من الله تعالى إلى العبد وهو غير مخلوق لقوله تعالى : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ .

وأنه غير مخلوق كالقرآن[٣] .

والجواب عنه ما ذكرنا ، فإن قيل : لو كان بعضه من الله وبعضه من العبد لكان مشتركًا

= موسوعة الفرق والجماعات (صـ١٣٥ ، ١٣٦) .

(١) القدرية على عكس الجبرية يقولون : إن الله تعالى غير خالق لأكساب الناس ولا لشيء من أعمال الحيوانات وأن الناس هم الذين يقدرون على أكسابهم ، وأنه ليس لله عز وجل في أكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات صنع وتقدير ولأجل هذا سماهم المسلمون قدرية .
المرجع السابق (صـ١٣٦) .

(٢) كذا بالأصل ولم أقف عليها .

(٣) في محنة خلق القرآن والتي بدأت في نهاية عصر الرشيد وكانت متخفية وذكر الذهبي أن هارون الرشيد قال : بلغني أن بشر بن غياث يقول : القرآن مخلوق ، لله عليّ إن الله أظفرني به لأقتلنه ، وكان بشر متواريًا أيام الرشيد فلما مات ظهر بشر ودعا إلى الضلالة قلت : ثم إن المأمون نظر في الكلام وباعث المعتزلة وبقي يقدم رجلًا ويؤخر أخرى في دعاء الناس إلى القول بخلق القرآن إلى أن قوي عزمه على ذلك في السنة التي مات فيها .
واستمرت المحنة بعد المأمون في عهد المعتصم ثم الواثق ثم ولي جعفر المتوكل فأظهر الله السنة وفرج عن الناس .
انظر تاريخ الإسلام وفيات (٢٤١-٢٥٠) .

بين العبد والرب ، وذلك لا يجوز .

والجواب عنه أن نقول : التعريف من الله تعالى بسبب لنجاة العبد ، والعبد مسَبَّبٌ ، والله تعالى مسَبِّبٌ ، والمسبِّب غير المسبَّب[١] .

كما أن الرزق سبب لبقاء العبد .

وكذلك الوضوء سبب لجواز الصلاة .

ولا يقال بأنه من الصلاة ، فكذلك التعريف من الله تعالى سبب لنجاة العبد ، وهو إعطاء نور في قلب المؤمن فلا يكون مشركًا ونور المعرفة في قلب المؤمن مخلوق .

وهذا يرجع إلى أصل وهو أن الجعل غير المجعول والترزيق غير المرزوق ، والتخليق غير المخلوق والتعريف غير المعرفة ، والتكوين غير المكون وقالت المعتزلة والمتقشفة : كلاهما مخلوقان .

وقالت الفرعاتية : كلاهما غير مخلوق .

وهو التعريف والمعرفة .

وعند أهل السنة والجماعة التعريف من الله تعالى غير مخلوق .

والمعرفة والتعرف من العبد مخلوق .

فإن قيل : ما صفة الإيمان[٢] وما شرائط الإيمان .

---

(١) قالت المعتزلة العبد هو الفاعل للخير والشر ، والإيمان والكفر والطاعة والمعصية وهو المجازى على فعله ، والرب تعالى أقدره على ذلك كله ، فهم لذلك القدرية ، وإذا كان الله تعالى خالقًا لأفعال العباد ، وكان العباد لا فعل لهم بطل التكليف الشرعي ، لأن التكليف طلب والطلب لا بد أن تسبقه القدرة والحرية والاختيار وإذا لم يكن العبد مستقلاً بإيجاده فعله بطل العقاب والثواب الوارد بهما الوعد والوعيد .
موسوعة الفرق والجماعات (ص٣٥٩) .

(٢) قال الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي في حديث سؤال جبريل ﷺ عن الإيمان والإسلام وجوابه قال : جعل النبي ﷺ الإسلام اسمًا لما ظهر من الأعمال وجعل الإيمان اسمًا لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان والتصديق بالقلب ليس من الإسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين ولذلك قال ﷺ : (ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) والتصديق والعمل يتناولها اسم الإيمان والإسلام ، جميعًا يدل عليه قوله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ ، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ .
ثم قال البغوي : فأخبر تعالى أن الدين الذي رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام ولا يكون الدين في =

قلنا : الإيمان أن نؤمن بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله(١) ، والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى عند أهل السنة والجماعة .

وقالت المعتزلة : الشر كله من العبد .

لأن الله تعالى لا يقدر الشر ، ولا يقضي بالشر ، ولا يشاء الشر لأنه لو قضى بالشر ، ثم يعذبهم على ذلك لكان ذلك منه ظلمًا وجورًا والله تعالى منزه عن الظلم والجور .

وسموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد(٢) .

لكنا نقول : العبد مخير مستطيع .

والقضاء لا يجبره على المعصية كالعلم(٣) .

= محل القبول والرضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل .
النووي في شرح مسلم (١/١٣٠) .

(١) انظر حديث عمر فيما رواه مسلم [١-(٨)] كتاب الإيمان ، ١-باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى ، ولفظه عن عمر قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا) قال : صدقت ، قال : فعجبًا له يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرني عن الإيمان قال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن الإحسان قال : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) . . . . . . الحديث .

(٢) يسمون بذلك ويلقبون بالقدرية والعدلية وأصول مذهبهم هي التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن خالفهم في التوحيد سموه مشركًا ومن خالفهم في الصفات سموه مشبهًا ومن خالفهم في الوعيد سموه مرجئًا ومن اكتملت له وتحققت فيه هذه الأصول الخمسة فهو = المعتزلي حقًا فالتوحيد لأنهم نفوا الصفات ، فإثبات صفات أزلية قديمة لله زائدة على ذاته يجعل الصفة تشارك الذات في القدم الذي هو أخص أوصاف الذات ، والاشتراك في الأخص يوجب الاشتراك في الأعم وهذا يعني المماثلة أي أنها تصير آلهة إلى جانب الذات الإلهية وذلك شرك .
والعدل لأنهم قالوا : إن العبد هو الفاعل للخير والشر والإيمان والكفر والطاعة والمعصية وهو المجازى على فعله والرب تعالى أقدره على ذلك كله .
موسوعة الفرق والجماعات (صـ٣٥٨ ، ٣٥٩) .

(٣) قال الخطابي : قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الأمر كما يتوهمونه وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه =

ولأن القضاء صفة القاضي ، والصفة لا تجبر أحد على الفعل ، كالعلم بالخياطة والنجارة .

ولا يجبر الخياط والنجار على تحصيل الفعل .

بل العبد مخير مستطيع .

ولهذا المعنى استحق العبد العقوبة .

كما لو قال المولى لعبده : إن دخلت الدار فأنت حر ، فدخل الدار يعتق .

وكذلك في الطلاق يقع الطلاق والعتق بدخول الدار .

ولا يقال بأن اليمين[١] يدل على الدخول أو أجبره على الدخول .

كذلك هاهنا الفعل ، وإن كان بقضاء الله ، ولكن لا يقال بالقضاء ستر الله تعالى أخفاه عن خلقه فإذا ترك الأمر الظاهر وهو مستطيع .

فكذلك يستحق العقوبة .

فإن قيل : لو قلنا بأن الله تعالى يقضي بالشر والعبد لا يقدر[٢] ولا يمكن أن يفر من قضاء

= وتعالى بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها .
قال : والقدر اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر يقال : قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد ، والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى : ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ أي خلقهن .
النووي في شرح مسلم (١/١٣٩) طبعة دار الكتب العلمية .

(١) قال الشافعية : إذا حلف لا يدخل هذه الدار وهو موجود فيها أو لا يخرج منها وهو خارجها أو لا يتطهر وهو متطهر أو لا يتطيب وهو متطيب فإنه لا يحنث ، لأن استدامة هذه الأشياء لا تسمى فعلاً في العرف .
وقال الحنابلة : إذا حلف لا يدخل دارًا فإنه يحنث إذا دخلها على أي حالة يحنث بدخولها ماشيًا أو راكبًا أو محمولاً ، كما يحنث إذا ألقى بنفسه في ماء متصل بها فجوة إلى الدخول أو تسور حائطًا أو نقبه أو دخل من طاقة فيها أو من باب أو غير ذلك .
انظر الفقه على المذاهب الأربعة (٢/ ١٠٤ ، ١٠٥) .

(٢) مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى على صفات مخصوصة ، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى ، وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم عليه سبحانه وتعالى بها وأنها مستأنفة العلم أي إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علوًا كبيرًا وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر .
النووي في شرح مسلم (١/١٣٨) طبعة دار الكتب العلمية .

الله تعالى ، فيؤدي إلى أن ينسب إلى الله تعالى قلنا : فعل العبد مميز من قضاء الله تعالى ألا ترى أن الله خلق آلة الزنا ، ولا ينسب الزنا إلى الله تعالى(١) .

يدل عليه أن الله تعالى خلق الحركة والقوة في نفس العبد .

والعبد مستطيع باستطاعته نفسه ومشيئته ولا ننسب الحركة والقوة إلى الله تعالى ، وإن كان بقضائه تعالى ومشيئته .

ويدل على صحة ما قلنا أن الله تعالى لو لم يشأ الشر والكفر والمعصية ولا يقضي به .

والعبد يشاؤه ويفعله لغلبة مشيئة العبد على ما يشاؤه الله تعالى ، فيؤدي إلى أن ينسب العجز إلى الله تعالى ، وهذا كفر .

وكل المشيئات تحت مشيئة الله تعالى وإرادته قال الله تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾(٢) .

ويدل عليه لو قال : مشيئتي وإرادتي بغير مشيئة الله وإرادته يكون في ذلك دعوى الربوبية مع اللّه تعالى ، وهذا كفر كما قال علي بن أبي طالب(٣) رضي الله عنه فثبت أن كل مشيئة

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٠- (٢٦٥٧)] كتاب القدر ٥-باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال : (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنى العينين النظر ، وزنى اللسان النطق ، والنفس تمنى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) .
قال النووي : معنى الحديث أن ابن آدم قدر عليه نصيبه من الزنا فمنهم من يكون زناه حقيقيًا بإدخال الفرج في الفرج الحرام ومنهم من يكون زناه مجازًا بالنظر الحرام والاستماع إلى الزنا وما يتعلق بتحصيله أو بالمس باليد أجنبية أو يقبلها أو بالمشي بالرجل إلى الزنا أو النظر أو اللمس أو الحديث الحرام مع أجنبية ونحو ذلك .
شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٦٨ ، ١٦٩) .

(٢) قوله تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ أي من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه منجاة له وهداية ولا هداية فيما سواه ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي ليست المشيئة موكولة إليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين .
تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٠) .

(٣) علي بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو الحسن، أبو تراب الهاشمي ابن عم الرسول ﷺ ، ومن السابقين الأولين وأحد العشرة المبشرين ورابع الخلفاء الراشدين ، وزوج فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، أخرج له أصحاب الكتب الستة ، توفي سنة (٤٠) .

تحت مشيئة الله تعالى .

ولأن الله تعالى علم من فرعون ومن إبليس الكفر .

فلو قلنا بأنه لم يرد منهما الكفر ، ولم يشاء أن تكون إرادته بخلاف علمه .

وهذا لا يجوز لأنه إذا بطل العلم بقى السفه والله تعالى منزه عن السفه والجهل .

وهذا بخلاف الأمر ، لأنه قد جاء النص من الله تعالى أنه لا يأمر بالشر(١) .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ يعني الزنا .

وقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ .

فصار معدولاً عن القياس ، ولأنه يجوز أن يأمر الله تعالى بشيء ولا يريده كإبليس ، أمره بالسجود لآدم ولم يرد منه السجود .

ونهى آدم عن أكل الشجرة ، ولم يرد منه الامتناع ، بل أراد منه أكل الشجرة(٢) .

= ترجمته : تهذيب التهذيب (٣٣٤/٧) ، تقريب التهذيب (٣٩/٢) ، تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٢٥٩) ، تاريخ البخاري الصغير (٤٣٥/١) ، الجرح والتعديل (١٩١/٦) ، أسد الغابة (٩١/٤) ، تاريخ بغداد (١٣٣/١) ، الإصابة (١٠٥/٢) ، البداية والنهاية (٢٢٣/٧) ، تجريد أسماء الصحابة (٣٩٢/١) ، الاستبصار (٣٩٠) ، الحلية (٨٧/٢) .

(١) قال النووي : حديث (القدرية مجوس هذه الأمة) رواه أبو حازم عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أخرجه أبو داود في سننه والحاكم وقال عنه : صحيح على شرط الشيخين ، قال الخطابي : إنما جعلهم ﷺ مجوسًا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة ، يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله تعالى والشر إلى غيره والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر جميعًا .
لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته فهما مضافان إليه سبحانه وتعالى خلقًا وإيجادًا وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلًا واكتسابًا والله أعلم .
شرح مسلم للنووي (١٣٩/١) .

(٢) وذلك في قوله تعالى : ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ .
قال ابن كثير : وقد اختلف في هذه الشجرة ما هي على ستة أقوال فقيل عن ابن عباس هي الكرم وأيضًا عنه هي السنبلة ، وعن أبي مالك هي النخلة ، وعن مجاهد : هي التينة ، وقيل البر ، وعن ابن مسعود هي الحنطة .
مختصرًا عن ابن كثير (٧٩/١) .

فصل

واعلم بأن الله تعالى خلق الخلق وأخرجهم من صلب آدم عليه السلام يوم الميثاق[١] .

ولم يكونوا مؤمنين ولا كافرين .

وكانوا خلقًا ، ثم عرض عليهم الإيمان والكفر .

فكل من اختار الإيمان ، وبقلبه اعتقادًا ، فهو مؤمن .

وكل من لم يختار الإيمان فهو كافر ، وكل من أجاب بالقول دون الاعتقاد ، فهو منافق[٢] لقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ .

ثم الدليل على أن الله تعالى خلق الأجساد مع الأرواح كما هم الآن .

قوله تعالى : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ .

والخطاب والسؤال للأجساد مع الأرواح .

ثم ردهم إلى أصلاب آبائهم .

ثم أخرج أولاد آدم منه .

ثم أخرج أولاد أولاده من أولاده هكذا إلى يوم القيامة .

---

(١) وذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الأعراف (١٧٢-١٧٤) .

وقال ابن كثير : يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه .

تفسير ابن كثير (٢/٢٦٧) .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢٢-(٢٦٥٨)] كتاب القدر ٦-باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : (ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء . . . . . . الحديث) .

قال النووي : أما الفطرة المذكورة في هذه الأحاديث فقال المازري : قيل هي ما أخذ عليهم في أصلاب آبائهم وأن الولادة تقع عليها حتى يحصل التغيير بالأبوين ، وقيل : هي ما قضى عليه من سعادة أو شقاوة يصير إليها .

شرح مسلم للنووي (١٦/١٧٠) .

لأن الله تعالى قال : ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾[(١)] .

قالت الجبرية[(٢)] إن الله تعالى خلق المؤمنين مؤمنين ، وخلق الكافرين كافرين .

وإبليس لم يزل كافرًا ، وأبو بكر[(٣)] (الصديق[(٤)]) وعمر[(٥)] كانا مؤمنين قبل الإسلام .

والأنبياء كانوا أنبياء قبل الوحي[(٦)] .

---

(١) روى الإمام أحمد في مسنده بسنده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام ينعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلاً قال : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا﴾ إلى قوله : ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾) .

(٢) الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى ، والجبرية أصناف فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً .
والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً ، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرًا ما في الفعل ، وسمي ذلك كسبًا فليس بجبري .
انظر الملل والنحل للشهرستاني (٨٥/١) .

(٣) غير موجودة بالأصل .

(٤) أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ اسمه عبد الله ويقال عتيق بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي ، كان أول من آمن من الرجال وقال رسول الله ﷺ : « إن من أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر » ، وتوفي رضي الله عنه سنة (١٣) ، ودفن بجوار رسول الله ﷺ .
تاريخ الإسلام وفيات سنة (١٣) .

(٥) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي أمير المؤمنين أبو حفص القرشي العدوي الفاروق .
أسلم في السنة السادسة من النبوة ، وقال ابن مسعود : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر ، ووافقه الوحي في كثير من المواقف ، وتوفي شهيدًا سنة (٢٣) ودفن بجوار صاحبيه رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه .
تاريخ الإسلام وفيات سنة (٢٣) .

(٦) قال النووي : قال القاضي : لا خلاف أن الكفر عليهم بعد النبوة ليس بجائز بل هم معصومون منه واختلفوا فيه قبل النبوة والصحيح أنه لا يجوز وأما المعاصي فلا خلاف أنهم معصومون من كل كبيرة واختلف العلماء هل ذلك بطريق العقل أو الشرع فقال الأستاذ أبو إسحاق ومن معه ذلك ممتنع من مقتضى دليل المعجزة وقال القاضي أبو بكر ومن وافقه ذلك من طريق الإجماع ، وذهبت المعتزلة إلى أن ذلك من طريق العقل .
وكذلك اتفقوا على أن كل ما كان طريقه الإبلاغ في القول فهم معصومون فيه على كل حال ، وأما =

وكذلك إخوة يوسف ، كانوا أنبياء وقت الكبائر .

وقال أهل السنة والجماعة : صاروا أنبياء بعد ذلك ، وإبليس صار عاصيًا بترك السجدة ، وصار كافرًا بأن لم ير الله حكيمًا فيما أمر .

لأن عندهم الكفار مجبورون على الكفر والمعصية وهم معذورون ، والمؤمنون مجبورون على الطاعة والإيمان .

وإنا نقول : العبد مخير مستطيع على الطاعة والمعصية وليس بمجبور .

والتوفيق والخذلان من الله تعالى ، التقرير للخير والشر من الله تعالى .

والمسألة بتمامها مسطورة في آخر الكتاب يدل عليه قوله تعالى : ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فلو كانوا مؤمنين لم يأمرهم ولم يخاطبهم بالإيمان ويدل عليه قوله عليه السلام(١) : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله)(٢) .

= ما كان طريقه الإبلاغ في الفعل فذهب بعضهم إلى العصمة فيه رأسًا وأن السهو والنسيان لا يجوز عليهم فيه وتأولوا أحاديث السهو في الصلاة وغيرها .

وهذا مذهب الأستاذ أبي المظفر الإسفرائيني وغيره من المشايخ المتصوفة ، وذهب معظم المحققين وجماهير العلماء إلى جواز ذلك ووقوعه منهم ، وهذا هو الحق .

النووي في شرح مسلم (٣/٤٦ ، ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية .

(١) قال النووي في معنى الحديث : قال الخطابي رحمه الله : معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب لأنهم يقولون لا إله إلا الله ثم يقاتلون ، ولا يرفع عنهم السيف ، قال : ومعنى وحسابه على الله أي فيما يستسرون به ويخفونه دون ما يخلون به في الظاهر من الأحكام الواجبة ، قال : ففيه أن من أظهر الإسلام وأسر الكفر قبل إسلامه في الظاهر ، وهذا قول أكثر العلماء .

وذهب مالك إلى أن توبة الزنديق لا تقبل ويحكى ذلك على أحمد بن حنبل رضي الله عنهما .

شرح مسلم للنووي (١/١٨٤) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) أخرجه : البخاري (٢٥) كتاب الإيمان ، باب «فإن تابوا وأقاموا الصلاة» .

ومسلم [٣٥-(٢١)] ، [٣٦-(٢٢)] كتاب الإيمان ٨-باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وأبو داود (٢٦٤٠) كتاب الجهاد ، باب على ما يقاتل المشركون .

والترمذي (٢٦٠٦) ٤١-كتاب الإيمان باب ما جاء أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله .

والنسائي في تحريم الدم ، باب تحريم الدم .

وابن ماجة في الفتن ، باب الكف عمن قال لا إله إلا الله .

=

والمؤمن لم يقاتل[١] .

فإن قيل : إذا كانت الاستطاعة من الله تعالى إلى العبد ، وقت الفعل مقارنًا للفعل لا مقدمته ولا مؤخرته .

والخير والشر والإيمان ، والكفر والطاعة والمعصية بتقدير الله تعالى وقضائه ومشيئته وإرادته وتوفيقه ، وخذلانه وعصمته فبأي سبب يستحق العبد العقوبة والمثوبة .

وإنا نقول : اعلم بأن الأمر بالطاعة من الله تعالى ، والائتمار بالطاعة من العبد[٢] .

والنهي من الله تعالى ، والائتمار من العبد .

والطاقة والقوة من الله تعالى ، والاكتساب والجهد والعزم من العبد .

فمتى وجد منه الجهد والقصد والاكتساب يحصل له القوة والاستطاعة من الله تعالى

= وأحمد في مسنده (٣/٣٣٢) .
والحاكم (٢/٥٢٢) .
والطبراني في المعجم الكبير (٢/١٩٨) .
وابن الأعرابي في معجم شيوخه (١/١٠٧) ، رقم (٩١) ، (١/٣٦٨) رقم (٧٠٩) .
[من تحقيقنا - طبعة دار الكتب العلمية] .

(١) في المرتدين وما كان منهم في عهد الصديق رضي الله عنه وفي معنى الحديث قال النووي : قال الخطابي : مما يجب تقديمه في هذا أن يعلم أن أهل الردة كانوا صنفين : صنف ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا إلى الكفر ، وهم الذين عناهم أبو هريرة من قوله وكفر من كفر من العرب وهذه الفرقة طائفتان : إحداهما أصحاب مسيلمة من بني حنيفة وغيرهم ، وأصحاب الأسود العنسي ومن كان من مستجيبيه من أهل اليمن وغيرهم ، وهذه الفرقة بأسرها منكرة لنبوة نبينا محمد ﷺ مدعية النبوة لغيره فقاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى قتل الله مسيلمة باليمامة والعنسي بصنعاء وانفضت جموعهم والطائفة الأخرى ارتدوا عن الدين وأنكروا الشرائع وتركوا الصلاة والزكاة .
والصنف الآخر هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا الصلاة وأنكروا الزكاة وهؤلاء على الحقيقة أهل بغي .
شرح مسلم للنووي (١/١٨٠) .

(٢) قال الشهرستاني في الملل والنحل (١/٤٧) : قال واصل بن عطاء : إن الباري تعالى حكيم عادل لا يجوز أن يضاف إليه شر ولا ظلم ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر ، ويحتم عليهم شيئًا ثم يجازيهم عليه ، فالعبد هو الفاعل للخير والشر ، والإيمان والكفر والطاعة والمعصية ، وهو المجازى على فعله ، والرب تعالى أقدره على ذلك كله ، وأفعال العباد محصورة في الحركات والسكنات والاعتمادات والنظر والعلم .

مقارنة للفعل فيستحق الثواب والعقاب بفعل نفسه .

وكذلك إعطاء الإيمان من الله تعالى[١] ، والقصد والقبول من العبد .

والهداية والتعريف من الله ، والاهتداء والمعرفة من العبد .

والحرمان من الله تعالى ، والقصد والتضرع والدعاء من العبد .

والخذلان في المعصية من الله تعالى ، والتوبة والاستغفار من العبد .

والنعمة من الله تعالى ، والشكر من العبد .

وإذا وجد منه القصد والنية في المعصية يجري خذلان الله تعالى مع نيته وقصده وعزمه وإذا وجد عزمه ونيته في الطاعة يجري توفيق الله تعالى مع نيته وعزمه[٢] .

فإنما استحق الثواب والعقاب بالجهد والقصد والاكتساب ، وذلك من فعل العبد وصفاته ومن قال غير هذا فهو ضال مبتدع .

وجواب آخر وهو أنه إنما استحق العقاب بترك الأمر والنهي ، وهما ظاهران .

فإن قيل : السعيد هل يصير شقيًا والشقي هل يصير سعيدًا أم لا .

قلنا : من كان في سابق علم الله تعالى أنه شقي أو سعيد .

فإنه لا يتغير ولا يتبدل علمه ولكن لو علم أنه يصير سعيدًا في بعض عمره وشقيًا في بعض

---

(١) قال النظام من شيوخ المعتزلة : إن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي ، وليست هي مقدورة للباري تعالى ، خلافًا لأصحابه فإنهم قضوا بأنه قادر عليها لكنه لا يفعلها لأنها قبيحة ومذهب النظام أن القبح إذا كان صفة ذاتية للقبيح ، وهو المانع من الإضافة إليه فعلًا ، ففي تجويز وقوع القبيح منه قبح أيضًا ، فيجب أن يكون مانعًا ، ففاعل العدل لا يوصف بالقدرة على الظلم ، وزاد على هذا الاختباط فقال : إنما يقدر على فعل ما يعلم أن فيه صلاحًا لعباده ولا يقدر على أن يفعل بعباده في الدنيا ما ليس فيه صلاحهم .
انظر الشهرستاني في الملل والنحل (١/٥٤) .

(٢) قال الجهم بن صفوان : إن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ، ولا إرادة ، ولا اختيار ، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، وتنسب إليه الأفعال مجازًا كما تنسب إلى الجمادات ، كما يقال أثمرت الشجرة وجرى الماء وتحرك الحجر إلى غير ذلك والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال كلها جبر ، قال : وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضًا كان جبرًا .
انظر المرجع السابق (١/٨٧) .

عمره يجوز أن يكون اسمه مكتوبًا في اللوح المحفوظ من الأشقياء أو من السعداء[١] .

ثم يحول ذلك ويكتب من الأشقياء أو من السعداء ؛ لأنا لو قلنا بأن الشقي لا يصير سعيدًا أو السعيد لا يصير شقيًا يؤدي إلى إبطال الكتب والرسل ، وهذا لا يجوز .

فصل

من لم يبلغه الوحي وهو عاقل ولم يعرف ربه هل يكون معذورًا عندنا لا يكون معذورًا ويجب عليه أن يستدل بأن للعالم صانعًا كما استدل أصحاب الكهف حيث قالوا : ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢] وكإبراهيم عليه السلام : ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ إلى قوله تعالى : ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ .

وقالت المعتزلة : لا يجب عليه أن يستدل بالعقل ولكن العقل يوجب أن يعرف الله تعالى .

وقالت الأشعرية[٣] وجماعة من الحنابلة[٤] يكون معذورًا ولا يجب عليه أن يستدل

---

(١) في قوله تعالى : ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ اختلف المفسرون في ذلك فقال الثوري ووكيع وهشيم عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : يدبر أمر السنة فيمحو الله ما يشاء إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت ، وفي رواية ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ قال كل شيء إلا الموت والحياة والشقاء والسعادة فإنهما قد فرغ منهما .
وقال مجاهد ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ إلا الحياة والموت والشقاء والسعادة فإنهما لا يتغيران .
تفسير ابن كثير (٢/ ٥٣٣ ، ٥٣٤) .

(٢) ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم وأنهم خرجوا يومًا في بعض أعياد قومهم ، وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد ، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له دقيانوس وكان يأمر الناس بذلك .
فلما خرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السموات والأرض فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم . . . . . .إلى آخر القصة .
انظر تفسير ابن كثير (٧٦/٣) .

(٣) هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما .

(٤) هؤلاء هم أتباع مذهب أحمد بن حنبل والذي قال فيه الشافعي : أحمد إمام في ثماني خصال : إمام في الحديث ، وإمام في الفقه ، وإمام في اللغة وإمام في القرآن ، وإمام في الفقر ، وإمام في =

وحجتهم ظاهر الآية : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[(١)] .

فصل

من لم يعرف شرائط الإيمان هل يكون مؤمنًا أم لا ؟ .

قالت المعتزلة : لا يكون مؤمنًا ما لم يعرف جميع شرائط الإيمان ، ويصف بلسانه ، ويصدق بقلبه ، ويشهد أن لا إله إلا الله ويشهد أن محمدًا رسول الله ويؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله ودين الإسلام خير من سائر الأديان ، فهو مسلم[(٢)] .

وقالت المعتزلة : ما ذكرنا مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، فإنه ذكر في الجامع الكبير أن من تزوج امرأة صغيرة فأدركت فاستوصفت منها شرائط الإيمان .

فإن وصفت فهي امرأته ، وإن لم تصف أو قالت لا أدري بانت منه إلا أنا نقول : يوصف لها شرائط الإيمان .

فإن علمت فهي امرأته ، وإن لم تعلم أو قالت : لا أدري بانت منه .

ولئن قيل : ما الدليل على أن للعالم صانعًا ؟ .

= الزهد ، وإمام في الورع ، وإمام في السنة .
وقيل فيه : هو إمام وحجة ، وكان شعار أهل السنة أن حب الإمام أحمد علامة السنة ، وبغضه علامة البدعة .
ونقل عنه أصحابه كلامه وفتاويه في ألوف المسائل .
موسوعة الفرق والجماعات (ص١٩٤) .

(١) قال الأشعري : الواجبات كلها سمعية والعقل لا يوجب شيئًا ولا يقتضي تحسينًا ولا تقبيحًا ، فمعرفة الله تعالى بالعقل تحصل ، وبالسمع تجب ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ كذلك شكر المنعم ، وإثابة المطيع ، وعقاب العاصي يجب بالسمع دون العقل .
ولا يجب على الله تعالى شيء ما بالعقل لا الصلاح ولا الأصلح ولا اللطف وكل ما يقتضيه العقل من جهة الحكمة الموجبة ، فيقتضي نقيضه من وجه آخر .
الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٠١ ، ١٠٢) .

(٢) قال الكرامية وبعض المرجئة الإيمان هو الإقرار باللسان دون عقد القلب ومن أقوى ما يرد به عليهم إجماع الأمة على إكفار المنافقين وإن كانوا قد أظهروا الشهادتين ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ هذا آخر كلام ابن بطال .
شرح مسلم للنووي (١٣٢/١) طبعة دار الكتب العلمية .

قلنا : وجود الصنع دليل على وجود الصانع .

وقالت الدهرية والزنادقة[١] وأهل الباطل لعنهم الله تعالى : العالم قديم[٢] .

وكذلك النطفة قديم ، والحب قديم وهو أصل النبت ، وهي من الطبائع الأربعة : برودة الهواء ، وحرارة النار ، ورطوبة الماء ، ويبوسة الأرض ، قلنا لهم إنا رأينا أشياء تتفاصد وتتناثر في الشتاء مثل الأشجار والحشيش والكلأ وبعضها لا يتفاصد كالآس والصنوبر والبقول والزروع .

فلو كان ذلك من طبع وجب أن لا يختلف حكم النبات والزروع .

فلما اختلف دل على أنه من تقرير صانع .

وكذلك رأينا الأشجار في مكان واحد وثمارها وألوانها وطعهما مختلف[٣] .

---

(١) من فرق أهل الغلو ، رفضوا تعاليم الدين بحجة تحرير الفكر ، ونفوا الربوبية عن الخالق ، وقالوا ليس لأحد أن يثبت لنفسه ربًا ، لأن الإثبات لا يكون إلا بعد إدراك الحواس ، وما يدرك ليس بإله ، وما لا يدرك لا يثبت ، ويزعمون أن العالم لم يزل موجودًا كذلك بنفسه لا بصانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة من الحيوان ، وكذلك كان ، كذلك يكون أبدًا ، وهؤلاء هم الزنادقة .
موسوعة الفرق والجماعات (صـ٢٣٥) .

(٢) القول بقدم العالم وأزلية الحركات بعد إثبات الصانع والقول بالعلة الأولى إنما شهر بعد أرسطو ، لأنه خالف القدماء صريحًا ، وأبدع هذه المقالة على قياسات ظنها حجة وبرهانًا ، فنسج على منواله من كان من تلامذته ، وصرحوا القول فيه مثل الإسكندر الأفردوديسي وثامسطيوس ، وفورفوريوس .
وقال أرسطو في قدم العالم : لا يتوهم حدوث العالم إلا بعد أن يتوهم أنه لم يكن فأبدعه الباري تعالى في الحالة التي لم يكن ولا يخلو هنا من حالات ثلاث : إما أن يكون الباري لم يكن قادرًا فصار قادرًا وذلك محال لأنه قادر لم يزل ، وإما أنه لم يرد فأراد وذلك محال لأنه مريد لم يزل ، وإما إنه لم تقتض الحكمة وجوده وذلك محال أيضًا لأن الوجود أشرف من العدم على الإطلاق .
انظر الملل والنحل للشهرستاني (١٥٣/٢) .

(٣) كما قال تعالى : ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ أي هذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزروع في أشكالها وألوانها وطعومها وروائحها وأوراقها وأزهارها ، فهذا في غاية الحلاوة ، وهذا في غاية الحموضة ، وهذا في غاية المرارة ، وهذا عفص ، وهذا عذب ، وهذا جمع هذا وهذا ، ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى ، وهذا أصفر ، وهذا أحمر ، وهذا أبيض ، وهذا أسود ، وهذا أزرق ، وكذلك الزهورات مع أنها كلها تستمد من طبيعة واحدة وهو الماء مع هذا الاختلاف الكثير الذي لا ينحصر ولا ينضبط ففي ذلك آيات لمن كان واعيًا .
تفسير ابن كثير (٥١٤/٢) .

والماء والهواء والأرض وحرارة النار واحد .

فلو كان ذلك من طبع وجب ألا يختلف حكم الثمار والألوان .

فلما اختلف دل على أنه من تقرير صانع قدير وهذه العلة مستنبطة من قول الله تعالى : ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾[١] . . . إلى قوله : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ .

فصل

نقول : أسماء الصفات على وجهين : صفات الذات وصفات الفعل .

أما صفات الذات كالحياة والقدرة والسمع والبصر والعلم والكلام والمشيئة والإرادة[٢] .

وأما صفات الفعل كالتخليق والترزيق والإفضال والإنعام والإحسان والرحمة والمغفرة والهداية .

---

(١) أي يجاور بعضها بعضًا مع أن هذه أرض طيبة تنبت ما ينفع الناس وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئًا هكذا روي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغير واحد ، ويخل في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض فهذه تربة حمراء وهذه بيضاء وهذه صفراء وهذه سوداء وهذه محجرة وهذه سهلة وهذه مرملة وهذه سميكة وهذه رقيقة والكل متجاورات فهذه نصفها وهذه نصفها الآخر فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار لا إله إلا هو ولا رب سواه .
تفسير ابن كثير (٢/٥١٣) .

(٢) قال أبو الحسن الأشعري : الباري تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر ، وله في البقاء اختلاف رأي .
قال : وهذه الصفات أزلية قائمة بذاته تعالى ، لا يقال : هي هو ، ولا هي غيره ، ولا لا هو ، ولا لا غيره ، والدليل على أنه متكلم بكلام قديم ومريد بإرادة قديمة أنه قام الدليل على أنه تعالى ملك ، والملك من له الأمر والنهي فهو آمر ، ناه ، فلا يخلو إما أن يكون آمرًا بأمر قديم أو بأمر محدث .
وإن كان محدثًا فلا يخلو إما أن يحدثه في ذاته أو في محل أو لا في محل ، ويستحيل أن يحدثه في ذاته لأنه يؤدي إلى أن يكون محلاً للحوادث وذلك محال ويستحيل أن يحدثه في محل ؛ لأنه يوجب أن يكون المحل به موصوفًا ويستحيل أن يحدثه لا في محل لأن ذلك غير معقول ، فتعين أنه قديم قائم به صفة له ، وكذلك التقسيم في الإرادة والسمع والبصر قال : وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات : المستحيل والجائز والواجب والموجود والمعدوم وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصلح وجوده من الجائزات ، وإرادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص ، وكلامه واحد هو : أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد .
انظر الشهرستاني في الملل والنحل (١/ ٩٥، ٩٦) .

فنقول : الله تعالى بجميع أسمائه وصفاته واحد وبجميع صفاته وأسمائه قديم أزلي ، صفات الله تعالى وأسماؤه لا هو ولا لا غيره ، كالواحد من العشرة .

ولأنا لو قلنا بأن هذه الصفات غير الله تعالى يؤدي إلى أن يكون إلهين اثنين والله تعالى واحد لا شريك له .

ولو قلنا : إن هذه الصفات غير الله تعالى لكانت هذه الصفات محدثة .

وهذا لا يجوز .

فإن قيل : ما الدليل على أن هذه الصفات قديمات أزليات ، قلنا لهم : لأن الله تعالى لو لم يكن قادرًا في الأزل[١] ، كيف قدر حين خلق القدرة ؟

وكيف قدر حين خلق الحياة والسمع والبصر ؟ .

وكيف علم حيث خلق العلم .

فيؤدي إلى أن يوصف الله تعالى بالعجز قبل ذلك وبالجهل قبل ذلك[٢] .

---

(١) قال الأشعري : وإرادته واحدة قديمة أزلية متعلقة بجميع المرادات من أفعاله الخاصة وأفعال عباده من حيث إنها مخلوقة له لا من حيث إنها مكتسبة لهم فعن هذا قال : أراد الجميع : خيرها وشرها ونفعها وضرها ، وكما أراد وعلم أراد من العباد ما علم ، وأمر القلم حتى كتب في اللوح المحفوظ ، فذلك حكمه وقضاؤه وقدره الذي لا يتغير ولا يتبدل وخلاف المعلوم مقدور الجنس محال الوقوع .
المرجع السابق (٩٦/١) .

(٢) قال إمام الحرمين الجويني : أما نفي هذه القدرة والاستطاعة مما يأباه العقل والحس ، وأما إثبات قدرة لا أثر لها بوجه فهو كنفي القدرة أصلًا ، وأما إثبات تأثير في حالة لا يفعل فهو كنفي التأثير خصوصًا والأحوال على أصلهم لا توصف بالوجود والعدم ، فلا بد إذن من نسبة فعل العبد إلى قدرته حقيقة لا على وجه الإحداث والخلق ، فإن الخلق يشعر باستقلال إيجاده من العدم ، والإنسان كما يحس من نفسه الاقتدار ، يحس من نفسه أيضًا عدم الاستقلال ، فالفعل يستند وجوده إلى القدرة والقدرة يستند وجودها إلى سبب آخر تكون نسبة القدرة إلى ذلك السبب كنسبة الفعل إلى القدرة ، وكذلك يستند سبب إلى سبب آخر حتى ينتهي إلى مسبب الأسباب .
فهو الخالق للأسباب ومسبباتها ، المستغني على الإطلاق ، فإن كل سبب مهما استغنى من وجه محتاج من وجه ، والباري تعالى هو الغني المطلق الذي لا حادة له ولا فقر .
وهذا الرأي إنما أخذه الحكماء الإلهيون وأبرزه في معرض الكلام ، وليس يختص نسبة السبب إلى المسبب على أصله بالفعل والقدرة ، بل كل ما يوجد من الحوادث فذلك حكمه ، وحينئذ يلزم القول بالطبع وتأثير الأجسام في الأجسام إيجادًا ، وتأثير الطبائع في الطبائع إحداثًا ، وليس ذلك مذهب الإسلاميين .

وهذا ممتنع ، والهادي هو الله .

وأما صفات الفعل كالتخليق والترزيق والإفضال والإنعام والإحسان والرحمة والمغفرة والهداية ، كلها قديمات أزليات لا هو ولا لا غيره . على ما مر .

وقالت الأشعرية : إن هذه الصفات كلها محدثة .

وقالوا إنه لو لم يكن خالقًا ولم يكن رازقًا ما لم يرزق الخلق إلا أن يقول :

يجوز أن يسمى خالقًا ، وإن لم يخلق الخلق .

ويسمى رازقًا ، وإن لم يرزق الخلق .

ألا ترى أن واحدًا منا إذا كان قادرًا على الخياطة يسمى خياطًا .

كذلك هاهنا والله تعالى لما كان قادرًا على التخليق والترزيق يسمى خالقًا ورازقًا .

ألا ترى أن الله تعالى سمى نفسه : ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ .

وإن لم يخلق يوم الدين ، لكن لما كان قادرًا على تخليقه وإيجاده سمى نفسه بذلك الاسم كذلك هاهنا ، إلا أن هذا الجواب ليس بمتين والجواب الصحيح أن نقول : إن هذه الصفات قائمة بذات الله تعالى في الأزل لأنها لو لم تكن قائمة بذات الله تعالى في الأزل لكان ذات الله تعالى محلاً للحوادث.

= كيف ورأي المحققين من الحكماء أن الجسم لا يؤثر في إيجاد الجسم ، قالوا : الجسم لا يجوز أن يصدر عن جسم ولا عن قوة ما في جسم ، فإن الجسم مركب من مادة وصورة ، فلو أثر لأثر بجهتيه أعني بمادته وصورته ، والمادة لها طبيعة عدمية فلو أثرت لأثرت بمشاركة العدم ، والتالي محال فالمقدم إذن محال فنقيضه حق ، وهو أن الجسم وقوة ما في الجسم لا يجوز أن يؤثر في جسم .

الملل والنحل الشهرستاني (٩٨/١) .

في الحديث المتقدم (إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة) زاد مسلم (وإن الله وتر يحب الوتر) قال النووي : الوتر الفرد ومعناه في حق الله تعالى الواحد الذي لا شريك له ولا نظير ومعنى يحب الوتر تفضيل الوتر في الأعمال وكثير من الطاعات فجعل الصلاة خمسًا والطهارة ثلاثًا والطواف سبعًا والسعي سبعًا ورمي الجمار سبعًا وأيام التشريق ثلاثًا والاستنجاء ثلاثًا وكذا الأكفان ، وفي الزكاة خمسة أوسق وخمس أواق من الورق ونصاب الإبل وغير ذلك وجعل كثيرًا من عظيم مخلوقاته وترًا منها السموات والأرضون والبحار وأيام الأسبوع وغير ذلك ، وقيل إن معناه منصرف إلى صفة من يعبد الله بالوحدانية والتفرد مخلصًا له والله أعلم .

النووي في شرح مسلم (٦/١٧) طبعة دار الكتب العلمية .

وهذا ممتنع ، والله الهادي .

فصل

اعلم أن الموجودات على ضربين : قديم ومحدث فالمحدث ما سوى الله تعالى .

والقديم هو الله تعالى .

والقديم في اللغة هو المتقدم على غيره في الوجود وهذا من صفات المخلوقين .

أما صفات الله تعالى(١) قديم .

بمعنى أنه لم يزل .

والله تعالى قديم بلا ابتداء ولا انتهاء(٢) .

لم يزل ولا يزال ، لا بمعنى أنه تقدم على غيره في الوجود .

ويدل عليه أنه لو لم نقل : بأن الله تعالى قديم يلزمنا القول بالأحداث والتعطيل .

لأن ضد القديم ، هو المحدث .

والمحدث لا يكون صانعًا خالقًا .

فمن ضرورة نفي الحدوث إثبات القدم .

وبه ورد النص بهذين الاسمين : هو الأول والآخر(٣) .

---

(١) قال النووي : اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين أحدهما : وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء وأنه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة ، وعن سائر صفات المخلوق ، والقول الثاني : إنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفًا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع ذا رياضة في العلم .
شرح مسلم للنووي (١٨/٣) .

(٢) انظر ما يأتي بعد هذا .

(٣) الأول والآخر : الأول : الذي لا شيء قبله ، والآخر : الذي لا شيء بعده ، الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية ، أول كل شيء ، آخر كل شيء ، فما من شيء إلا ومنه بدايته وما من شيء إلا وإليه نهايته ، فمنه المبدأ ، وإليه الملجأ ، الأول وحده ، الآخر وحده ، الأول بلا انتهاء ، والآخر بلا فناء ، أول لا شيء معه ، آخر لا شيء معه . فكل شيء لو عددته جاء منه أولاً ، ولو رتبته عاد إليه آخرًا ، الأول قبل بداية خلقه ، الآخر بعد نهاية خلقه .

=

بمعنى أنه لم يزل بلا ابتداء ولا انتهاء .
ويجوز أن يقال بأن الله تعالى موجود .
لأن الموجود بمعنى أنه لم يزل .
ويجوز أن يقال بأن الله تعالى واحد[(١)] .
وبه ورد النص وهو قوله تعالى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ .
وقوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ .
ومعنى الواحد الموجود الذي لا بعض له ولا انقسام لذاته .
فإن الله تعالى واحد[(٢)] لا من جهة العدد .

= وروي أن أعرابيًا سأل رسول الله ﷺ : أين كان الله قبل الخلق ؟ .
قال الرسول ﷺ : (كان الله ولا شيء معه) .
قال الأعرابي : والآن ؟ .
فقال الرسول ﷺ : (هو الآن على ما عليه كان) .
أسماء الله الحسنى (صـ١٨٩ ، ١٩٠) طبعة دار الأمين .

(١) الواحد : الذي لا شريك له .
الأحد : الذي لا أجزاء له .
الواحد بصفاته .
الأحد بذاته .
الواحد الذي يكفي الكل ، ولا يكفيه الكل .
الأحد فكل واحد ليس بأحد وهو الواحد الأحد .
الواحد فكل واحد له ثان ، وهو الواحد الذي لا ثاني له .
الأحد فكل وحدة أجزاء ، وهو وحدة واحدة ، وحدة كاملة ، وحدة مكتملة ، وحدة لا انفصام لها ، واحد مطلق ، أحد مطلق ، وحدة مطلقة .
المرجع السابق (صـ١٨١) .

(٢) في قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله ، وقوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ قال عكرمة عن ابن عباس : يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم ، وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : هو السيد الذي قد كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار .
تفسير ابن كثير (٤/٥٧٠) .

يدل عليه أنه لو لم يكن واحدًا إلا من جهة العدد لكان إبعاضًا فامتنع أن يكون إلهًا واحدًا .

لا من جهة العدد لأنه يحصل الأحداث والتخليق والاختراع لكل جزء منه ، فيؤدي إلى أن يكون كل جزء منه خالقًا وقادرًا ، وهذا محال .

ويجوز أن يقال : إن الله تعالى شيء .

لأنا لو لم نثبت أنه شيء يلزمنا التعطيل[١] .

لأن ضد الشيء لا شيء .

ومن ضرورة نفي التعطيل إثبات الشيء .

وقالت المعطلة[٢] : لا يجوز أن يقال بأن الله تعالى شيء .

فرارًا عن الشبيه .

فإن قيل : وفي الخبر : « إن لله تسعة وتسعين اسمًا ، من أحصاها دخل الجنة »[٣] .

ونحن قد أحصيناها فلم نجد فيها شيئًا[٤] .

---

(١) المعطلة هم المعتزلة لأنهم نفوا الصفات القديمة عن الله ، وعلى رأسهم واصل بن عطاء المتوفى (١٣١) بدعوى أنه لو كانت هذه الصفات لشاركت الله في القدم الذي هو أخص الوصف له .
والمعطلة والصفاتية ضدان ، والصفاتية أثبتوا الصفات لله ، وأجروها على ظاهرها أو أولوها فوقع بعضهم في التشبيه .
ومعطلة الفلاسفة أنكروا الخالق والبعث والمعاد وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني ، وهم الذين أخبر عنهم القرآن ، ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ (الجاثية ٢٤) إشارة إلى الطبائع المحسوسة في العالم السفلي ، وقصرًا للحياة والموت على تركبها وتحللها ، فالجامع هو الطبع ، والمهلك هو الدهر ، ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ (الجاثية ٢٤) .
موسوعة الفرق والجماعات (صـ٣٧٠) .

(٢) فرقة من المعطلة أنكروا البعث والإعادة وأقروا مع ذلك بالخالق وابتداء الخلق والإبداع وهم الذين أخبر عنهم القرآن ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ (يس ٧٨) وفرقة أنكروا الرسل وأقروا مع ذلك بالخالق وابتداء الخلق وأخبر عنهم القرآن فقال : ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ أي أنهم أنكروا أن يكون الرسول من قبل الله تعالى من البشر يقول القرآن : ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ .
موسوعة الفرق والجماعات (صـ٣٧٠) .

(٣) انظر تخريجه بعد هذا .

(٤) حديث (إن لله تسعة وتسعين اسمًا) أخرجه : البخاري (٣٧٣٦) في الشروط ، ١٨-باب ما يجوز من الاشتراط ، وفي التوحيد ، باب إن لله مائة اسم إلا واحد .
=

والجواب عنه أن نقول : إن الله تعالى سمى نفسه شيئًا قال الله تعالى : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾(١) .

فثبت أنه يجوز إطلاق اسم الشيء على الله تعالى .

ويجوز أن يقال بأن الإنسان نفس عند أهل السنة والجماعة ، لأن النفس يذكر ويراد به الذات والموجود .

قال الله تعالى : ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾(٢) .

أي لذاتي .

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾(٣) .

أي ذاته .

وقوله تعالى : ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾(٤) .

= ومسلم في صحيحه (٦) كتاب الذكر والدعاء ، ٢-باب في أسماء الله تعالى . والترمذي (٣٥٠٨) كتاب الدعوات ، وقال الترمذي : حسن صحيح .
والنسائي في الكبرى في النعوت ، باب قول الله جل ثناؤه ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ذكر أسماء الله تبارك وتعالى .
وابن ماجة في سننه (٣٨٦٠) كتاب الدعاء ، ١٠-باب أسماء الله عز وجل .
وابن الأعرابي في معجم شيوخه (٢٤٤/٢) رقم (١٧٣٥) .
من تحقيقنا - طبعة دار الكتب العلمية .

(١) سورة الأنعام (١٩) .

(٢) سورة طه (٤١).
أي اصطفيتك واجتبيتك رسولاً لنفسي كما أريد وأشاء .
تفسير ابن كثير (١٥٧/٣) .

(٣) سورة آل عمران (٢٨) ، (٣٠) .
أي يحذركم نقمته في مخالفته وسطوته وعذابه لمن والى أعداءه وعادى أولياءه .
وفي تفسير آخر قال تعالى مؤكدًا ومهددًا ومتوعدًا ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أي يخوفكم عقابه .
انظر تفسير ابن كثير (٣٥٧/١) .

(٤) سور المائدة (١١٦) .
النفس الإنسانية جوهر ليس بجسم ولا قائم بجسم وأن إدراكها قد يكون بآلات وقد يكون بذاتها بغير آلات وأنها واحدة وقواها كثير وأنها حادثة مع حدوث البدن وباقية بعد فناء البدن .
وأما البرهان على أن النفس ليس بجسم هو أنا نحس من ذواتنا إدراكًا معقولاً مجردًا عن المواد وعوارضها . الشهرستاني في الملل والنحل المقالة الخامسة (٢٢٢/٢) .

قالت المعتزلة : إذا قلتم بالنفس فقد قلتم بالجسم .

قلنا : الجسم عبارة عن ذات مركب ، قابل لصفة العرض .

والنفس عبارة عن الذات .

ولا يلزم من ضرورة إطلاق اسم النفس عليه تعالى ، إطلاق اسم الجسم عليه .

فإن قيل : نحن نقول بأنه جسم كالأجسام كما إنكم تقولون بأنه شيء كالأشياء .

قلنا : إذا قلتم بالجسم فقد قلتم بالكيفية كما ذكرنا من حد الجسم[١] .

ولا يمكن إثباته في ذات البارئ جل جلاله والله الهادي إلى سبيل الرشاد (.......)[٢] .

لعنهم الله تعالى : يجوز أن يقال بأن الله تعالى نور يتلألأ .

وقال أهل السنة والجماعة : لا يجوز ، بل هو الله تعالى خالق النور ، ومنور النور[٣] .

لأن النور له لون . فلو قلنا بأنه نور يلزمنا التشبه .

والله تعالى منزه عن التشبه .

قال الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ .

---

(١) من المعلوم أن الأجسام تنقسم إلى بسيطة ومركبة وأن لكل جسم حيزًا ما ضرورة فلا يخلو إما أن يكون كل حيز له طبيعيًا أو منافيًا لطبيعته أو لا طبيعيًا ولا منافيًا أو بعضه طبيعيًا وبعضه منافيًا وبطل أن يكون كل حيز له طبيعيًا لأنه يلزم منه أن يكون مفارقة كل مكان له خارجًا عن طبعه أو التوجه إلى كل مكان له ملائمًا لطبعه وليس الأمر كذلك فهو خلف ، وبطل أن يكون كل حيز منافيًا لطبعه لأنه يلزم منه أن لا يسكن جسم البتة بالطبع ولا يتحرك أيضًا .
انظر الشهرستاني في الملل والنحل (٢/٢٠٩) .

(٢) بياض بالأصل أظنها (فصل) ثم قال : (قالت المشبهة) وهي غير موجودة أيضًا .

(٣) النور : هو الظاهر الذي لا يخفى ظهوره ولا ينتهي نوره ولا ينقطع حضوره ، هو سر الحياة في كل حي ومصدر الوجود في كل شيء ، ظاهراً كان أو خفيًا ، كمال ظهوره في تمام نوره ، لذا كان ظهوره في خفائه وكان خفاؤه في ظهوره .
فالعين نور والقلب نور والروح نور وهي من أمر ربي والنور من أمر الله ومن سر الله .
ومثال ذلك الجسم بنيان الله والروح مصباح الله فيه وهي سر الحياة فإذا أطفأ الله هذا المصباح ، حل الظلام مكان النور والموت مكان الحياة .
فالنور إذن هو سر الحياة في الوجود وسر البقاء والخلود .
انظر أسماء الله الحسنى (صـ٢٢٣) .

وهم احتجوا بقوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[(١)] .

سمى نفسه نورًا .

والجواب عنه أن نقول : قال ابن عباس رضي الله عنه : معناه منور السموات والأرض .

(. . . . .)[(٢)] .

ويجوز أن يقال بأن الله تعالى يدًا بالعربية ولا يجوز بالفارسية .

واليد[(٣)] من الصفات الأزلية بلا كيف ولا تشبيه كالسمع والبصر والعلم والقدرة والحياة والإرادة والكلام[(٤)] .

فإن الله تعالى سميع بلا جارحة ، بصير بلا عين ، عالم بلا إله ، مريد بلا قلب ، متكلم بلا لسان وشفتين .

وكذلك اليد من الصفات الأزلية بلا كيف ولا تشبيه ولا جارحة ، فنقر باليد ، والمراد به : ما أراده الله تعالى .

وقالت المعتزلة : المراد من اليد إنما هي القدرة والقوة والنعمة .

---

(١) سورة النور (٣٥) .
وفي معناها قال ابن كثير (٣/٢٩٨) : قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يقول هادي أهل السموات والأرض ، قال ابن جريج قال مجاهد وابن عباس في قوله : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يدبر الأمر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما ، وعن ابن جرير بسنده عن أنس قال : إن الله يقول نوري هدى واختار هذا القول ابن جرير .
وقال السدي في قوله : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فبنوره أضاءت السماوات والأرض .

(٢) بياض بالأصل وأظنها بداية فصل .

(٣) قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ الآية (الفتح ١٠) .
أي هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله ﷺ كقوله تعالى : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ .
تفسير ابن كثير (٤/١٨٥) .

(٤) قال أبو الحسن : الباري تعالى عالم بعلم ، قادر بقدرة ، حي بحياة ، مريد بإرادة ، متكلم بكلام ، سميع بسمع ، بصير ببصر ، وله في البقاء اختلاف رأي ، قال : وهذه الصفات أزلية قائمة بذاته تعالى إلى آخر كلامه وقد تقدم من قبل .
انظر الشهرستاني في الملل والنحل (١/٩٥) .

وقال الله تعالى : ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾(١) .

يعني نعمتاه .

فنقول : لا يجوز أن يقال بأن المراد من اليد إنما هي القدرة والقوة .

لأن الله تعالى قال : ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ لإبليس ﴿أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾(٢) .

ولو كان المراد من اليد إنما هي القدرة والقوة لكان ذلك قوتين وقدرتين .

وهذا لا يجوز ، لأن قوة الله تعالى وقدرته واحدة .

لا يفني ولا ينقطع بخلاف قوة المخلوقين .

لأن صفاتنا أعراض ، والعرض لا ينفي زمانين وقوة الله تعالى وقدرته ليس بعرض ولا ينقطع ولا ينقضي .

وكذلك الكلام بأن الله تعالى متكلم بكلام واحد وكلامه لا ينقطع .

ثم اليد في القرآن على أربعة أوجه منها :

الملك ، كقوله تعالى : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾(٣) أي له الملك .

---

(١) يخبر الله تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة بأنهم وصفوه - تعالى عن قولهم علوًا كبيرًا - بأنه بخيل كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء وعبروا عن البخل بأن قالوا : ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾ .
وعن ابن عباس ﴿مَغۡلُولَةٌ﴾ أي بخيلة .
وقوله تعالى : ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ أي بل هو الواسع الفضل الجزيل العطاء الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه وهو الذي ما بخلقه من نعمة فمنه وحده لا شريك له الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج إليه في ليلنا ونهارنا ، وحضرنا وسفرنا وفي جميع أحوالنا .
تفسير ابن كثير (٢/٧٧) .

(٢) سورة ص (٧٥) .
هذه القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف ، وهاهنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرًا من صلصال من حمإ مسنون ، وتقدم إليهم بالأمر ، متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكرامًا وإعظامًا واحترامًا وامتثالاً لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسًا ، كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه .

(٣) سورة الملك (١) .

ويقال : هذه القرية في يد فلان ، أي في ملكه وتصرفه .

ومنها المنة ، كقوله تعالى : ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي منة الله فوق منتهم .

يعني بالتوحيد .

وقوله تعالى : ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾[١] أي منة الله وأياديه .

وفي الخبر : (اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدًا)[٢] أي منة .

ومنها : المعصية .

كقوله تعالى : ﴿مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[٣] .

ومنها : الجارحة .

وهي اليمين والشمال .

والله تعالى منزه عن (الآخرين)[٤] . (وهذا لي)[٤] ، أي منة الله .

= يمجد تعالى نفسه الكريمة ويخبر أنه بيده الملك أي هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله ، ولهذا قال تعالى : ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ واستدل بهذه الآية من قال إن الموت أمر وجودي وإنه مخلوق .
تفسير ابن كثير (٣٩٦/٤) .

(١) سورة يس (٧١) .
يذكر الله تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخرها لهم ﴿فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ قال قتادة مطيقون أي جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم لا تمتنع منهم بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه ولو شاء لأقامه وساقه وذاك دليل منقاد معه وكذا لو كان القطار مائة بعير أو أكثر لسار الجميع بسير الصغير .
تفسير ابن كثير (٥٩٩/٣) .

(٢) أخرجه : الفتني في تذكرة الموضوعات (١٨٤) ، والعجلوني في كشف الخفا (٣٩٦/١) ، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢١١) ، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٤٨/٦) .

(٣) قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ أي فويل لهم مما كتبوا بأيديهم من الكذب والبهتان والافتراء وويل لهم مما أكلوا به من السحت كما قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم﴾ يقول فالعذاب عليهم من الذي كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ يقول مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم .
تفسير ابن كثير (١١٨/١) .

(٤) كذا بالأصل .

وملائكته توصف بهما بلا كيف ولا تشبيه ولا صورة ولا جارحة ، وهي من الصفات الأزلية .

قالت المشبهة : إن لله تعالى صورة ويدين وقالوا : كلتا يدي الرحمن يمين .

لأن الشمال عيب .

ويقال له ساق وأصابع .

وهم احتجوا بقوله تعالى : ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[1] .

والجواب عنه قوله ﴿قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يعني في ملكه وقدرته .

كما قال : هذه الأرض في قبضتي وملكي ، وهم احتجوا بإثبات الساق بقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[2] .

وفي الخبر : « إن قلوب العباد بين إصبعي الرحمن يقلبهما كيف يشاء »[3] .

وفي الخبر : « إن جهنم تقول يوم القيامة : ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ » .

---

(١) سورة الزمر (٦٧) .

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض) .

وعن البخاري بسنده عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على إصبع وتكون السماوات بيمينه ثم يقول أنا الملك » .

(٢) لما ذكر الله تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام .

وروى البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري قال سمعت النبي ﷺ يقول : « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا » .

وعن ابن المبارك بسنده عن ابن عباس ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال هو يوم القيامة يوم كرب وشدة وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال شدة الأمر ، وقال ابن عباس : هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة . تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٧ ، ٤٠٨) .

(٣) سيأتي تخريجه .

فيضع الرب قدمه[١] فتقول : قط قط يعني حسبي[٢] .

قلنا : أراد بالساق أمرًا عظيمًا صعبًا .

وقال بعضهم : أراد به ساق جهنم .

لما روى في الخبر : «إن لجنهم ثلاثين ألف رأس في كل رأس ثلاثون ألف فم»[٣] .

فكذلك يجوز أن يكون لها ساق .

ويعني الخبر : «إن قلوب العباد بين إصبعي الرحمن»[٤] أراد بهذا الأثر كما ذكر الأصمعي[٥] وهو إمام في اللغة .

---

(١) هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وفيه بيان اختلاف العلماء فيها على مذهبين : أحدهما وهو قول جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها بل نؤمن أنها حق على ما أراد الله ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد .
والثاني : وهو قول جمهور المتكلمين أنها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم هنا المتقدم وهو شائع في اللغة ، ومعناه حتى يضع الله تعالى فيها من قدمه لها من أهل العذاب .
قال المازري والقاضي : هذا تأويل النضر بن شميل نحوه عن ابن الأعرابي .
والثاني : المراد قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم . النووي في شرح مسلم (١٧/١٥١) .

(٢) الحديث أخرجه : البخاري في الأيمان والنذور ، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته .
ومسلم في صحيحه [٣٧-(٢٨٤٨)] كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، وانظر رقم (٣٨) .
والترمذي (٣٢٧٢) كتاب تفسير القرآن باب سورة ق .
وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) الحديث أخرجه : مسلم في صحيحه [١٧-(٢٦٥٤)] كتاب القدر ، ٣-باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص .
والحاكم في مستدركه (٢/٢٨٨) .
وابن أبي عاصم في السنة (١/١٠٠) .
وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٨٩) .

(٥) الأصمعي هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مطهر بن رباح بن عمرو ، أبو سعيد الباهلي الأصمعي ، البصري ، صدوق سني ، كان إمام زمانه في علم اللسان .
توفي سنة (٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٠ ، ٢١٥) أخرج له : مسلم في المقدمة وأبو داود والترمذي .
ترجمته : تهذيب التهذيب (٦/٤١٥) ، تقريب التهذيب (١/٥٢١) ، الكاشف (٢/٢١٣) ، تاريخ =

وقوله حجة ، معناه : بين أثرين من أثر الرحمن وهو التوفيق والخذلان .

فمن وفقه الله تعالى يشتغل عن المعصية .

ومعنى الخبر : « يضع الجبار قدمه فيها »[1] .

بكسر القاف ، وهو الصحيح من الروايات .

معناه من كان في قدم من الكفار .

والله الهادي .

فصل

ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بالمجيء والذهاب لأن المجيء والذهاب من صفة المخلوقين .

وإمارات المحدثين .

وهما صفتان منفيتان عن الله تعالى .

ألا ترى أن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه[2] كيف استدل بالمنتقل من مكان إلى مكان

= البخاري الكبير (٤٢٨/٥) ، تاريخ البخاري الصغير (٣٣٧/٢) ، الجرح والتعديل (١٧١٠/٥) ، ميزان الاعتدال (٦٦٢/٢) ، لسان الميزان (٢٩٢/٧) ، سير الأعلام (١٧٥/١٠) ، الثقات (٨/ ٣٨٩) ، تاريخ أصبهان (١١٩٦) ، ديوان الإسلام (١٩٣) .

(١) تقدم تخريجه وشرح النووي له ، وهناك رأي ثالث على ما تقدم ذكره النووي وهو : أنه يحتمل أن في المخلوقات ما يسمى بهذه التسمية .
شرح مسلم للنووي (١٥١/١٧) .
وفي رواية لمسلم (يضع الله رجله) .
زعم الإمام أبو بكر بن فورك أنها غير ثابتة عند أهل النقل ولكن قد رواها مسلم وغيره وهي صحيحة وتأويلها كما سبق في القدم ويجوز أيضًا أن يراد بالرجل الجماعة من الناس كما يقال رجل من جراد أي قطعة منه .
قال القاضي : أظهر التأويلات أنهم قوم استحقوها وخلقوا لها ، قالوا : ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى .
المرجع السابق (١٥١/١٧) .

(٢) قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي نبين له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما على وحدانية الله عز وجل في ملكه وخلقه وأنه لا إله غيره ولا رب سواه .
وفي قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ أي فلما غاب ، قال قتادة : علم أن ربه دائم =

أنه ليس برب حيث قال : ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ .

ومعنى قوله تعالى : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾[(١)] .

أي أمر ربك .

وقوله تعالى : ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ﴾ .

أي جاء عذاب الله .

أي يعني قتل كعب بن الأشرف لعنه الله .

وقوله تعالى : ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾ .

يعني استهلالهم واستيطالهم ، فلم يبق منهم نافخ نار ، ولا ساكن ديار .

نزلت في نمرود بن كنعان لعنه الله[(٢)] .

= لا يزول .

وقال ابن جرير يقال أفل النجم يأفِل ويأفُل وأفلاً إذا غاب ومنه قول ذي الرمة :

مصابيح ليست باللواتي يقودها ... دياج ولا بالآفلات الزوائل

تفسير ابن كثير (٢/١٥٤) .

(١) سورة الفجر (٢٢) .

يعني لفصل القضاء بين خلقه ، وذلك بعدما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد صلوات الله وسلامه عليه بعدما يسألون أولي العزم من الرسل واحدًا بعد واحد فكلهم يقول لست بصاحب ذاكم حتى تنتهي النوبة إلى محمد ﷺ فيقول : « أنا لها أنا لها » فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يأتي فصل القضاء فيشفعه الله تعالى في ذلك ، وهي أول الشفاعات وهي المقام المحمود .

والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا .

تفسير ابن كثير (٤/٥١٠) .

(٢) هذا الذي حاج إبراهيم في ربه وهو ملك بابل نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ، ويقال نمرود بن فالخ بن عابد بن شالخ بن ارفخد بن سام بن نوح ، والأول قول مجاهد وغيره ، قال مجاهد : وملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة : مؤمنان وكافران المؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين والكافران نمرود وبختنصر والله أعلم .

وروى عبد الرازق بسنده عن زيد بن أسلم أول جبار كان في الأرض النمرود فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكث أربعمائة سنة يضرب على رأسه بالمطارق وأرحم الناس به من جمع يديه فضرب بهما رأسه وكان جبارًا أربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه ثم أماته وهو الذي بنى الصرح إلى السماء الذي قال الله تعالى : ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾ .

انظر تفسير ابن كثير (١/٣١٣) ، (٢/٥٨٤) .

ومعنى قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾(١) .

يعني ما أثبتناه من الدليل أنه لا تشبيه ولا شريك ولا مجيء له .

وينظرون في ظلل من الغمام .

يعتقدون هذا ليؤمنوا به .

وهذا في صفة الله تعالى محال .

ومعنى الخبر : ينزل الله تعالى كل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيقول : هل من تائب فيتاب عليه . . . . . . الحديث »(٢) .

قلنا النزول من الله تعالى الإطلاع والإقبال على عباده حتى ينظر إلى عباده بالرحمة .

هكذا نقل عن علي(٣) رضي الله عنه .

كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(٤) .

ولم يرد به حقيقة الإنزال .

---

(١) سورة البقرة (٢١٠) .

يقول الله تعالى مهددًا للكافرين بمحمد صلوات الله وسلامه عليه : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني يوم القيامة لفصل القضاء بين الأولين والآخرين فيجزي كل عامل بعمله إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر ، ولهذا قال تعالى : ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ .

المرجع السابق (٢٤٨/١) .

(٢) الحديث أخرجه : ابن ماجه في سننه (٤٤٤/١) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، ١٩١-باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان ، عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول ألا من مستغفر لي فأغفر له ألا مسترزق فأرزقه ، ألا مبتلى فأعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر) .

قال في الزوائد : إسناده ضعيف لضعف ابن أبي يسرة ، واسمه أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي يسرة قال فيه أحمد بن حنبل وابن معين : يضع الحديث .

(٣) انظر تخريجه عن علي بن أبي طالب في ابن ماجه كما تقدم قبل هذا .

(٤) سورة الحجر (٩) .

قرر الله تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذكر وهو القرآن وهو الحافظ له من التغيير والتبديل ومنهم من أعاد الضمير في قوله تعالى : ﴿لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ على النبي ﷺ كقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾والمعنى الأول أولى وهو ظاهر السياق .

تفسير ابن كثير (٥٦٣/٢) .

ولكن معناه : وعلمناه وأفهمناه .

كذلك (يعنيها)[١] .

فإن قيل : لو قلنا بأن الله تعالى جسم مركب ليس يضرنا .

قلنا : يضركم ، لأن الجسم عبارة عن مركب ومؤلف فإذا أثبتم الأبعاض فقد قلتم بأنه لا يكون إلهًا واحدًا[٢] .

وقال الله تعالى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[٣] .

فإذا أنكرتم النص فقد كفرتم ، لأنه يؤدي إلى أن يحصل التخليق والترزيق والإحداث والاختراع لكل جزء منه ، ولكل عضو منه .

فيؤدي إلى أن يكون إلهًا واحدًا .

ومن قال بهذا يكفر .

وإذا قلتم بأن بعض أجزائه إله ، وبعضها ليس إله يكون جمعًا بين الخالق والمخلوق ، والرازق والمرزوق .

ومن قال بهذا يكفر .

فإن قيل روي عن النبي ﷺ أنه قال[٤] : «رأيت ربي ليلة المعراج في أحسن صورة ،

---

(١) كذا بالأصل وأظنها (معناها) .

(٢) قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ . . . . الآيات . قال عكرمة : لما قالت اليهود نحن نعبد عزير ابن الله وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله ، وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر ، وقال المشركون نحن نعبد الأوثان أنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ .
يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله .
تفسير ابن كثير (٤/٥٧٠) .

(٣) قوله تعالى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ يخبر تعالى عن تفرده بالإلهية وأنه لا شريك له ولا عديل له بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم .
وقال تعالى : ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ أي معبودكم واحد وإن تنوعت شرائع الأنبياء ونسخ بعضها بعضًا فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له .
انظر تفسير ابن كثير (٣/٢٢٧) ، (١/٢٠١) .

(٤) رواه ابن جرير قال حدثني أحمد بن عيسى التميمي حدثني سليمان بن عمر بن سيار حدثني أبي عن سعيد بن زربي عن عمر بن سليمان عن عطاء عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ (رأيت ربي في =

فقال : يا محمد ، فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ فقلت : لا أدري »[١] .

قلنا : معنى الخبر : (رأيت ربي) يعني سيدي جبريل في أحسن صورة .

وقال بعضهم : رأيت ربي في أحسن صورة .

يعني يدل على صحة ما قلنا .

قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[٢] وإن قرأ المصوِّر بالنصب عمدًا ، يكفر .

وإن أخطأ تفسد صلاته .

ومعنى الخبر أن الله يتجلى لأهل الموقف على صورة لا يعرفونها .

ثم يتجلى على صورة يعرفونها .

= أحسن صورة فقال لي : يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ فقلت لا يا رب فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السماوات وما في الأرض فقلت : يا رب في الدرجات والكفارات ونقل الأقدام إلى الجمعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة . . . . . . الحديث)
وإسناده ضعيف .
وأخرجه : الزبيدي في الإتحاف (٢٢٥/١) .
والخطيب في تاريخ بغداد (١٥٢/٨) .
وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٦/١ ، ١٧ ، ٢٣) .

(١) قال النووي : قال القاضي عياض رحمه الله : اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء فأنكرته عائشة رضي الله عنها وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب رضي الله عنهما والحسن رحمه الله وكان يحلف على ذلك ، وحكى مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة أحمد بن حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أنه رآه ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال : ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله تعالى في الدنيا جائزة وسؤال موسى إياها دليل جوازها .
النووي في شرح مسلم (٣/ ٤ ، ٥) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) الخلق التقدير والبرء هو الفري وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئًا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل .
وقوله تعالى : ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ أي الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقوله تعالى : ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ ولهذا قال المصور : أي الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها .
تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٣، ٣٤٤) .

أي على صورة لا يعرفونه(١) في الدنيا لأنهم عرفوه في الدنيا بالتجاوز والكرم ، فإذا ظهر العدل والسياسة وانشقاق القمر وسقوط النجوم فيقول العباد : يا رب ما عرفناك في الدنيا بهذه الصفة .

ثم يظهر التجاوز والكرم فيقولون : عرفناك بهذه الصفة(٢) .

قالت الكرامية : إن الله تعالى استقر على العرش حتى امتلأ منه ، وحجتهم في ذلك قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ .

قلنا لهم : قال بعض أهل التفسير يعني استولى .

قيل بالفارسية : يرعرش يادشاه است .

يدل عليه قول القائل قد استولى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق .

يعني استولى .

وعن مالك بن أنس(٣) رضي الله عنه إمام دار الهجرة أنه قال : الاستواء غير مجهول ،

---

(١) هذا الحديث أخرجه : مسلم في صحيحه [٢٩٩-(١٨٢)] كتاب الإيمان ، ٨١-باب معرفة طريق الرؤية ، عن أبي هريرة ، من حديث أوله قال رسول الله ﷺ : (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ . . . . . .) وفيه (وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه . . . . . . الحديث بطوله) .

(٢) يقال في قوله ﷺ فيأتيهم اللهم إن الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته إلا بالإتيان فعبر بالإتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازًا ، وقيل الإتيان فعل من أفعال الله تعالى سماه إتيانًا وقيل المراد بيأتيهم الله أي يأتيهم بعض ملائكة الله .
قال القاضي عياض رحمه الله : هذا الوجه أشبه عندي بالحديث قال : ويكون هذا الملك الذي جاءهم في الصورة التي أنكروها من سمات الحدث الظاهرة على الملك والمخلوق قال : أو يكون معناه يأتيهم الله في صورة أي يأتيهم بصورة ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الإله ليختبرهم وهذا آخر امتحان المؤمنين فإذا قال لهم هذا الملك أو هذه الصورة أنا ربكم ، رأوا عليه من علامات المخلوقات ما ينكرونه ويعلمون أنه ليس ربهم ويستعيذون بالله منه . شرح مسلم للنووي (١٨/٣) .

(٣) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان بن حنبل بن عمرو بن الحارث ، أبو عبد الله الأصبحي المدني الفقيه إمام دار الهجرة ، الحميري ، رأس المتقين وكبار المثبتين حتى قال البخاري : أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر ، أخرج له أصحاب الكتب الستة ، توفي سنة (١٧٩) .

والكيفية غير معقول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

وقال للسائل : ما أراك إلا ضالاً وأمره (بالضعف)[١] فإذا هو جهم بن صفوان[٢] .

ولأن الله كان قبل أن يخلق العرش فلا يجوز أن يقال : انتقل إلى العرش[٣] .

لأن الانتقال من صفات المخلوقين وإمارات المحدثين ، والله تعالى منزه عن ذلك .

ولأن من قال بالاستقرار على العرش فلا يخلو إما أن يقول بأنه مثل العرش والعرش أكبر منه ، أو هو أكبر من العرش[٤] .

= ترجمته : تهذيب التهذيب (٥/١٠) ، تقريب التهذيب (٢٢٣/٢) ، الكاشف (١١٢/٣) ، التاريخ الكبير (٣١٠/٧) ، الجرح والتعديل (١/ ١١ ، ٩٠٢/٢) ، سير الأعلام (٤٨/٨)، تراجم الأحبار (٣٢١/٣) ، معجم الثقات (١٨٠) ، نسيم الرياض (١٢/٢) ، الثقات (٣٨٩/٥) ، البداية والنهاية (١٧٤/١٠) ، ديوان الإسلام (١٧٩٩) .

(١) كذا بالأصل .

(٢) الجهم بن صفوان أبو محرز الراسي مولاهم السمرقندي ، المتكلم الضال رأس الجهمية وأساس البدعة ، كان ذا أدب ونظر وذكاء وفكر وجدال ومراء ، وكان كاتبًا للأمير الحارث بن سريح التميمي الذي توثب على عامل خراسان نصر بن سيار .
وكان الجهم ينكر صفات الرب عز وجل وينزهه بزعمه عن الصفات كلها ويقول بخلق القرآن ويزعم أن الله ليس على العرش بل في كل مكان فقيل كان يبطن الزندقة والله أعلم بحقيقته وكان هو ومقاتل بن سليمان المفسر بخراسان طرفي نقيض هذا يبالغ في النفي والتعطيل ومقاتل يسرف في الإثبات والتجسيم .
وكان جهم يقول : ليس الله شيئًا ولا غير شيء .
وكان يقول : إن الإيمان عقد بالقلب وإن كفر بلسانه من تقية أو إكراه وإن عبد الصليب والأوثان في الظاهر .
انظر تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (١٢١-١٣٠) .

(٣) في سؤال الإمام مالك قال الذهبي : قال أبو الربيع بن أبي رشدين نا وهب قال : كنا عند مالك فقال رجل : يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استواؤه ؟ فأطرق مالك وأخذته الرحضاء (وهو العرق) ثم رفع رأسه فقال : الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ، ولا يقال له كيف ، وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة ، أخرجوه ، فأخرج الرجل .
وعن يحيى بن معين كنا عند مالك فجاءه رجل فقال : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوى فذكر نحوه ولفظه ؟ فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول .
انظر تاريخ الإسلام وفيات (١٧١-١٨٠) .

(٤) بالغ بعض السلف في إثبات الصفات إلى حد التشبيه بصفات المحدثات واقتصر بعضهم على صفات دلت الأفعال عليها فافترقوا على فرقتين فمنهم من أوله على وجه يحتمل اللفظ ذلك ، ومنهم من توقف في التأويل وقال : عرفنا بمقتضى العقل أن الله ليس كمثله شيء فلا يشبه شيئًا من =

وأيما كان فقائله كافر ، لأنه جعله محدودًا .

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه سئل أين كان ربنا قبل أن يخلق العرش ؟ .

فقال رضي الله عنه : أين سؤال عن المكان ، وكان الله تعالى ولا مكان ولا زمان ، وهو الآن كما كان .

وعن جعفر الصادق[1] رضي الله عنه أنه قال : التوحيد ثلاثة أحرف : أن تعرف أنه ليس من شيء ، ولا في شيء ، ولا على شيء .

لأن من وصفه أنه من شيء فقد وصفه أنه مخلوق ، فيكفر .

ومن وصفه أنه في شيء فقد وصفه أنه محدود ، فيكفر .

ومن وصفه أنه على شيء فقد وصفه أنه محتاج ، فيكفر .

فالحاصل أن المشبهة[2] يتمسكون بظواهر الآيات نحو قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ .

= المخلوقات ولا يشبهه شيء منها وقطعنا بذلك إلا أنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه مثل قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ومثل قوله تعالى : ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ومثل قوله تعالى : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ إلى غير ذلك .
الشهرستاني في الملل والنحل (٩٢/١) .

(١) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو عبد الله القرشي الهاشمي العلوي ، المدني ، الصادق ، صدوق ، فقيه ، إمام ، أخرج له البخاري في الأدب ومسلم وأصحاب السنن الأربعة ، توفي سنة (١٤٨ ، ١٤٠) .
ترجمته : تهذيب التهذيب (١٠٣/٢) ، تقريب التهذيب (١٣٢/١) ، الكاشف (١٨٦/١) ، تاريخ البخاري الكبير (١٩٨/٢) ، تاريخ البخاري الصغير (٢/ ٧٣، ٩١) ، الجرح والتعديل (١٩٨٧/٢) ، الثقات (١٣١/٦) ، تاريخ خليفة (٤٢٤) ، طبقات خليفة (٢٦٩) ، نسيم الرياض (٩٧/١) ، سير الأعلام (٢٥٥/٦) ، الوافي بالوفيات (١٢٦/١١) ، طبقات ابن سعد (٨٧/٥) ، شذرات الذهب (٢٠/١) ، وفيات الأعيان (٣٢٧/١) .

(٢) قال الشهرستاني في الملل والنحل (١٠٥/١) : أما مشبهة الحشوية فحكى الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكى عن مضر ، وكهمس ، وأحمد الهجيمي أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض .
وحكى الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوز الرؤية في دار الدنيا وأن يزوره ويزورهم وحكى عن داود الجواربي أنه قال : أعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك .
وقال : إن معبوده جسم ولحم ودم وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس ولسان وعينين وأذنين ، ومع ذلك جسم لا كالأجسام ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء وكذلك سائر الصفات .

وقوله تعالى : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[١] .

وبالأخبار المتشابهات نحو قوله ﷺ : (إن الله تعالى خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وخلق جنة عدن بيده ، والعرش واللوح وغرس شجرة طوبى بيده)[٢] .

وفي رواية : (خلق الإبل بيده) .

وعن محمد رحمه الله أنه كان يقول : نؤمن بما جاء من عند الله ولا نشتغل بكيفيته على ما أراد به الله تعالى .

وبما جاء من عند الله على ما أراد به رسول الله ﷺ .

وهو اختيار كثير من كبراء الأئمة وعلماء أهل الملة .

قالت الجهمية[٣] لعنهم الله : إن الله تعالى بكل مكان .

واحتجوا بقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾[٥] .

---

(١) سورة الرحمن (٢٧) .

(٢) قال ابن جرير بسنده عن شهر بن حوشب قال : طوبى شجرة في الجنة كل شجر الجنة منها أغصانها من وراء سور الجنة وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس ومغيث بن سليمان وأبي إسحاق السبيعي وغير واحد من السلف أن طوبى شجرة في الجنة في كل دار منها غصن منها ، وذكر بعضهم أن الرحمن تبارك وتعالى غرسها بيده من حبة لؤلؤة وأمرها أن تمتد فامتدت إلى حيث يشاء الله تبارك وتعالى وخرجت من أصلها ينابيع أنهار الجنة من عسل وخمر وماء ولبن .
تفسير ابن كثير (٢/٥٢٦) .
والحديث أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٢/٦) .
وابن سعد في طبقاته (١/٦) .

(٣) تعتبر الجهمية موافقين للمعتزلة في الصفات الأزلية فقال جهم بن صفوان : لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه ، لأن ذلك يقتضي تشبيهًا فنفى كونه حيًا عالمًا ، وأثبت كونه قادرًا فاعلًا خالقًا لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق ومنها إثباته علومًا حادثة للباري تعالى لا في محل قال : لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه لأنه لو علم ثم خلق ، أفبقي علمه على ما كان أم لم يبق ؟ فإن بقي فهو جهل فإن العلم بأن سيوجد غير العلم بأن قد وجد وإن لم يبق فقد تغير ، والمتغير مخلوق ليس بقديم ووافق في هذا المذهب هشام بن الحكم كما تقرر .
الشهرستاني في الملل والنحل (١/٨٦) .

(٤) سورة الزخرف (١٣٥) .

(٥) سورة الأنعام (٣) .

=

وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[(١)] .

وقوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾[(٣)] الآية .

والجواب عنه أن نقول : قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾[(٤)] .

أي بتقديره وتدبيره .

وقوله عز وجل : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾[(٥)] .

= واختلف مفسرو هذه الآية على أقوال بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية الأول القائلين - تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا - بأنه في كل مكان حيث حملوا الآية على ذلك فالأصح من الأقوال أنه المدعو الله في السماوات وفي الأرض أي يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السماوات ومن في الأرض ويسمونه الله ويدعونه رغبًا ورهبًا إلا من كفر من الجن والإنس وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾ أي هو إله من في السماء وإله من في الأرض وعلى هذا يكون قوله : ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ خبرًا أو حالاً ، والقول الثاني : إن المراد أنه الله الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض من سر وجهر فيكون قوله يعلم متعلقًا بقوله : ﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون .

تفسير ابن كثير (١٢٦/٢) .

(١) سورة النحل (١٢٨) .

(٢) الحديد (٤) .

(٣) سورة المجادلة (٧) .

قال تعالى مخبرًا عن إحاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم وسماعه كلامهم ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ﴾ أي من سر ثلاثة ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ أي مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ورسله أيضًا مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له كما قال تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ .

وحكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في إرادة ذلك ولكن وسمعه أيضًا مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء .

تفسير ابن كثير (٣٢٢/٤) .

(٤) سورة الزخرف (٨٤) .

(٥) هذا أيضًا من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم له وعبادتهم معه غيره =

أي أمنتم من ظهرت آثار قدرته في السماء .

وقوله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[(١)] .

يعني علمه .

وقوله تعالى : ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ .

أي بالعلم .

ولأنا لو قلنا بأنه في المكان يؤدي إلى أمر قبيح لأنه لا يخلو ، إما أن يكون كله بكل مكان ، أو بكل مكان من طريق الأجزاء ، أو بمكان دون مكان[(٢)] .

وباطل أن يكون كله بكل مكان ، لأنه يؤدي إلى أن يكون إلهين اثنين .

ولا أن يكون إلهًا واحدًا .

وباطل أن يكون كله بمكان من طريق الأجزاء ، لأنه من يصف الله تعالى بالأجزاء فإنه يكفر .

وباطل أن يكون بمكان دون مكان[(٣)] .

= وهو مع هذا يحلم ويصفح ويؤجل ولا يعجل ، كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ وقال هاهنا : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ أي تذهب وتجيء وتضطرب .

المرجع السابق (٣٩٨/٤) .

(١) انظر ما تقدم من تخريجها قريبًا .

(٢) كان جهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري سنة (١٢٤) على الزندقة والإلحاد ، والجعد أول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته وكان جهم يخرج بأصحابه فيقفهم على المجذومين ويقول : انظروا أرحم الراحمين يفعل مثل هذا ؟ إنكارًا لرحمته كما أنكر حكمته .

انظر هامش الملل والنحل للشهرستاني (٨٦/١) .

(٣) قال عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق (ص١٢٨) : ووصفه بأنه قادر وموجد وفاعل وخالق ومحيي ومميت ، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده وقال : لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به ، وكان جهم مع ضلالاته التي ذكرتها يحمل السلاح ويقاتل السلطان وخرج مع سريج بن الحارث على نصر بن سيار ، وقتله سلم بن أحوذ المازني في آخر زمان بني مروان .

لأنه يحتاج إلى الانتقال ، وهو من صفات المخلوقين وإمارات المحدثين .

فصل

قالت المعتزلة : لا يجوز رؤية الباري جل جلاله بالأبصار(١) .

وقال أهل السنة والجماعة : يجوز .

وحجتهم قول الله تبارك وتعالى حكاية عن موسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه : ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ .

وكلمة (لن) للتأكيد .

وكذلك قوله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾(٢) .

وكذلك روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ليلة المعراج ؟ .

---

(١) قال النووي : اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً ، وأجمعوا أيضًا على وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين وزعمت طائفة من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلاً ، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح .
وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابيًا عن رسول الله ﷺ .
شرح مسلم للإمام النووي (٣/ ١٤ ، ١٥) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) سورة الأنعام (١٠٣) .
وفي الآية أقوال للأئمة من السلف : أحدها :
لا تدركه في الدنيا وإن كانت تراه في الآخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من غير ما طريق ثابت في الصحاح والمسانيد والسنن كما قال مسروق عن عائشة أنها قالت : من زعم أن محمدًا أبصر ربه فقد كذب . وفي رواية : على الله فإن الله تعالى قال : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ .
وخلافها ابن عباس فعنه إطلاق الرؤية وعنه أنه رآه بفؤاده مرتين والمسألة تذكر في أول سورة النجم . إن شاء الله .
وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من الآية أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله .
تفسير ابن كثير (٢/١٦٥) .

قال : (لا)[١] .

وحجتهم العقلية وهو أنه لو قلنا بأنه يرى فيؤدي إلى إثبات الجهة ، والجهة منفية عن الله عز وجل .

وحجتنا قوله تعالى عن موسى عليه السلام قال : ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ .

فلولا أن موسى عليه السلام علم جواز رؤية الباري لما سأله .

لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون من أن يسألوا سؤالاً مستحيلاً[٢] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٣] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾[٤] .

فلو اشتهى أهل الجنة الرؤية ولم يرو يؤدي إلى الخلف في كلام الله تعالى[٥] .

---

(١) حديث عائشة : أخرجه : مسلم [٢٨٧-(١٧٧)] كتاب الإيمان ، ٧٧-باب معنى قول الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ؟
قال النووي : قال صاحب التحرير : وقد قال معمر بن راشد : حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس : ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ، ثم إن ابن عباس أثبت شيئًا نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي .

(٢) قال النووي : الراجح عند أكثر العلماء أن الرسول ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره .
وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله ﷺ هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه ثم إن عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله ﷺ ولو كان معها في حديث لذكرته وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات .
شرح مسلم للنووي (٣/٥) طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) سورة القيامة (٢٢ ، ٢٣) .

(٤) سورة فصلت (٣١) .

(٥) احتجاج عائشة بعدم رؤية النبي ﷺ ربه بقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الآية .
فالجواب عنه من أوجه : أحدها : أنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير الكلام .
الثاني : أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة .
الثالث : ما قاله بعض العلماء أن المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وهذا الذي قاله هذا القائل وإن كان محتملاً ، ولكن الجمهور على أن المراد بالوحي هنا الإلهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحيًا .
النووي في شرح مسلم (٣/٦) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[١] .

وكذلك روي عن النبي ﷺ أنه قال : (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ، لا تضامون في رؤيته)[٢] .

أي لا تزاحمون في رؤيته .

وكذلك قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٣] .

والمراد بالزيادة رؤية الله تعالى .

وكذلك روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : سألت النبي ﷺ هل رأيت ربك ليلة المعراج ؟ .

قال : نعم .

والجواب عن إشكالاتهم : أما قوله تعالى : ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ، قلنا : لا نسلم أن كلمة لن للتأبيد هنا بل هي للتوقيت[٤] .

---

(١) سورة الكهف (١١٠) .

(٢) رواه مسلم [٢٩٩-(١٨٢)] كتاب الإيمان ، ٨١-باب معرفة طريق الرؤية .
قال النووي : قوله ﷺ : (هل تضارون في القمر ليلة البدر) وفي الرواية الأخرى (هل تضامون) ، وروي تضارون بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيهما ومعنى المشدد هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخفائه كما تفعلون أول ليلة من الشهر ومعنى المخفف هل يلحقكم في رؤيته ضير وهو الضرر وروى أيضًا تضامون بتشديد الميم وتخفيفها فمن شددها فتح التاء ومن خففها ضم التاء ومعنى المشدد هل تتضامون وتتلطفون في التوصل إلى رؤيته ومعنى المخفف هل يلحقكم ضيم وهو المشقة والتعب .
شرح مسلم للنووي (٣/ ١٦ ، ١٧) .

(٣) سورة يونس (٢٦) .
روى أحمد في مسنده بسنده عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه ، فيقول وما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟ قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم » .

(٤) رؤية الله تعالى في الدنيا فقط قدمنا أنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا وحكم الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الإمام أبي =

وهذا لأن الله تبارك وتعالى أخبر أن الكفار لا يتمنون الموت بقوله تعالى : ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[١] .

ثم أخبر الله تعالى أنهم يتمنون الموت بقوله تعالى : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[٢] .

فعلم أن كلمة (لن) ليست للتأبيد .

وكذلك قوله تعالى خبرًا عن مريم : ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[٣] .

ومع هذا يقتضي التأبيد .

وأما قوله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[٤] .

قلنا : النص يقتضي انتفاء الإدراك ، ولا يقتضي انتفاء الرؤية .

وأما حديث عائشة رضي الله عنها .

= بكر بن فورك أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري أحدهما وقوعها ، والثاني : لا تقع ، ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضًا بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط .
النووي في شرح مسلم (١٥/٣) .

(١) سورة البقرة (٩٥) .

(٢) سورة الزخرف (٧٧) .
﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ وهو خازن النار .
قال البخاري بسنده عن صفوان بن يعلى عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي يقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه فإنهم كما قال تعالى : ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ وقال عز وجل : ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك : ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ قال ابن عباس : مكث ألف سنة ثم قال : إنكم ماكثون ، رواه ابن أبي حاتم . أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها .
تفسير ابن كثير (١٣٥/٤) .

(٣) سورة مريم (٢٦) .

(٤) قال النووي : فأما احتجاج عائشة بقول الله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فجوابه ظاهر فإن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط به ، وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة .
النووي في شرح مسلم (٦/٣) طبعة دار الكتب العلمية .

قلنا : النبي ﷺ أخبر أنه لا يرى في الدنيا ، ولكن لم قلتم إنه لا يرى في الآخرة[١] .

وأما قولهم لو قلنا بأنه يرى يؤدي إلى إثبات الجهة .

قلنا : هذا إذا كان ؛ كان المرئي في الجهة .

أما إذا لم يكن في الجهة فلا يؤدي إلى إثبات الجهة ، والأول والثاني ممنوع .

ولكن المرئي هاهنا ليست في الجهة ، فلا يلزمنا من ضرورة انتفاء الجهة انتفاء الرؤية[٢] .

وصار هذا كما قلنا في العلم : القرآن كلام الله تعالى وصفته ، والله تعالى بجميع صفاته قديم غير محدث ولا مخلوق بلا حرف ولا صوت ولا مقاطع ولا مبادئ له ، لا هو ولا غيره .

فأسمعه جبريل عليه السلام بالصوت والحروف[٣] ، فخلق صوتًا وحرفًا وأسمعه بذلك

---

(١) قال صاحب التحرير :
إن حديث عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي ﷺ يقول : لم أر ربي وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ ، ولقول الله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة ، وإذا صحت الروايات عن ابن عباس في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وإنما يتلقى بالسماع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد .
النووي في شرح مسلم (٣/٦) .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢٨٠-(١٧٤)] كتاب الإيمان ٧٦- باب في ذكر سدرة المنتهى ، عن ابن مسعود : أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح ، وذلك في قوله تعالى : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ .
وقال النووي : هذا الذي قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هو مذهبه في هذه الآية وذهب الجمهور من المفسرين إلى أن المراد أنه رأى ربه سبحانه وتعالى .
ثم اختلف هؤلاء فذهب جماعة إلى أنه ﷺ رأى ربه بفؤاده دون عينيه وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينيه .
شرح مسلم للنووي (٣/٧) .

(٣) قال المشبهة في القرآن : إن الحروف والأصوات والرقوم المكتوبة قديمة أزلية وقالوا : لا يعقل كلام ليس بحروف ولا كلم ، واستدلوا بأخبار منها ما رووا عن النبي عليه الصلاة والسلام : (ينادي الله تعالى يوم القيامة بصوت يسمعه الأولون والآخرون) قالوا : وأجمعت السلف على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال هو مخلوق فهو كافر بالله ولا نعرف من القرآن إلا ما هو بين أظهرنا فنبصره ونسمعه ونقرؤه ونكتبه .
=

الصوت والحروف ، فحفظه جبريل عليه السلام ووعاه ونزله ونقله للنبي ﷺ بإنزال الوحي والرسالة[(١)] .

لا إنزال الشخص والصورة وتلاه على النبي ﷺ ووعاه وتلاه على أصحابه فحفظوه وتلوه على التابعين ، والتابعون على الصالحون ، وهكذا حتى وصل إلينا وهو مقروء بالألسن ومحفوظ في القلوب مكتوب في المصاحف وليس بموضوع في المصاحف[(٢)] .

ولا يحتمل الزيادة والنقصان حتى إن من أحرق المصاحف لا يحترق القرآن .

كما أن الله تعالى مذكور بالألسن معروف في القلوب معبود في الأماكن وليس بموجود في الأماكن ولا في القلوب كما قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[(٣)] .

= أما المعتزلة فوافقونا على أن هذا الذي في أيدينا كلام الله وخالفونا في القدم وهم محجوجون بإجماع الأمة وأما الأشعرية فوافقونا على أن القرآن قديم وخالفونا في أن الذي في أيدينا كلام الله ، وهم محجوجون أيضًا بإجماع الأمة .
الملل والنحل للشهرستاني (١/١٠٦) .

(١) الأشعرية قالوا : إن المشار إليه هو كلام الله فأما إثبات كلام هو صفة قائمة بذات الباري تعالى لا نبصرها ولا نكتبها ولا نقرؤها ولا نسمعها فهو مخالفة الإجماع من كل وجه .
فنحن نعتقد أن ما بين الدفتين كلام الله أنزله على لسان جبريل عليه السلام فهو المكتوب في المصاحف وهو المكتوب في اللوح المحفوظ ، وهو الذي يسمعه المؤمنون في الجنة من الباري تعالى بغير حجاب ولا واسطة وذلك معنى قوله تعالى : ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ وهو قوله تعالى لموسى عليه السلام : «يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾ .
الملل والنحل للشهرستاني (١/١٠٦ ، ١٠٧) .

(٢) قال عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق (صـ١٢٧) المستدركة قوم من النجارية يزعمون أنهم استدركوا ما خفي على أسلافهم لأن أسلافهم منعوا إطلاق القول بأن القرآن مخلوق وزعمت المستدركة أنه مخلوق ثم افترقوا على فرقتين : فرقة زعمت أن النبي ﷺ قد قال : إن كلام الله ذلك مخلوق على ترتيب هذه الحروف ولكنه اعتقد ذلك بهذه اللفظة على ترتيبه حروفها ، ومن لم يقل إن النبي عليه الصلاة والسلام قال ذلك على ترتيب هذه الحروف فهو كافر ، وقالت الفرقة الثانية منهم : إن النبي عليه الصلاة والسلام لم يقل كلام الله مخلوق على ترتيب ولكنه اعتقد ذلك ودل عليه ، ومن زعم أنه قال إن كلام الله مخلوق بهذه اللفظة فهو كافر .

(٣) سورة الأعراف (١٥٧) .
وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء بشروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم .
وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي صخر العقيلي حدثني رجل من الأعراب قال جلبت حلوبة إلى =

وإنما وجدوا نعته وصفته لا شخصه .

وكذلك الجنة والنار مذكورتان عندنا وليستا بذاتهما هذا كله مذهب أهل السنة والجماعة .

ثم نقول : إن الله تعالى كلم جبريل من وراء الحجاب .

وسمع جبريل كلام الله من وراء الحجاب .

وسمع رسول الله ﷺ ليلة المعراج من وراء الحجاب[١] .

وكلم آدم وموسى عليهما السلام من وراء الحجاب ، وكل مرة جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ كان ذلك بأمر الله تعالى ، والله تعالى علم القرآن لجبريل عليه السلام[٢] .

ثم بعد ذلك أمره بأن ينزل على النبي ﷺ آية كذا وسورة كذا .

وكلما أمر جبريل عليه السلام أن ينزل على محمد ﷺ آية من القرآن ، أو كلمة كان ذلك

= المدينة في حياة رسول الله ﷺ فلما فرغت من بيعي قلت لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه قال فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت . . . . . . الحديث وفيه : فقال ابنه : أي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . . . . . . إلى آخر الحديث .

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٨٣-(١٧٥)] كتاب الإيمان ، ٧٧-باب معنى قول الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ؟ ، عن أبي هريرة : ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال : رأى جبريل .
قال النووي : وهكذا قاله أيضًا أكثر العلماء قال الواحدي : قال أكثر العلماء المراد رأى جبريل في صورته التي خلقه الله تعالى عليها ، وقال ابن عباس رأى ربه سبحانه وتعالى وعلى هذا معنى نزلة أخرى يعود إلى النبي ﷺ فقد كانت له عرجات في تلك الليلة لاستحطاط عدد الصلوات فكل عرجة نزلة والله أعلم .
النووي في شرح مسلم (٣/٨) .

(٢) قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ الشعراء (١٩٢-١٩٥) .
قال ابن كثير : ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ وهو جبريل عليه السلام قاله غير واحد من السلف : ابن عباس ومحمد بن كعب وقتادة وعطية والسدي والضحاك والزهري وابن جريج وهذا مما لا نزاع فيه .
قال الزهري وهذه كقوله تعالى : ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ .
تفسير ابن كثير (٣/٣٥٩) .

عبارة عن الكلام القديم ، ولم يكن محدثًا .

لأن كلام الله تعالى غير مخلوق .

وقالت النجارية[١] والمتقشفة والمعتزلة والجهمية : القرآن محدث مخلوق .

وقالوا : القرآن تكلم به ليلة القدر ، ولم يتكلم به قبل ذلك .

وقالوا : القرآن أوامر ونواهٍ[٢] .

وليس من الحكمة أن يأمر المعدوم وينهى عنه وحجة أهل السنة والجماعة في أن كلام الله تعالى غير مخلوق[٣] .

لأنه لو كان مخلوقًا لا يخلو إما أن يكون خلقه في غير ذاته كان به أو في ذاته .

فإن كان مخلوقًا في غير ذاته كان المتكلم به ذلك الذات .

---

(١) هم أصحاب الحسين بن محمد النجار ، وأكثر معتزلة الري وما حواليها على مذهبه ، وهم وإن اختلفوا أصنافًا إلا أنهم لم يختلفوا في المسائل التي عددناها أصولاً ، وهم : برغوثية وزعفرانية ومستدركة ، ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات من العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر ، ووافقوا الصفاتية في خلق الأعمال .

قال الأشعري في مقالات الإسلاميين (٢٨٣/١) : زعم الحسين بن محمد النجار وأصحابه وهم الحسينية أن أعمال العباد مخلوقة لله وهم فاعلون لها وأنه لا يكون في ملك الله سبحانه إلا ما يريد ، وأن الله سبحانه لم يزل مريدًا أن يكون في وقته ما علم أنه يكون في وقته ، مريدًا أن لا يكون ما علم أنه لا يكون .

(٢) قال الشهرستاني في الملل والنحل (٨٩/١) :

انفرد الحسين بن النجار عن المعتزلة بأشياء منها : قوله إن كلام الباري تعالى إذا قرئ فهو عرض وإذا كتب فهو جسم ومن العجب أن الزعفرانية قالت كلام الله غيره ، وكل ما هو غيره فهو مخلوق ، ومع ذلك قالت : كل من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر ، ولعلهم أرادوا بذلك الاختلاف وإلا فالتناقض ظاهر .

وحكى الكعبي عن النجار أنه قال : الباري تعالى بكل مكان ذاتًا ووجودًا لا معنى العلم والقدرة وألزمه محالات على ذلك .

(٣) حكم الجبائي وابنه أن الله تعالى متكلم بكلام يخلقه في محل ، وحقيقة الكلام عندهما أصوات مقطعة وحروف منظومة ، والمتكلم من فعل الكلام لا من قام به الكلام ، إلا أن الجبائي خالف أصحابه خصوصًا بقوله : يحدث الله تعالى عند قراءة كل قارئ كلامًا لنفسه في محل القراءة ، وذلك حيث ألزم أن الذي يقرأه القارئ ليس بكلام الله والمسموع منه ليس من كلام الله فالتزم هذا المحال من إثبات أمر غير معقول ولا مسموع وهو إثبات كلامين في محل واحد .

الشهرستاني في الملل والنحل (٨١/١) .

لأن المتكلم به اسم من قام به صفة الكلام قائم بذلك الذات كالأسود والأحمر ، واسم الشخص الذي قام به صفة السواد والحمرة ولا وجه إلى أن خلقه في ذاته لأنه حينئذ تكون ذاته محلًا للحوادث .

فتكون ذاته شبيهًا لذات المخلوقين ومثلهم وأنه منفي بقوله تعالى[١] : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢] .

وأما قولهم : لو قلنا بأن كلام الله غير مخلوق لكان أمرًا ونهيًا للمعدوم .

قلنا : المعدومات يجوز أن يؤمروا عندنا على معنى أنه قال تعالى للأشياء قبل أن تكون : كوني في وقت كذا .

ولا يلزمنا ما قلتم كالسمع ، والبصر ، والعلم .

فإنه عالم في الأزل بجميع المعلومات سميع بجميع المسموعات ، بصير بجميع المبصرات[٣] .

وإن لم تكن المعلومات والمسموعات والمبصرات موجودة في الأزل .

ومعنى قوله سميع في الأزل[٤] بجميع المسموعات والمبصرات أنه يسمع عند وجود المسموعات بسمعه القديم القائم بالذات الأزلي في الأزل وكذلك البصر في الأزل .

---

(١) قال الجبائي : معنى كونه سميعًا بصيرًا أنه حي لا آفة به ، وخالفه ابنه وسائر أصحابه أما ابنه فصار إلى أن كونه سميعًا حالة وكونه بصيرًا حالة ، وكونه بصيرًا حالة سوى كونه عالمًا لاختلاف القضيتين والمفهومين والمتعلقين والأثرين .
وقال غيره من أصحابه : معناه كونه مدركًا للمبصرات مدركًا للمسموعات .
الملل والنحل للشهرستاني (٨٣/١) .

(٢) سورة الشورى (١١) .
أي ليس كخالق الأزواج كلها شيء لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ .
تفسير ابن كثير (١٠٨/٤) .

(٣) انظر قول الجبائي وابنه تقدم قريبًا .

(٤) أثبت الأشعري أن السمع والبصر للباري تعالى صفتان أزليتان ، هما إدراكان وراء العلم يتعلقان بالمدركات الخاصة بكل واحد بشرط الوجود ، وأثبت اليدين والوجه صفات خبرية ، فيقول : ورد بذلك السمع فيجب الإقرار به كما ورد ، وصغوه إلى طريقة السلف من ترك التعرض للتأويل ، وله قول أيضًا في جواز التأويل .
ومذهبه في الوعد والوعيد ، والأسماء والأحكام والسمع والعقل مخالف للمعتزلة من كل وجه .
الملل والنحل للشهرستاني (١٠١/١) .

فإن قيل هاهنا دلائل أخر يدل عليه أن كلام الله تعالى مخلوقًا منها قوله تعالى : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ﴾[1] .

وكل محدث مخلوقًا .

وكذلك قوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[2] .

وما في صدورهم يكون مخلوقًا .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[3] .

وكل مجعول مخلوق[4] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[5] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[6] .

وما يحتاج إلى الحفظ يكون مخلوقًا .

وما يذهب به يكون مخلوقًا[7] .

---

(١) سورة الأنبياء (٢) .
أخبر تعالى أنهم لا يصغون إلى الوحي الذي أنزل الله على رسوله والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار فقال : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ أي جديد إنزاله ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ كما قال ابن عباس : ما لكم تسألون أهل الكتاب عمّا بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرءونه محضًا لم يشب ، رواه البخاري بنحوه .
تفسير ابن كثير (١٧٧/٣) .

(٢) سورة العنكبوت (٤٩) .

(٣) سورة الزخرف (٣) .

(٤) حكى الإمام أحمد في محنته التي تعرض لها من قبل بعض خلفاء الدولة العباسية في محنة خلق القرآن : فلما كان في الليلة الرابعة وجه المعتصم ببغا الذي كان يقال له الكبير إلى إسحاق فأمره بحملي إليه فأدخلت على إسحاق فقال يا أحمد إنها والله نفسك ، إنه لا يقتلك بالسيف ، إنه قد آل بأن لم تجبه أن يضربك ضربًا بعد ضرب ، وأن يقتلك في موضع لا يرى فيه شمس ولا قمر : أليس قد قال الله عز وجل : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أفيكون مجعولاً إلا مخلوقًا ؟ .
فقلت : قد قال الله تعالى : ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أفخلقهم ؟ .
تاريخ الإسلام وفيات (٢٤١-٢٥٠) .

(٥) سورة الحجر (٩) .

(٦) سورة الإسراء (٨٦) .

(٧) واستكمالاً لمناظرة الإمام أحمد بن حنبل مع المعتصم الذي قال لعبد الرحمن بن إسحاق كلمه يا أبا عبد الرحمن ، فقال لي عبد الرحمن : ما تقول في القرآن ؟ قلت له : ما تقول في علم الله ؟ فسكت =

وكذلك قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾(١) .

فسمى القرآن حديثًا .

فثبت أنه يكون مخلوقًا .

والجواب عنه : أن نقول قوله تعالى : ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾(٢) .

قلنا : المراد بالإتيان هو محدث ، وهو جبريل .

لا يقع كلام الله تعالى محدثا .

فانصرف المحدث إلى الإتيان .

أو نقول : ذكر الذاكر ، وأراد به الذاكر وهو النبي ﷺ ، وبه نقول أن النبي ﷺ كان محدثًا .

وأما قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾(٣) .

قلنا : الجعل يذكر ويراد به الخلق .

كما في قوله تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾(٤) .

= فقال لي بعضهم : أليس قال الله تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ والقرآن أليس هو شيء ؟ .
فقلت : قال الله تعالى : ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ فدمرت إلا ما أراد الله .
فقال بعضهم : ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ أفيكون محدث إلا مخلوقًا ؟ .
فقلت : قال الله : ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ فالذكر هو القرآن ، وتلك ليس فيها ألف ولام .
ذكر بعضهم حديث عمران بن حصين أن الله عز وجل خلق الذكر ، فقلت : هذا خطأ حدثنا غير واحد (إن الله كتب الذكر) .
واحتجوا بحديث ابن مسعود : (ما خلق الله من جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي) .
فقلت : إنما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والأرض ، ولم يقع على القرآن .
تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٢٤١-٢٥٠) .

(١) سورة الزمر (٢٣) .

(٢) سورة الأنبياء (٢) .

(٣) انظر ما تقدم من تخريجها .

(٤) سورة البقرة (٣٠) .

أي قوم يخلف بعضهم بعضًا قرنًا بعد قرن وجيلاً بعد جيل كما قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ، وقال : ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ .
وقال ابن جرير بسنده عن الحسن وقتادة قالوا : قال الله للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ قال لهم إني فاعل هذا ومعناه أنه أخبرهم بذلك وقال ابن جرير : وإنما معنى الخلافة التي ذكرها الله إنما هي خلافة قرن منهم قرنًا والخليفة الفعلية من قولك خلف فلان فلانًا في هذا الأثر إذا قام مقامه =

ويذكر ويراد به الوصف .

كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾[١] أي وصفوا له .

وكذلك هاهنا : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ .

أي وصفناه وبيناه بلسان العرب ولغتهم ، ولأن القرآن ليس بلغة العجم لأنهم مخلوقتان وحادثتان .

ولكن نزل على لسان العرب كما نزل كسائر الكتب السماوية على لسان كل قوم ونبي .

لأن القرآن قديم وغير مخلوق[٢] .

ولا يجوز أن يوصف القديم بالحدوث والعوام غافلون عن هذا .

وأما قوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾[٣] .

قلنا : المراد به أنه محفوظ في القلوب غير موضوع فيها .

= فيه بعده .
وكان محمد بن إسحاق يقول في قوله تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يقول ساكنًا وعامرًا يعمرها ويسكنها خلقًا ليس منكم .
مختصرًا من تفسير ابن كثير (١/ ٦٩ ، ٧٠) .

(١) سورة الزخرف (١٥) .

(٢) ما زال المسلمون على قانون السلف من أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله غير مخلوق حتى نبغت المعتزلة والجهمية ، فقالوا بخلق القرآن ، متسترين بذلك في دولة الرشيد فروى أحمد بن إبراهيم الدورقي ، عن محمد بن نوح أن هارون الرشيد قال : بلغني أن بشر بن غياث يقول : القرآن مخلوق ، لله عليَّ إن أظفرني به لأقتلنه ، قال الدورقي : وكان بشر متواريًا أيام الرشيد ، فلما مات ظهر بشر ودعا إلى الضلالة .
قلت (أي الذهبي) : ثم إن المأمون نظر في الكلام وباعث المعتزلة وبقي يقدم رجل ويؤخر أخرى في دعاء الناس إلى القول بخلق القرآن إلى أن قوي عزمه على ذلك في السنة التي مات فيها .
تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٢٤١-٢٥٠) .

(٣) سورة العنكبوت (٤٩) .
أي هذا القرآن بينة واضحة في الدلالة على الحق أمرًا ونهيًا وخبرًا يحفظه العلماء يسره الله عليهم حفظًا وتلاوة وتفسيرًا .
واختار ابن جرير أن المعنى في قوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابًا ولا تخطه بيمينك آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب ونقله عن قتادة وابن جريج .
تفسير ابن كثير (٣/٤٣٢) .

وأما قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١] .

قلنا : المراد به الحفظ من الزيادة والنقصان ، أي يحفظ من الشيطان كي لا يزيد ولا ينقص .

أما قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾[٢] ، ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[٣] .

يعني ذهاب حفظه[٤] من القلوب .

وأما قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾[٥] .

قلنا : المراد به المنظومة المنطوقة وهي أحسن من كلام المخلوقين .

ثم اختلف أهل القبلة في أن كلام الله تعالى هل هو مسموع أم لا .

قال أبو الحسن الأشعري[٦] : أنه مسموع وبه أخذ بعض المشايخ المتأخرين من أصحابنا

---

(١) سورة الحجر (٩) .
أي هو الذي أنزل عليه الذكر وهو القرآن وهو الحافظ له من التغيير والتبديل ، ومنهم من أعاد الضمير في قوله تعالى : ﴿لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ على النبي ﷺ كقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ، والمعنى الأول أولى وهو ظاهر السياق .
تفسير ابن كثير (٥٦٣/٢) .

(٢) سورة المؤمنون (١٨) .

(٣) سورة الإسراء (٨٦) .

(٤) في معنى الآية : يذكر تعالى نعمته وفضله العظيم على عبده ورسوله الكريم ﷺ فيما أوحاه إليه من القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .
قال ابن مسعود رضي الله عنه : يطرق الناس ريح حمراء يعني في آخر الزمان من قبل الشام فلا يبقى في مصحف رجل ولا في قلبه آية ثم قرأ ابن مسعود : ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الآية .
تفسير ابن كثير (٦٣/٣) .

(٥) سورة الزمر (٢٣) .

(٦) قال الشهرستاني في الملل والنحل (٩٤/١) : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما وسمعت من عجيب الاتفاقات أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه كان يقرر عين ما يقرر الأشعري أبو الحسن في مذهبه .
وقد جرت مناظرة بين عمرو بن العاص وبينه فقال عمرو : أين أجد أحدًا أحاكم إليه ربي ؟ .
فقال أبو موسى أنا ذلك المتحاكم إليه .
فقال عمرو : أو يقدر عليَّ شيء ثم يعذبني عليه ؟ .

نحو الشيخ الإمام الأجل الزاهد الصفاري .

وحجتهم قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[(١)] .

وهذا يدل على أن كلام الله تعالى مسموع وحجتنا هو أن كلام الله تعالى صفة قائمة بالذات .

لا يدخل تحت الرؤية ولا يدخل تحت السمع . إنما الداخل تحت السمع هو الحروف والصوت .

فصل

إن الاسم والمسمى واحد عند أهل السنة والجماعة والله تعالى بجميع أسمائه واحد[(٢)] .

= قال : نعم .
قال عمرو : ولم ؟ .
قال : لأنه لا يظلمك ، فسكت عمرو لم يحر جوابًا .

(١) سورة التوبة (٦) .
يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الذين أمرتك بقتالهم وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾ أي استأمنك فأجبه إلى طلبته حتى يسمع كلام الله أي القرآن تقرأه عليه وتذكر له شيئًا من أمر الدين تقيم به عليه حجة الله .
وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في تفسير هذه الآية قال : إنسان يأتيك ليسمع ما تقول وما أنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فتسمعه كلام الله وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء ، ومن هذا كان رسول الله ﷺ يعطي الأمان لمن جاءه مسترشدًا أو في رسالة .
تفسير ابن كثير (٢/٣٤٤) .

(٢) في قوله تعالى : ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الآية أي يقول الله تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة لله عز وجل المانعين من تسميته بالرحمن ﴿ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي لا فرق بين دعائكم له باسم الله أو باسم الرحمن فإنه ذو الأسماء الحسنى كما قال تعالى : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ إلى أن قال : ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية .
وقد روى مكحول أن رجلاً من المشركين سمع النبي ﷺ وهو يقول في سجوده : (يا رحمن يا رحيم) فقال إنه يزعم أنه يدعو واحدًا وهو يدعو اثنين فأنزل الله هذه الآية ، وكذا روي عن ابن عباس رواهما ابن جرير .
تفسير ابن كثير (٣/٧٠) .

وقالت المعتزلة والمتقشفة : إن اسم الله تعالى غير الله ، وهو مخلوق .

دليلنا قوله تعالى : ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[1] فالله تعالى أمرنا أن نوحد الله .

فلو كان اسم الله غير الله لكان حصول التوحيد للاسم لا لله تعالى .

وليس المقصود منه الألف واللام والهاء .

وإنما المقصود هو الله تعالى كقوله تعالى : ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾[2] .

ولم يرد به الاسم .

وكذلك لو قال عبده حر ، وامرأته طالق يقع الطلاق والعتاق .

فلو كان الاسم غير المسمى لا يقع الطلاق والعتاق .

وكذلك لو تزوج امرأة يصح النكاح على الاسم دون المسمى .

فلو كان الاسم غير المسمى لكان وقوع النكاح على الاسم دون المسمى .

فإن قيل روي عن النبي ﷺ[3] أنه قال : (إن لله تسعة وتسعين اسمًا ، فمن أحصاها دخل

---

(١) سورة الزمر (٢) .
أي فاعبد الله وحده لا شريك له وادع الخلق إلى ذلك وأعلمهم أنه لا يصلح العبادة إلا له وحده وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد ، ولهذا قال تعالى : ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ أي لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له .
وقال قتادة في قوله تبارك وتعالى : ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله .
تفسير ابن كثير (٥/٤٥) .

(٢) سورة مريم (١٢) .
تضمن محذوفًا تقديره أنه وجد هذا الغلام المبشر به وهو يحيى عليه السلام وأن الله علمه الكتاب وهو التوراة التي كانوا يتدارسونها بينهم ، ويحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار .
وقد كان سنه إذ ذاك صغيرًا ، لهذا نوه بذكره وبما أنعم به عليه وعلى والديه فقال : ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ أي تعلم الكتاب بقوة أي بجد وحرص واجتهاد .
تفسير ابن كثير (٣/١١٦) .

(٣) الحديث رواه الترمذي (٣٥٠٧) في الدعوات ، وذكر فيه الأسماء الحسنى وقال أبو عيسى : وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولا نعلم في كثير شيء من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث .
وقد رواه ابن ماجة وكذلك ابن الأعرابي في معجم شيوخه (٢/٢٤٤) رقم (١٧٣٥) .
من تحقيقنا – طبعة دار الكتب العلمية .
=

الجنة)[١] .

فلو كان الاسم والمسمى واحدًا لكان تسعة وتسعين إلهًا .

وهذا محال .

وكذلك لو قال الرجل النار ، فلو كان الاسم والمسمى واحدًا لاحترق فوه .

وكذلك لو كتب اسم الله على النجاسة .

فلو كان كما قلتم لكان يوحد ذات الله تعالى على النجاسة .

وهذا محال .

قال : اسم الشيء يدل على عين ذلك الشيء[٢] ، ومعنى الخبر أنه أراد به التسميات ، والفرق بين الاسم والتسمية ظاهر .

لأن أهل اللغة يسمونه بلغتهم نحو السند والهند والترك والعرب والعجم والتسميات والعبارات مختلفة .

= مع اختلاف في روايته عن الترمذي ولكن قلت في تحقيقه : ضعيف الإسناد لضعف سليمان بن الربيع .

(١) الحديث تقدم تخريجه : وقال النووي : وأما قوله ﷺ : « ومن أحصاها دخل الجنة » فاختلفوا في المراد بإحصائها فقال البخاري وغيره من المحققين معناه حفظها ، وهذا هو الأظهر لأنه جاء مفسرًا في الرواية الأخرى من حفظها .
وقيل : أحصاها عدها في الدعاء بها ، وقيل : أطاقها أي أحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها ، وقيل : معناه العمل بها والطاعة بكل اسمها والإيمان بها لا يقتضي عملاً .
وقال بعضهم : المراد حفظ القرآن وتلاوته كله لأنه مستوفى لها وهو ضعيف والصحيح الأول .
النووي في شرح مسلم (٦/٣) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) في معنى الحديث المتقدم قال الإمام أبو القاسم القشيري : فيه دليل على أن الاسم هو المسمى إذ لو كان غيره لكان الأسماء لغيره لقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ .
قال الخطابي وغيره : وفيه دليل على أن أشهر أسمائه سبحانه وتعالى (الله) لإضافة هذه الأسماء إليه وقد روي أن الله هو اسمه الأعظم .
قال أبو القاسم الطبري وإليه ينسب كل اسم له فيقال الرءوف والكريم من أسماء الله تعالى ولا يقال من أسماء الرءوف أو الكريم الله .
واتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين .
النووي في شرح مسلم (٥/١٧) طبعة دار الكتب العلمية .

والله تعالى واحد[١] ، كما أن الشخص الواحد يقال له زيد عالم زاهد فاضل صالح فقيه .

كذلك هاهنا ، وكل اسم إذا سميته فهو الله تعالى .

وأما ما ذكرتم من النار .

قلنا : إنما يحترق فاه لأنه وجد من تسمية النار لا حقيقة النار .

أما إذا كتب اسم الله على النجاسة .

قلنا : ذلك كتابه وتسميته ، ولم يوجد ذات الله تعالى على النجاسة .

فصل

قال أهل السنة والجماعة : الأرزاق مقسومة معلومة لا تزيد بتقوى المتقين ، ولا تنقص بفجور الفاجرين والرزق الذي تكفله الله تعالى هو الغذاء[٢] .

وقال المعتزلة : يزيد وينقص ، والرزق عندهم ملك الدراهم والدنانير الحاصل بالكسب[٣] .

---

(١) روى البخاري في صحيحه قال : حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك .
فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته ، وأما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولدًا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوًا أحد) .

(٢) قال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ إخبار أنه تعالى هو الرازق القابض الباسط المتصرف في خلقه بما يشاء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء لما له في ذلك من الحكمة ، ولهذا قال : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ أي خبير بصير بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر .
كما جاء في الحديث (إن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه ، وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه) .
وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجًا والفقر عقوبة عياذًا بالله من هذا وهذا .
تفسير ابن كثير (٣/٣٨) .

(٣) قال تعالى : ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ الشورى (٢٧) .
أي لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض أشرًا وبطرًا ، وقال قتادة : كان يقال خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك .
=

وقالوا : الحرام ليس برزق الله .

وإنه من فعل العبد .

قلنا : الحرام رزق الله تعالى ، ولكن العبد يستحق العقوبة على فعل نفسه .

قال الله تعالى : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾[1] .

وكذلك الشدائد والمحن بتقدير الله تعالى وقضائه .

قال الله تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[2] الآية .

وقال[3] في آية أخرى : ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾[5] .

= ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ﴾ أي ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم ، وهو أعلم بذلك فيغني من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر .
ابن كثير في تفسيره (١١٥/٤) .

(١) سورة الزخرف (٣٢) .
أي ليس الأمر مردودًا إليهم بل إلى الله عز وجل والله أعلم حيث يجعل رسالاته فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبًا ونفسًا وأشرفهم بيتًا وأطهرهم أصلاً .
ثم قال عز وجل مبينًا أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة فقال : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ الآية .
تفسير ابن كثير (١٢٧/٤) .

(٢) سورة الحديد (٢٢) .

(٣) في معنى قوله تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ الآية .
يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي في الآفاق وفي نفوسكم ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ أي من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة .
وقال بعضهم : من قبل أن نبرأها عائد على النفوس وقيل عائد على المصيبة والأحسن عوده على الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها .
تفسير ابن كثير (٣١٣/٤) .

(٤) سورة فاطر (٢) .

(٥) سورة يونس (١٠٧) .

وقالت المعتزلة : الشدائد والمحن ليس بقضاء الله تعالى ولكن بترك جهد العبد[١] .

لأن الله تعالى لا يقضي بالشر والمحن ولا يريد وعندنا الدواء سبب ، والشفاء من الله تعالى ورؤية الشفاء من الدواء ومن الطبيب ، كفر بل الشفاء من الله تعالى .

وهذا لأنه اتخذوه شريكًا مع الله في الشفاء والكسب سبب والرزق من الله تعالى ، ورؤية الرزق من الكسب كفر[٢] .

وليست الثياب سبب لدفع الحر والبرد ، ودافع الحر والبرد هو الله تعالى .

ورؤية دفع الحر والبرد من الثياب ، كفر .

وقالت الجبرية[٣] : ليس للعبد استطاعة .

والعبد مجبور على الكفر والمعصية كالريح تهب على الحشيش فيقلبها يمينًا وشمالاً .

---

(١) قال ابن جرير بسنده عن منصور بن عبد الرحمن قال كنت جالسًا مع الحسن فقال رجل سله عن قوله تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ فسألته عنها فقال : سبحان الله ومن يشك في هذا ؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة .
وقال ابن كثير : وهذه الآية الكريمة العظيمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق قبحهم الله .
تفسير ابن كثير (٣١٤/٤) .

(٢) روى مسلم في صحيحه [١٦-(٢٦٥٣)] كتاب القدر ، ٢-باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء) .
قال النووي : قال العلماء : المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير فإن ذلك أزلي لا أول له ، وقوله (وعرشه على الماء) أي قبل خلق السماوات والأرض ، والله أعلم .

(٣) الجبرية قالوا بالإجبار والاضطرار في الأعمال وأنكروا الاستطاعات كلها ، وأن لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى ، من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به ، وهذا مذهب الجبرية الخالصة كالجهمية والضرارية والنجارية .
وهناك جبرية متوسطة كالأشعرية قالوا أفعال العباد مخلوقة لله وليس للإنسان فيها غير اكتسابها ، أي أن الفاعل الحقيقي هو الله وما الإنسان إلا مكتسب للفعل الذي أحدثه الله على يدي هذا الإنسان ، والكسب هو تعلق قدرة العبد وإرادته بالفعل المقدور المحدث من الله على الحقيقة .
موسوعة الفرق والجماعات (صـ١٣٥ ، ١٣٦) .

وقال أهل الحق نصرهم الله تعالى : العبد مستطيع بفعل نفسه وقت الفعل باستطاعة الله تعالى إياه وبقوته وتوفيقه .

والعبد مخير مستطيع ، فإذا أوجد منه الجهل والقصد والنية والاكتساب في المعصية يجري خذلان الله تعالى مع نيته وقصده فيستحق العقوبة على فعل نفسه(١) .

وإذا وجد جميع ذلك في الطاعة يجري عون الله تعالى وتوفيقه مع فعله .

لأنا لو قلنا بأن الله تعالى يجبرهم على المعصية ثم يعذبهم على ذلك لكان ذلك منه ظلمًا وجورًا .

فالله تعالى منزه عن الظلم والجور(٢) .

فصل

قالت المعتزلة(٣) : أفعال العباد كلها مخلوقات للعباد والعبد هو الذي يخلق فعل نفسه ،

---

(١) قال جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة : إن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار .
وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، وتنسب إليه الأفعال مجازًا كما تنسب إلى الجمادات ، كما يقال : أثمرت الشجرة وجرى الماء وتحرك الحجر ، وطلعت الشمس وغربت إلى غير ذلك والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال كلها جبر ، قال : وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضًا كان جبرًا .
الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٧) .

(٢) قال الحسين بن محمد النجار : الله خالق أعمال العباد ، خيرها وشرها ، حسنها وقبيحها ، والعبد مكتسب لها ، وأثبت تأثيرًا للقدرة الحادثة وسمي ذلك كسبًا على حسب ما يثبته الأشعري ، ووافقه أيضًا في أن الاستطاعة مع الفعل .
وقال ضرار بن عمر وحفص الفرد : أفعال العباد مخلوقة للباري تعالى حقيقة ، والعبد مكتسبها حقيقة ، وجواز حصول فعل بين فاعلين .
وقالا : يجوز أن يقلب الله تعالى الأعراض أجسامًا والاستطاعة والعجز بعض الجسم وهو جسم ولا محالة بنفي زمانين .
الشهرستاني في الملل والنحل (١/ ٨٩، ٩١) .

(٣) اتفق المعتزلة على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثوابًا وعقابًا في الدار الآخرة .
والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم وفعل ، هو كفر ومعصية ، لأنه لو خلق الظلم كان ظالمًا كما لو خلق العدل كان عادلاً .

خيرًا كان أو شرًّا .

لأن العبد عندهم مستطيع باستطاعة نفسه قبل الفعل ، ولا يحتاج إلى الاستطاعة والقوة من الله تعالى .

وإذا كان العبد مستطيعًا باستطاعة نفسه فأفعاله تكون مخلوقة لله تعالى ، والله تعالى يخلق أفعال العباد خيرًا كان أو شرًّا[١] .

لأن الاستطاعة من الله تعالى تحدث للعبد مقارنة للفعل ، ولا متأخرة عن الفعل .

والعبد بجميع أفعاله مخلوق الله تعالى[٢] .

يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[٣] ، فأخبر أنه خلق أعمالنا وأنفسنا وآجالنا ولا جائز أن يقال : أراد به المعمولات من الحجر والخشب .

لأنه لا شك بأنه مخلوق لله تعالى .

قلنا : حقيقة ما تعملون أراد به العمل لا المعمولات يدل عليه قوله تعالى : ﴿هَلْ

= واتفقوا على أن الله تعالى لا يفعل إلا الصلاح والخير ، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد وأما الأصلح واللطف ففي وجوبه عندهم خلاف وسموا بهذا النمط عدلاً .
المرجع السابق (١/٤٥) .

(١) قال واصل بن عطاء : إن الباري تعالى حكيم عادل ، لا يجوز أن يضاف إليه شر ولا ظلم ، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر ، ويحتم عليهم شيئًا ثم يجازيهم عليه .
فالعبد هو الفاعل للخير والشر ، والإيمان والكفر والطاعة والمعصية ، وهو المجازى على فعله والرب تعالى أقدره على ذلك كله .
وأفعال العباد محصورة في الحركات والسكنات والاعتمادات والنظر والعلم .
قال : ويستحيل أن يخاطب العبد بافعل وهو لا يمكنه أن يفعل ولا هو يحس من نفسه الاقتدار والفعل ومن أنكره فقد أنكر الضرورة .
المرجع السابق (١/٤٧) .

(٢) قال أبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة في الاستطاعة إنها عرض من الأعراض غير السلامة والصحة وفرق بين أفعال القلوب وأفعال الجوارح فقال : لا يصح وجود أفعال القلوب منه مع عدم القدرة . فالاستطاعة معها في حال الفعل ، وجوز ذلك في أفعال الجوارح وقال بتقدمها فيفعل بها في الحال الأولى وإن لم يوجد الفعل إلا في الحال الثانية قال (محال يفعل) غير (حال فعل) ثم ما تولد من فعل العبد فهو فعله ، غير اللون والطعم والرائحة وكل ما لا يعرف كيفيته وقال في الإدراك والعلم الحادثين في غيره عند إسماعه وتعليمه : إن الله تعالى يبدعهما فيه وليسا من أفعال العباد .
المرجع السابق (١/٥٢) .

(٣) سورة الصافات (٩٦) .

﴿تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[١] .

فظاهر الآية يقتضي أن العمل والمعمول مخلوق لله تعالى ، فمن جاوز عن الحقيقة فعليه الدليل .

ويدل على صحة ما قلنا إنا لو قلنا[٢] : بأن العبد يخلق فعل نفسه ، وأدى ذلك إلى أن يكون الخالق اثنين[٣] .

ومن ادعى ذلك فقد ادعى الشرك لله تعالى في الخالقية ، ومن ادعى الشرك مع الله في الخالقية يكفر .

يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾[٤] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾[٥] وفعل العبد شيء .

فصل

الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالقلب عند أكثر أهل السنة والجماعة[٦] .

---

(١) سورة النمل (٩٠) .

(٢) قال النظام : إن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي ، وليست هي مقدورة للباري تعالى ، ومذهبه أن القبح إذا كان صفة ذاتية للقبيح وهو المانع من الإضافة إليه فعلاً ، ففي تجويز وقوع القبيح منه قبح أيضًا ، فيجب أن يكون مانعًا ففاعل العدل لا يوصف بالقدرة على الظلم .
الشهرستاني في الملل والنحل (١/٥٤) .

(٣) قال الخطابي : وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه ، وليس الأمر كما يتوهمونه ، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها .
قال : والقدر اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر يقال : قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد .
النووي في شرح مسلم (١/١٣٩) طبعة دار الكتب العلمية .

(٤) سورة الفرقان (٢) .

(٥) سورة الأنعام (١٠٢) .

(٦) قال الإمام أبو الحسن علي بن خلف بن بطال في شرح صحيح البخاري : مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها ، أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص .
والحجة على زيادته ونقصانه ما أورده البخاري من الآيات يعني قوله تعالى : ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ . . . . . . إلى آخره .
ثم قال ابن بطال : فإيمان من لم تحصل له الزيادة ناقص ، قال : فإن قيل الإيمان في اللغة التصديق =

وقال الشافعي رحمه الله : الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالأركان وقالت الكرامية وهم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام[١] ، بفتح الكاف : الإيمان مجرد الإقرار دون التصديق .

وقال الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمة الله عليه : الإيمان مجرد التصديق .

وحجة الكرامية ظاهر قول النبي ﷺ : (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة)[٢] .

واحتج الشافعي رحمة الله عليه بقوله تعالى : ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ

= فالجواب أن التصديق يكمل بالطاعات كلها فما ازداد المؤمن من أعمال البر كان إيمانه أكمل ، وبهذه الجملة يزيد الإيمان وبنقصانها ينقص .
انظر شرح مسلم للنووي (١/١٣١) .

(١) محمد بن كرام بن عراق بن حزابة بن البراء الشيخ الضال المجسم أبو عبد الله السجستاني شيخ الكراميين .
قال أبو محمد بن حزم : غلاة المرجئة طائفتان .
قالت إحداهما : الإيمان قول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن ولي لله ، من أهل الجنة ، وهو قول محمد بن كرام السجستاني وأصحابه .
وقالت الأخرى : الإيمان للمقر بالشهادتين وإن أعلن الكفر بلسانه .
قال أحمد بن محمد الدهان : خرج أبو عبد الله بن كرام الزاهد من نيسابور في سنة (٢٥١) ومات بالشام سنة (٢٥٥) .
انظر تاريخ الإسلام وفيات (٢٥١-٢٦٠) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٣-(٢٦)] كتاب الإيمان ، ١٠-باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا ، عن عثمان قال : قال رسول الله ﷺ : (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) .
قال النووي : قال القاضي عياض رحمه الله : اختلف الناس فيمن عصى الله تعالى من أهل الشهادتين فقالت المرجئة : لا تضره المعصية مع الإيمان ، وقالت الخوارج : تضره ويكفر بها .
وقالت المعتزلة : يخلد في النار إذا كانت معصيته كبيرة ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر ولكن يوصف بأنه فاسق .
وقالت الأشعرية : بل هو مؤمن وإن لم يغفر له وعذب فلا بد من إخراجه من النار وإدخاله الجنة .
قال : وهذا الحديث حجة على الخوارج والمعتزلة .
النووي في شرح مسلم (١/١٩٤) طبعة دار الكتب العلمية .

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[(١)(٢)] .

وقال علم الهدى أبو منصور الماتريدي : الإيمان عبارة عن مجرد التصديق[(٣)] .

يدل عليه قوله تعالى خبرًا عن أولاد يعقوب عليه السلام : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي بمصدق لنا .

وقال أهل السنة والجماعة : الإيمان له شرائط خمسة[(٤)] : أن يشهد بالله والرسول ، ويؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين .

وحجتنا في أن العمل ليس من الإيمان قوله تعالى : ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ

---

(١) قال الثوري : هذه أنواع البر كلها ، وصدق رحمه الله فإن من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الإسلام كلها وأخذ بمجامع الخير كله وهو الإيمان بالله وأنه لا إله إلا هو ، وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله (والكتاب) وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء حتى ختمت بأشرفها وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب الذي انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .
تفسير ابن كثير (١/٢٠٨) .

(٢) سورة البقرة (١٧٧) .

(٣) قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني الشافعي رحمه الله في كتابه التحرير في شرح صحيح مسلم : الإيمان في اللغة هو التصديق .
فإن عنى به ذلك فلا يزيد ولا ينقص ، لأن التصديق ليس شيئًا يتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصه أخرى ، والإيمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان وإذا فسر بهذا تطرق إليه الزيادة ، والنقص ، وهو مذهب أهل السنة .
قال : فالخلاف في هذا على التحقيق إنما هو أن المصدق بقلبه إذا لم يجمع إلى تصديقه العمل بمواجب الإيمان هل يسمى مؤمنًا مطلقًا أم لا ، والمختار عندنا أنه لا يسمى به .
النووي في شرح مسلم (١/١٣٠) .

(٤) قال الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله قوله ﷺ : (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) .
قال : هذا بيان لأصل الإيمان وهو التصديق الباطن وبيان لأصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر وحكم الإسلام في الظاهر ثبت بالشهادتين .
النووي في شرح مسلم (١/١٣٢) .

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ سماهم مؤمنين قبل إقامة الصلاة .

وفصل بين الإيمان والصلاة[١] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾[٢] .

سماهم مؤمنين قبل إقامة الصلاة[٣] .

يدل عليه أنه لو وجد منه الإيمان قبل الضحوة ثم مات قبل الزوال يكون من أهل الجنة فلو كان العمل من الإيمان لا يكون من أهل الجنة .

لأنه لم يوجد منه العمل .

وكذلك أصحاب الكهف ، وسحرة فرعون ، أجمعنا على أنهم من أهل الجنة ، وإن لم يوجد منه العمل .

فثبت أن التصديق صحة شرائط الإيمان[٤] وأن العمل ليس من الإيمان .

---

(١) روى مسلم في صحيحه [١٣٤-(٨٢)] كتاب الإيمان ، ٣٥-باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، عن أبي سفيان قال : سمعت جابرًا يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » .
وأخرجه أبو داود (٤٦٧٨) في كتاب السنة ، باب في رد الإرجاء .
والترمذي (٢٦٢١) في كتاب الإيمان ، باب ترك الصلاة ، وصححه .
والنسائي (٢٣١/١) في الصلاة ، ١-باب الحكم في ترك الصلاة .
وابن ماجة (١٠٧٨) في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب فيمن ترك الصلاة .

(٢) سورة المائدة (٦) .

(٣) قال النووي : أما تارك الصلاة فإن كان منكرًا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج عن ملة الإسلام ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه ، وإن كان تركه تكاسلاً مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس فقد اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب ، فإن تاب وإلا قتلناه حدًا كالزاني المحصن لكنه يقتل بالسيف ، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو مروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله وبه قال ابن المبارك وإسحاق بن راهوية وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي .
النووي في شرح مسلم (٦١/٢) .

(٤) قال أبو الحسن الأشعري : الإيمان هو التصديق بالجنان ، وأما القول باللسان والعمل بالأركان ففروعه ، فمن صدق بالقلب أي أقر بوحدانية الله تعالى واعترف بالرسل تصديقًا لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى بالقلب صح إيمانه حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمنًا ناجيًا ولا يخرج من =

وحجتنا على الكرامية قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[١] .

فثبت أن التصديق صحة شرائط الإيمان ويدل عليه قوله عليه السلام : (من قال لا إله إلا الله خالصًا مخلصًا من قلبه دخل الجنة)[٢] .

فقد شرط التصديق .

وقال أهل السنة والجماعة : إذا أتى بالإيمان يقول : أنا مؤمن حقًّا من غير شك .

وقال أصحاب الحديث : يقول أنا مؤمن إن شاء الله تعالى[٣] .

وحجتهم لو قلنا بأنه يقول : أنا مؤمن حقًّا عند الله يكون حكمًا على علم الله في الغيب .

لأن الله تعالى يعلم ضمائر الناس وعواقب أمورهم وكل من علم الله تعالى أنه يموت كافر لا يموت مسلمًا[٤] .

= الإيمان بإنكار شيء من ذلك .
الشهرستاني في الملل والنحل (١٠١/١) .

(١) سورة البقرة (٨) .

(٢) أخرجه مسلم [٣-(٢٦)] كتاب الإيمان ، ١٠-باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا ، عن عثمان .
قال النووي : اعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا على كل حال فإن كان سالمًا من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته ، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلًا فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلًا لكنهم يردونها على الخلاف المعروف في الورود ، أما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى .
النووي في شرح مسلم (١٩٢/١) .

(٣) اختلف العلماء من السلف وغيرهم في إطلاق الإنسان قوله : أنا مؤمن ، فقالت طائفة لا يقول أنا مؤمن مقتصرًا عليه ، بل يقول أنا مؤمن إن شاء الله .
وحكى هذا المذهب بعض أصحابنا عن أكثر أصحابنا المتكلمين ، وذهب آخرون إلى جواز الإطلاق وأنه لا يقول إن شاء الله ، وهذا هو المختار .
وقول أهل التحقيق .
وذهب الأوزاعي وغيره إلى جواز الأمرين والكل صحيح باعتبارات مختلفة فمن أطلق نظر إلى الحال وأحكام الإيمان جارية عليه في الحال .
شرح مسلم للنووي (١٣٤/١) .

(٤) اعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع ، =

لأن علم الله لا يتغير ولا يتبدل ، فلعل أن هذا الرجل يقول : أنا مؤمن حقًا ، وفي علم الله تعالى أنه يموت كافرًا ، فيكون مخبرًا خلاف ما عند الله تعالى ، وهذا لا يجوز .

وحجتنا هو أن الاستثناء يرفع جميع العقود نحو الطلاق والعتاق والنكاح والبيع .

فكذلك يرفع عقد الإيمان .

ولأنا أجمعنا على أنه إذا قال[١] العبد : لا إله إلا الله إن شاء الله[٢] .

أو قال : أشهد أن محمدًا رسول الله إن شاء الله .

أو قال : آمنت بالله ، وبالكتب واليوم الآخر إن شاء الله يكون كافرًا .

وكذلك إذا قال : أنا مؤمن إن شاء الله يكون كافر .

لأنه لا شك في إيمانه[٣] .

= وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه فيعرف ذلك ، فإن استمر حكم بكفره ، وكذا حكم من استحل الزنا أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التي يعلم تحريمها ضرورة .
شرح مسلم للنووي (١/١٣٤) .

(١) اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادًا جازمًا خاليًا من الشكوك ونطق بالشهادتين ، فإن اقتصر على إحداهما لم يكن من أهل القبلة أصلاً إلا إذا عجز عن النطق لخلل في لسانه أو لعدم التمكن منه لمعاجلة المنية ولغير ذلك فإنه يكون مؤمنًا .
أما إذا أتى بالشهادتين فلا يشترط معهما أن يقول وأنا بريء من كل دين خالف الإسلام إلا إذا كان من الكفار الذين يعتقدون اختصاص رسالة نبينا ﷺ إلى العرب ، فإنه لا يحكم بإسلامه ، إلا أن يتبرأ .
شرح مسلم للنووي (١/١٣٣) .

(٢) من قال : إن شاء الله قالوا فيه هو إما للتبرك ، وإما لاعتبار العاقبة وما قدر الله تعالى فلا يدري أيثبت على الإيمان أم يصرف عنه والقول بالتخيير حسن صحيح نظرًا إلى مأخذ القولين الأولين ، ورفعًا لحقيقة الخلاف وأما الكافر ففيه خلاف غريب لأصحابنا منهم من قال : يقال هو كافر ولا يقول إن شاء الله ومنهم من قال : هو في التقييد كالمسلم على ما تقدم ، فيقال على قول التقييد : هو كافر إن شاء الله ، نظرًا إلى الخاتمة وأنها مجهولة ، وهذا القول اختاره بعض المحققين والله أعلم .
شرح مسلم للنووي (١/١٣٤) .

(٣) انظر ما تقدم من التخريجات .
وقال النووي : إذا اقتصر على قوله : لا إله إلا الله ، ولم يقل محمد رسول الله ، فالمشهور من مذهبنا ومذاهب العلماء أن لا يكون مسلمًا ومن أصحابنا من قال : يكون مسلمًا ويطالب بالشهادة =

وهذا لأن كل أمر متحقق في الحال أو في الماضي من الزمان ، لا يحسن الاستثناء فيه .

والجواب عن شبهتهم إذا كان مؤمنًا في الحال لا يصير كافرًا ما لم يوجد منه الكفر كما في علم الله تعالى أنه يموت ، ولا يقال بأنه يأتي في الحال ميت .

وكذلك في علم الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾(١) .

ولا يقال بأنها آتية في الحال ، وكذلك في علم الله تعالى الدنيا للفناء والآخرة للبقاء .

ولا يقال بأنهما متحققتان في الحال .

يدل على صحة ما قلنا ما روي عن النبي ﷺ أنه قال (لحارثة)(٢) : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت مؤمنًا حقًا .

ولم ينكر عليه ﷺ ولكن قال : (لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟)(٣) .

= الأخرى ، فإن أبى جعل مرتدًا ويحتج لهذا القول بقوله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم) .
وهذا محمول عند الجماهير على قول الشهادتين واستغني بذكر إحداهما عن الأخرى لارتباطهما وشهرتهما والله أعلم .
النووي في شرح مسلم (١/١٣٤) .

(١) سورة غافر (٥٩) .
أي لكائنة وواقعة ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن أبي حاتم : ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ثنا أشهب حدثنا مالك عن شيخ قديم من أهل اليمن قدم من ثم قال : سمعت أن الساعة إذا دنت اشتد البلاء على الناس واشتد حر الشمس ، والله أعلم .
تفسير ابن كثير (٤/٨٥) .

(٢) بالأصل (لزيد بن حارثة) والصحيح ما أثبتناه والحديث أخرجه :
البزار بسند ضعيف عن أنس .
والطبراني في الكبير (٣/٣٠٢) من حديث الحارث بن مالك وسنده ضعيف أيضًا .
وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/٢٤٢) .
والشجري في أماليه (١/٣٢) .
والزبيدي في الإتحاف (٢/٢٣٨) .
والهيثمي في مجمع الزوائد (١/٥٧) .
والعقيلي في الضعفاء (٤/٤٥٥) .

(٣) روى مسلم في صحيحه [٥٦-(٣٤)] كتاب الإيمان ، ١١-باب الدليل على أن من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً ، فهو مؤمن .
عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا =

قال : أعرضت نفسي عن الدنيا أي منعتها حتى استوى عندي حجرها ومدرها وذهبها ، فأظمأت نهاري وأسهرت ليلي ، وكأني أنظر إلى عرش الرحمن بارزًا ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وأهل النار يتعاوون فيها .

فقال ﷺ : (هذا عبد نور الله قلبه بالإيمان) .

ثم قال : أصبت[١] فالزم[٢] .

فصل

الإيمان لا يزيد ولا ينقص عند الإمام الأعظم أبي حنيفة[٣] وأصحابه رضي الله عنهم .

= وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً) .

قال النووي : قال القاضي عياض رحمه الله : معنى الحديث صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه ، لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه ، لأن من رضي أمرًا سهل عليه ، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذت له والله أعلم .

شرح مسلم للنووي (٣/٢) .

(١) كذا بالأصل وهي (عرفت فالزم) .

(٢) تقدم تخريجه .

وقال النووي : مذهب السلف وأئمة الخلف متظاهرة متطابقة على كون الإيمان يزيد وينقص وهذا مذهب السلف والمحدثين وجماعة من المتكلمين وأنكر أكثر المتكلمين زيادته ونقصانه وقالوا : متى قبل الزيادة كان شكًا وكفرًا .

قال المحققون من أصحابنا المتكلمين : نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته وهي الأعمال ونقصانها .

قالوا : وفي هذا توفيق بين ظاهر النصوص التي جاءت بالزيادة وأقاويل السلف وبين أصل وضعه في اللغة وما عليه المتكلمون وهذا الذي قاله هؤلاء وإن كان ظاهرًا حسنًا فالأظهر والله أعلم أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة ، ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم .

وأما غيرهم من المؤلفة ومن قاربهم فليسوا كذلك فهذا مما لا يمكن إنكاره ، ولا يتشكك عاقل في أن نفس تصديق أبي بكر الصديق رضي الله عنه لا يساويه تصديق آحاد الناس .

شرح مسلم للنووي (١٣٣/١) .

(٣) أبو حنيفة هو النعمان بن ثابت بن زوطي ، التيمي ، الكوفي ، الخزاز ، فقيه مشهور ، أحد أئمة المذاهب الأربعة ، أخرج له الترمذي والنسائي ، توفي (١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣) .

ترجمته : تهذيب التهذيب (٤٤٩/١٠) ، تقريب التهذيب (٣٠٣/٢) ، الكاشف (٢٠٥/٣) ، تاريخ =

وقال الشافعي رحمه الله : يزيد وينقص ، وحجته قوله تعالى : ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾(١) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾(٢) .

وكذلك روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : (لو وزن إيمان أبي بكر مع إيمان أمتي لرجح إيمان أبي بكر رضي الله عنه) وكذلك روي عن أبي هريرة(٣) وأنس بن مالك وأبي سعيد الخدري(٤) . وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أنهم قالوا عن النبي ﷺ أنه قال : (يخرج من النار من كان في قلبه مثل شعيرة من الإيمان)(٥) ويروى : (مثل ذرة من الإيمان) .

= البخاري الكبير (٨١/٨) ، تاريخ البخاري الصغير (٢/ ٤٣ ، ١٠٠) ، الجرح والتعديل (٢٠٦٢/٨) ، ميزان الاعتدال (٢٦٥/٤) ، تاريخ أسماء الثقات (١٤٧٧) ، الأنساب (٦٤/٦) ، الكامل (٧/ ٢٤٧٢) ، الضعفاء الكبير (٢٦٨/٤) ، المعين (٥٤٦) ، تراجم الأحبار (١٢٢/٤) ، التاريخ لابن معين (٦٧/٣) ، سير الأعلام (٣٩٠/٦) ، معرفة الثقات (١٨٥٣) ، ضعفاء ابن الجوزي (٣/ ١٦٣) ، ديوان الإسلام (٧٦٣) .

(١) سورة الفتح (٤) .

(٢) سورة الأنفال (٢) .

(٣) أبو هريرة الدوسي ، اختلفوا في اسمه وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس ، قال ابن أبي حاتم سمي في الإسلام عبد الله ويقال : عبد الرحمن وكان أحد الحفاظ المعدودين في الصحابة ، قدم من أرض دوس مسلمًا هو وأمه وقت فتح خيبر قال الذهبي : يروى له نحو من خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وسبعين حديثًا ، في الصحيحين منها ثلاثمائة وخمسة وعشرون حديثًا ، انفرد البخاري له بثلاثة وتسعين ، ومسلم بمائة وتسعين .
تاريخ الإسلام وفيات (٥١-٦٠) .

(٤) أبو سعيد الخدري هو سعيد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد الأنصاري الخزرجي الخدري صاحب رسول الله ﷺ وكان من فضلاء الصحابة بالمدينة ، توفي سنة (٧٤) .
المرجع السابق (٧١-٨٠) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٢٥-(١٩٣)] ورقم (٣٢٦) كتاب الإيمان ، ٨٤- باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، كلاهما عن أنس ، ولفظه في الأول : (يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار : من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة) .
ولفظه في الثاني : (فيقال : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها . . . . . . الحديث) .

وهذا يدل على أن الإيمان يزيد وينقص .

وحجتنا وهو أن الإيمان عبارة عن التصديق[١] لما ذكرنا من الدليل وأنه لا يقبل الزيادة والنقصان[٢] وأما في قوله تعالى : ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ قلنا : ذلك في حق الصحابة رضي الله عنهم .

لأن القرآن كان ينزل في كل وقت ، فيؤمنوا به فيكون تصديقهم الثاني زيادة على الأول .

أما في حقنا فلأنه لا ينقطع الوحي .

وأما قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٣] الآية .

قلنا : ذلك صفة المؤمنين ، والمؤمنون في الطاعة متفاوتون .

أما في الإيمان فلا .

وأما قوله : ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ فالمراد به اليقين لا نفس الإيمان .

وأما حديث أبي بكر : قلنا : ذلك ترجيح في الثواب لأنه سابق في الإيمان .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : (الدال على الخير كفاعله)[٤] .

---

(١) قال النووي فيما تقدم من حديث مسلم : وفي هذا الحديث دلالة لمذهب السلف وأهل السنة ومن وافقهم من المتكلمين في أن الإيمان يزيد وينقص ونظائره من الكتاب والسنة كثيرة .
شرح مسلم للنووي (٥٤/٣) .

(٢) قال عبد الرزاق سمعت من أدرك من شيوخنا وأصحابنا سفيان الثوري ومالك بن أنس وعبيد الله بن عمر والأوزاعي ومعمر وابن جريج وابن عيينة يقولون : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص .
وهذا قول ابن مسعود وحذيفة والنخعي والحسن البصري وعطاء وطاووس ومجاهد وعبد الله بن المبارك .
النووي في شرح مسلم (١٣١/١) طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) سورة الأنفال (٢) .
وصف الله المؤمنين فقال : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فأدوا فرائضه ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ يقول زادتهم تصديقًا .
وقال مجاهد : ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فرقت أي فزعت وخافت ، وكذا قال السدي وغير واحد .
وهذه صفة المؤمن حق المؤمن الذي إذا ذكر الله وجل قلبه أي خاف منه ، ففعل أوامره وترك زواجره .
تفسير ابن كثير (٢٩٢/٢) .

(٤) أخرجه : الطبراني في الكبير (٢٣٠/٦) .
وابن حجر في المطالب العالية .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : (يخرج من النار من كان في قلبه مثل شعيرة من الإيمان)[١] .

قلنا : روي في بعض الروايات : (يخرج من النار من كان في قلبه ذرة من الإيمان)[٢] .

فيجب حمله على هذا عملاً بما ذكرنا من الدلائل .

فصل

قالت الخوارج : من ارتكب الكبيرة يكفر .

وقالوا : إن عليًا رضي الله عنه كفر بقتل البغاة والخوارج[٣] .

= والعجلوني في كشف الخفا (٤٨٠/١) .
والهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦/١) .
والخطيب في تاريخ بغداد (٣٨٣/٧) .
وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٦٦/٦) .
وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٦٠) .
وقال البزار : حدثنا بشر بن معاذ ، حدثنا السكن بن إسماعيل ، عن زياد النميري عن أنس أن النبي ﷺ قال : (الدال على الخير كفاعله ، والله يحب إغاثة اللهفان) .
انظر البزار ، كشف الأستار (١٩٥١) وقال إن زيادًا لم يرو عن أنس إلا الحديث الذي قبل هذا ، وقد روى عنه هذا أيضًا وهذا الحديث هو عين سابقه الذي أشار إليه البزار إلا أن في هذا زيادة (الدال على الخير كفاعله) فصح أن زيادًا لم يرو عن أنس إلا حديثًا واحدًا .
انظر جامع المسانيد والسنن لابن كثير (٢٩٩/٢٢) رقم (١٥٠٨) .

(١) انظر ما تقدم من تخريجه .

(٢) تقدم تخريجه من مسلم ، وقال النووي : قوله ﷺ : (وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة) : المراد بالذرة واحدة الذر ، وهو الحيوان المعروف الصغير من النمل وهي بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء ومعنى يزن أي يعدل .
شرح مسلم للنووي (٥٣/٣) .

(٣) الخوارج في التاريخ هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في صفين بعد قبول التحكيم ، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان ، وعلماء الشريعة يسمونهم بغاة وأجمعت الخوارج على أمرين لا مزيد عليهما أحدهما إكفارهم لعلي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين وكل من رضي بهما ، وكل هؤلاء في زعمهم كفروا ، والثاني : قولهم إن كل من أذنب ذنبًا من أمة محمد ﷺ فهو كافر ويكون في النار خالدًا مخلدًا .
موسوعة الفرق والجماعات (ص٢٢٥) .

وقالت المرجئة : لا تضر المعصية مع الإيمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر[١] .

وقالت الجبرية : العباد مجبورون على الكفر والمعصية .

وقالت المعتزلة : يخرج بها من الإيمان ، ولا يدخل في الكفر .

وحجة الخوارج ظاهر الآيات نحو قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا﴾[٢] .

والخلود إنما يكون بخروجه عن الإيمان[٣] .

وكذلك قوله ﷺ : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)[٤] .

---

(١) الإرجاء على معنيين : أحدهما : بمعنى التأخير كما في قوله تعالى : ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أي أمهله وأخره ، والثاني : إعطاء الرجاء .
أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد .
وأما بالمعنى الثاني فظاهر ، فإنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة .
وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار .
الملل والنحل للشهرستاني (١/١٣٩) .

(٢) سورة النساء (١٤) .

(٣) قال القاضي عياض رحمه الله : اختلف الناس فيمن عصى الله تعالى من أهل الشهادتين فقالت المرجئة : لا تضره المعصية مع الإيمان .
وقالت الخوارج : تضره ويكفر بها .
وقالت المعتزلة : يخلد في النار إذا كانت معصيته كبيرة ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر . ولكن يوصف بأنه فاسق .
وقال الأشعرية : بل هو مؤمن وإن لم يغفر له وعذب فلا بد من إخراجه من النار وإدخاله الجنة .
النووي في شرح مسلم (١/ ١٩٣، ١٩٤) .

(٤) أخرجه مسلم [١٠٠-(٥٧)] كتاب الإيمان ، ٢٤-باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله ، عن أبي هريرة .
قال النووي : هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه ، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون إن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان ، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ، ويراد نفي كماله ومختاره كما يقال لا علم إلا ما نفع ، ولا مال إلا الإبل ، ولا عيش إلا الآخرة ، وإنما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر وغيره : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنا وإن =

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (الصلاة عماد الدين ، فمن أقامها فقد أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين)[١] .

وحجتنا قوله تعالى : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[٣] .

والتوبة إنما تكون من الحوبة[٤] ، وهي الكبيرة .

وكذلك قوله ﷺ : (صلوا خلف كل بر وفاجر) .

فلو خرج عن الإيمان لما أمرنا بالصلاة خلفه[٥] .

أما قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ .

= سرق ، وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور أنهم بايعوه ﷺ على أن لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا إلى آخره ثم قال لهم ﷺ فمن وفى منكم فأجره على الله ومن فعل شيئًا من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته ومن فعل ولم يعاقب فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه .
النووي في شرح مسلم (٢/٣٦) .

(١) أخرجه : ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٤) .
والعجلوني في كشف الخفا (٢/٤٠) .
والسيوطي في الأحاديث المنتشرة (١٠٤) .

(٢) سورة النور (٣١) .
أي افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهيا عنه والله تعالى هو المستعان .
تفسير ابن كثير (٣/٢٩٥) .

(٣) سورة التحريم (٨) .

(٤) قال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ النساء (٢) .
قال : ابن عباس : أي إثمًا عظيمًا ، قال ابن سيرين الحوب : الإثم ، وروى ابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث أنس قال : أراد أبو طلحة أن يطلق أم سليم امرأته فقال النبي ﷺ : (إن طلاق أم سليم لحوب) فكف .
مختصرًا من ابن كثير (٢/٤٤٩) .

(٥) أخرجه : البيهقي في السنن الكبرى (٤/١٩) .
وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/٣٥) .
وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/٤٢٥) .
والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٧، ٤٢) .

قلنا : المراد به الطاعة في الشرك ، لأنهم قالوا الميتة حلال لأنه مذبوح الله تعالى[١] .

فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[٢] .

وأما قوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾[٣] .

قلنا : المراد منه الكفار .

لأن التعدي من جميع حدود الله تعالى إنما يكون من الكفار .

وأما قوله عليه الصلاة والسلام : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)[٤] .

---

(١) قال الحنابلة : إمامة الفاسق ولو لمثله غير صحيحة إلا في صلاة الجمعة والعيد إذا تعذرت صلاتهما خلف غيره فيجوز إمامته للضرورة .
وقال المالكية : إمامة الفاسق مكروهة ولو لمثله .
واتفق الحنفية والشافعية على إمامته إذا كان إمامًا لمثله .
وقد اشترط الأئمة للإمامة شروط فقال الحنفية : الأحق بالإمامة الأعلم بأحكام الصلاة صحة وفسادًا بشرط أن يجتنب الفواحش الظاهرة ، ثم الأحسن تلاوة وتجويدًا للقراءة ثم الأورع ، ثم الأقدم إسلامًا والأكبر سنًا ، ثم الأحسن خلقًا ثم الأحسن وجهًا ثم الأشرف نسبًا . . . . إلخ .
وقال الحنابلة : الأحق بالإمامة الأفقه الأجود قراءة ثم الأجود قراءة فقط ، وإن لم يكن فقيهًا إذا كان يعلم أحكام الصلاة ثم الحافظ لما يجب للصلاة الأفقه ثم الحافظ لما يجب لها الفقيه ثم الحافظ لما يجب العالم فقه صلاته . . . . إلخ .
الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٣٤٥، ٣٤٦) .

(٢) سورة الأنعام (١٢١) .
استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب إلى أن الذبيحة لا تحل إذا لم يذكر اسم الله عليها وإن كان الذابح مسلمًا ، وقد اختلف الأئمة رحمهم الله في هذه المسألة على ثلاثة أقوال : فمنهم من قال : لا تحل هذه الذبيحة إلا بهذه الصفة وسواء متروك التسمية عمدًا أو سهوًا وهو مروي عن ابن عمر ونافع مولاه والشعبي وابن سيرين وهو رواية عن مالك ورواية عن أحمد بن حنبل والمذهب الثاني : أنه لا يشترط التسمية بل هي مستحبة فإن تركها عمدًا أو نسيانًا لا يضر وهذا مذهب الإمام الشافعي رحمه الله وجميع أصحابه ورواية عن أحمد بن حنبل ورواية عن مالك ، وحكي عن ابن عباس وأبي هريرة وعطاء والله أعلم ، والمذهب الثالث : إن ترك البسملة على الذبيحة نسيانًا لم يضر وإن تركها عمدًا لم تحل وهو المشهور من مذهب الإمام مالك وأحمد وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه .
انظر تفسير ابن كثير (٢/١٧٣) .

(٣) سورة النساء (١٤) .

(٤) الحديث تقدم تخريجه ، وقال النووي : إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم =

قلنا : هذا إخراج للكلام على مجرى العادة .

لأن الظاهر والغالب في زمن النبي ﷺ عدم الزنا .

فأخرج الكلام مخرج التهديد من غاية قبح هذه الأشياء .

وأما قوله عليه الصلاة والسلام : (الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين)[١] .

قلنا : المراد منه الترك من حيث الاعتقاد[٢] ، وإذا تركها من حيث الاعتقاد يكون كافرًا[٣] .

= من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان إن تابوا سقطت عقوبتهم وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة ، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولاً ، وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة ، وكل هذه الأدلة تضطرنا إلى تأويل هذا الحديث وشبهه ثم إن هذا التأويل ظاهر سائغ في اللغة مستعمل فيها كثيرًا ، وإذا ورد حديثان مختلفان ظاهرًا وجب الجمع بينهما ، وقد وردا هنا فيجب الجمع وقد جمعنا ، وتأول بعض العلماء هذا الحديث على من فعل ذلك مستحلاً له مع علمه بورود الشرع بتحريمه .
شرح مسلم للنووي (٣٧/٢) طبعة دار الكتب العلمية .

(١) تقدم تخريجه .

(٢) حكم تارك الصلاة إن كان منكرًا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه وإن كان تركه تكاسلاً مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس ، فقد اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلق إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فإن تاب وإلا قلناه حدًا كالزاني المحصن لكنه يقتل بالسيف ، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو مروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو إحدى الروايتين عن أحمد ، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي .
شرح مسلم للنووي (٦٠/٢) .

(٣) احتج من قال بكفره بظاهر الحديث المذكور في مسلم (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) وبالقياس على كلمة التوحيد ، واحتج من قال : لا يقتل بحديث لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث وليس فيه الصلاة ، واحتج الجمهور على أنه لا يكفر بقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ وبقوله ﷺ : (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) ، (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة ولا يلقى الله تعالى عبد بهما غير شاك فيحجب عنه الجنة) ، (حرم الله على النار من قال لا إله إلا الله) ، وغير ذلك .
واحتجوا على قتله بقوله تعالى : ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ .
شرح مسلم للنووي (٦١/٢) .

ثم الذنوب على أوجه منها ما يكون بينه وبين ربه كالزنا واللواط وشرب الخمر والكذب والغيبة والبهتان ، إذا لم يبلغه الخبر يرتفع بالتوبة ، أما إذا بلغه لا يرتفع بالتوبة ما لم يجعله في حل وكذلك إذا زنى[١] بامرأة لها زوج فبلغه الخبر ، لا يرتفع بالتوبة ما لم يجعله في حل .

وأما إذا ترك الصلاة والزكاة والصوم لا يرتفع بالتوبة إلا بقضاء الفوائت .

فصل

قال أهل السنة والجماعة : العبد مأخوذ بما قصد بقلبه نحو الزنا واللواطة[٢] وغير ذلك .

وأما إذا خطر بباله ولم يقصد لا يؤخذ به .

وقال بعضهم لا يؤخذ به .

وقال بعضهم : لا يؤخذ في الصورتين جميعًا .

(١) أجمع العلماء على وجوب جلد الزاني البكر مائة ورجم المحصن وهو الثيب ، ولم يخالف في هذا أحد من أهل القبلة إلا ما حكى القاضي عياض وغيره عن الخوارج وبعض المعتزلة كالنظام وأصحابه فإنهم لم يقولوا بالرجم .
واختلفوا في جلد الثيب مع الرجم ، فقالت طائفة : يجب الجمع بينهما فيجلد ثم يرجم وبه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري وإسحاق بن راهويه وداود وأهل الظاهر وبعض أصحاب الشافعي .
وقال جماهير العلماء : الواجب الرجم وحده ، وحكى القاضي عن طائفة من أهل الحديث أنه يجب الجمع بينهما إذا كان الزاني شيخًا ثيبًا فإن كان شابًا ثيبًا اقتصر على الرجم وهذا مذهب باطل لا أصل له وحجة الجمهور أن النبي ﷺ اقتصر على رجم الثيب في أحاديث كثيرة .
شرح مسلم للنووي (١١/١٥٧) .

(٢) اختلف في حده الأئمة فمنهم من قال : إنه يعاقب عقوبة الزاني وهي الإعدام إن كان محصنًا أما الموطوء فعقوبته الجلد كالبكر لأنه لا يتصور فيه إحصان ، ومنه من يقول : إن عقاب اللائط من باب التعزير لا من باب الحد ، فعلى القاضي أن يحبسه أو يجلده أو بما يراه رادعًا له عن الجريمة فإذا تكررت منه ولم يزدجر عزر بالإعدام .
فقال المالكية والحنابلة والشافعية : إذا ثبت اللواط يوجب الحد واختلفوا في صفة الحد قياسًا على حكم الزنا فالمالكية والحنابلة ورواية عن الشافعية قالوا : حد اللواط الرجم بالحجارة حتى يموت الفاعل والمفعول به بكرًا كان أو ثيبًا .
والشافعية في رواية أخرى : حده مثل حد الزنا فيعتبر فيه الإحصان ، والحنفية قالوا : لا حد في اللواط .
الفقه على المذاهب الأربعة (٥/ ١١٢ ، ١١٣) .

وحجتهم قول النبي ﷺ : (إن الله تعالى رفع عن أمتي ما خطر ببالهم ، ما لم يتكلموا به ، أو فعلوا)[١] .

وحجتهم قوله تعالى : ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[٢] .

أي يجازيكم به الله .

فثبت أنه مؤاخذ بقصده .

وما ذكرتم من الحديث محمول على ما إذا خطر بباله ولم يقصد ، أما إذا قصد فلا .

فصل

قالت الجهمية[٣] : الإيمان هو المعرفة بالقلب دون الإقرار باللسان .

وقال أهل السنة والجماعة : المعرفة بالقلب ليست بإيمان ما لم يوجد منه الإقرار باللسان[٤] .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦٩) كتاب النكاح ، ١١-باب الطلاق في الإغلاق ، عن أبي هريرة .
وأخرجه مسلم في صحيحه [٢٠١-(١٢٧)] كتاب الإيمان ، ٥٨-باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا) .
وأبو داود (٢٢٠٩) كتاب الطلاق ، ١٥-باب في الوسوسة بالطلاق .
وابن ماجة (٢٠٤٠) كتاب الطلاق ، ١٤-باب من طلق في نفسه ولم يتكلم به .
وأحمد في مسنده (٤٩١/٢) .
وابن الأعرابي في معجم شيوخه (١٩٣/٢) رقم (١٥٨٦) .
من تحقيقنا - طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) سورة البقرة (٢٨٤) .

(٣) الإيمان في اللغة هو التصديق فإن عنى به ذلك فلا يزيد ولا ينقص ، لأن التصديق ليس شيئًا يتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصه أخرى والإيمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان وإذا فسر بهذا تطرق إليه الزيادة والنقص ، وهو مذهب أهل السنة .
قال : فالخلاف في هذا على التحقيق إنما هو أن المصدق بقلبه إذا لم يجمع إلى تصديقه العمل بمواجب الإيمان هل يسمى مؤمنًا مطلقًا أم لا والمختار عندنا أنه لا يسمى به .
قال رسول الله ﷺ : (لا يزني الزاني حديث يزني وهو مؤمن) لأنه لم يعمل بموجب الإيمان فيستحق هذا الإطلاق .
انظر الإمام عبد الله الأصبهاني الشافعي في كتابه التحرير في شرح مسلم .

(٤) المعنى الذي يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه الأمور الثلاثة : التصديق =

وحجتنا قوله تعالى : ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ﴾ مع أن سياق الآية يدل على أن المعرفة بالقلب ليس بإيمان ، ما لم يوجد منه الإقرار باللسان .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[2] .

فثبت أن مجرد المعرفة ليس بإيمان .

فصل

قالت المرجئة[3] : إن الله تعالى خلق الخلق ونبيهم لم يأمرهم ولم ينهاهم .

= بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح .
وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أنه لو أقر وعمل على غير علم منه ومعرفة بربه لا يستحق اسم مؤمن ، ولو عرفه وعمل وجحد بلسانه وكذب ما عرف من التوحيد لا يستحق اسم مؤمن ، وكذلك إذا أقر بالله تعالى وبرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولم يعمل بالفرائض لا يسمى مؤمنًا بالإطلاق ، وإن كان في كلام العرب يسمى مؤمنًا بالتصديق ، فذلك غير مستحق في كلام الله تعالى .
النووي في شرح مسلم (١٣١/١) .

(١) سورة البقرة (١٤٦) .
يخبر تعالى أن علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول ﷺ كما يعرف أحدهم ولده ، والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال لرجل معه صغير : (ابنك هذا ؟) قال : نعم يا رسول الله أشهد به ، قال : (أما إنه لا يخفى عليك ولا تخفى عليه) .
قال القرطبي : ويروى عن عمر أنه قال لعبد الله بن سلام : أتعرف محمدًا كما تعرف ولدك ؟ قال : نعم وأكثر ، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض ينعته فعرفته وإني لا أدري ما كان من أمه ، قلت : وقد يكون المراد (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) من بين أبناء الناس كلهم .
تفسير ابن كثير (١٩٤/١) .

(٢) سورة النمل (١٤) .

(٣) قالت المرجئة اليونسية أصحاب يونس بن عون النميري أن الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له ، وترك الاستكبار عليه ، والمحبة بالقلب ، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وما سوى ذلك من الطاعة فليس من الإيمان ولا يضر تركها حقيقة الإيمان ولا يعذب على ذلك إلا إذا كان الإيمان خالصًا ، واليقين صادقًا .
وزعم يونس بن عون أن إبليس كان عارفًا بالله وحده غير أنه كفر باستكباره عليه ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ =

وما جاء في القرآن دال على صورة الأمر لا حقيقة الأمر .

وهو على النذر والاستحباب ، فإن أحسن فله الثواب ، وإن أساء فلا عقاب عليه[١] .

كما قال الله تعالى : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾[٢] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾[٣] .

والجواب عنه أن نقول : كل أمر لم يتعقبه الوعيد بتركه فهو على الندب والاستحباب كما قلتم ، وكل أمر يتعقبه الوعيد بتركه فهو على الختم والإيجاب كما في الصلاة في قوله تعالى : ﴿۞ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[٤] .

= ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قال : ومن تمكن في قلبه الخضوع لله والمحبة له على خلوص ويقين لم يخالفه في معصية وإن صدرت منه معصية فلا تضره بيقينه وإخلاصه ، والمؤمن إنما يدخل الجنة بإخلاصه ومحبته لا بعمله وطاعته .
الملل والنحل للشهرستاني (١٤٠/١) .

(١) وقال غسان الكوفي : الإيمان هو المعرفة بالله تعالى وبرسوله والإقرار بما أنزل الله وبما جاء به الرسول في الجملة دون التفصيل .
والإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وزعم أن قائلاً لو قال : أعلم أن الله تعالى قد حرم أكل الخنزير ، ولا أدري هل الخنزير الذي حرمه الله تعالى هذه الشاة أم غيرها ، كان مؤمنًا ، ولو قال : أعلم أن الله تعالى فرض الحج إلى الكعبة ، غير أني لا أدري أين الكعبة ؟ ولعلها بالهند ، كان مؤمنًا ، ومقصوده أن أمثال هذه الاعتقادات أمور وراء الإيمان ، لا أنه كان شاكًا في هذه الأمور فإن عاقلاً لا يستجيز من عقله أن يشك في أن الكعبة ، إلى أي جهة ؟ وأن الفرق بين الخنزير والشاة ظاهر .
الملل والنحل للشهرستاني (١٤١/١) .

(٢) سورة الأعراف (٣١) .

(٣) سورة المائدة (٢) .

(٤) سورة مريم (٥٩ ، ٦٠) .
وقد اختلفوا في المراد بإضاعة الصلاة فقال قائلون المراد بإضاعتها تركها بالكلية ، قاله محمد بن كعب القرظي وابن زيد بن أسلم والسدي واختاره ابن جرير ولهذا ذهب من ذهب من السلف والخلف والأئمة كما هو المشهور عن الإمام أحمد ، وقول عند الشافعي إلى تكفير تارك الصلاة .
وقال الأوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة في قوله : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ قال : إنما أضاعوا المواقيت ، ولو كان تركًا كان كفرًا .
﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ عن ابن عباس : أي خسرانًا ، وعن ابن مسعود قال : واد في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم .
مختصرًا من تفسير ابن كثير (١٣٢/٣) .

وكما في الزكاة : قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾[(١)] .

ولأنه لا يحسن من حكمه الحكيم جل جلاله أن يخلق الخلق مهملين ولم يأمرهم ولم ينهاهم كما قال الله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[(٢)] .

وكما قال الله تعالى : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[(٣)] .

فصل

قالت المرجئة : إذا دخل أهل النار النار فإنهم يكونون في النار بلا عذاب كالحوت في الماء .

إلا أنا نفرق بين المؤمن والكافر أن للمؤمن استمتاعًا في الجنة يأكل ويشرب .

وأهل النار في النار ليس بهم استمتاع أكل وشرب .

وهذا القول باطل يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾[(٤)] .

---

(١) سورة التوبة (٣٥) .

(٢) سورة القيامة (٣٦) .
قال السدي يعني لا يبعث وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني لا يؤمر ولا ينهى .
والظاهر أن الآية تعم الحالين أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة ، والمقصود هنا إثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد .
تفسير ابن كثير (٤٥٢/٤) .

(٣) سورة المؤمنون (١١٥) .
أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثًا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا ، وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وإنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ أي لا تعودون في الدار الآخرة .
تفسير ابن كثير (٢٦٧/٣) .

(٤) سورة فاطر (٣٧) .
أي ينادون فيها يجأرون إلى الله عز وجل بأصواتهم ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أي يسألون الرجعة إلى الدنيا ليعملوا غير عملهم الأول ، وقد علم الرب جل جلاله أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ، فلهذا لا يجيبهم إلى سؤالهم .
تفسير ابن كثير (٥٧٦/٣) .

وقوله تعالى : ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾(١) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾(٢) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾(٣) .

فصل

قالت الجبرية(٤) : ليس للعبد استطاعة والعبد مجبور على الكفر والإيمان ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾(٥) ، فالله تعالى أخبر أنهم لا يستطيعون العدل ومع هذا أمره بالعدل .

وكذلك قوله تعالى : ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٦) .

---

(١) سورة الطلاق (٩) .

(٢) سورة الزخرف (٧٧) .
هو خازن النار .
وروى البخاري بسنده عن صفوان بن يعلى عن أبيه رضي الله عنه قال سمعنا رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي يقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه .
فإنهم كما قال تعالى : ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ .
وقال عز وجل : ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ .
تفسير ابن كثير (١٣٥/٤) .

(٣) سورة النساء (٥٦) .
قال الأعمش عن ابن عمر : إذا احترقت جلودهم بدلوا جلودًا غيرها بيضاء أمثال القراطيس ، رواه ابن أبي حاتم ، وعنه عن ابن عمر : قرأ رجل عند عمر هذه الآية ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ فقال عمر : أعدها عليَّ فأعادها ، فقال معاذ بن جبل عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر : هكذا سمعت رسول الله ﷺ .
تفسير ابن كثير (٥١٤/١) .

(٤) قال جهم بن صفوان من الجبرية : إن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات وتنسب إليه الأفعال مجازًا كما تنسب إلى الجمادات ، كما يقال أثمرت الشجرة وجرى الماء وتحرك الحجر وطلعت الشمس وغربت إلى آخر كلامه .
انظر الملل والنحل للشهرستاني (٨٧/١) .

(٥) سورة النساء (١٢٩) .

(٦) سورة البقرة (٣١) .

فالله تعالى أمرهم مع علمه لأنهم لا يطيقون .

وكذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[١] .

وكذلك خبرًا عن النبي ﷺ أنه كان يقول : (ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به) فلو لم يكن التكليف للعاجز جائز ، وإلا لم يكن لهذا الدعاء معنى وفائدة .

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام[٢] : (من صور صورة بيده كلف يوم القيامة بأن ينفخ فيه الروح)[٣] .

والجواب عن قوله تعالى : ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[٤] .

المساواة في المحبة أي في القلب .

والعبد لا يملك ذلك ، لما روي عن النبي ﷺ أنه قال : (اللهم هذا قسمتي فيما أملك ، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك)[٥] .

= وعن الحسن وقتادة في قوله تعالى : ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إني لم أخلق خلقًا إلا كنتم أعلم منه فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين .
وقال ابن عباس : ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إن كنتم تعلمون أني لم أجعل في الأرض خليفة وقال السدي بسنده عن ابن مسعود وعن ابن عباس وناس من الصحابة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء .
تفسير ابن كثير (٧٤/١) .

(١) سورة القلم (٤٢) .

(٢) أخرجه مسلم [١٠٠-(٢١١٠)] كتاب اللباس والزينة ، ٢٦-باب تصوير صور الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرس ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتًا فيه صورة ولا كلب ، عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ) .

(٣) قال النووي : هو الذي يسميه الأصوليون أمر تعجيز ، قال القاضي : في رواية ابن عباس يحتمل أن معناها أن الصورة التي صورها هي تعذبه بعد أن يجعل فيها روح ، ويحتمل أن يجعل له بعدد كل صورة ومكانها شخص يعذبه .
وهذه الأحاديث صريحة في تحريم تصوير الحيوان وأنه غليظ التحريم أما الشجر ونحوه مما لا روح فيه فلا تحرم صنعته ولا التكسب به وسواء الشجر المثمر وغيره وهذا مذهب العلماء كافة إلا مجاهد فإنه جعل الشجر المثمر من المكروه ، قال القاضي لم يقله أحد غير مجاهد .
النووي في شرح مسلم (٧٧/١٤) .

(٤) سورة النساء (١٢٩) .

(٥) أخرجه : أبو داود (٢١٣٤) كتاب النكاح ، ٣٨-باب القسم بين النساء ، عن عائشة .

=

فلم يكن الأمر بالعدل أمر العاجز .

وأما قوله تعالى : ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[١] .

قلنا : أراد به تقرير عجزهم ، إنما أمروا بذلك تقرير العجز لهم ، لأنهم ظنوا أنهم أعلم من آدم عليه السلام .

يدل عليه أنهم ما استحقوا العقوبة بتركه .

وأما قوله تعالى : ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾[٢] .

قلنا : أراد به أنهم يدعون إلى السجود في الدنيا فيستحقون العقوبة بتركه في الآخرة .

وأما قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[٣] .

= والترمذي (١١٤٠) ٩-كتاب النكاح ، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر ، عن عائشة .
والنسائي في كتاب عشرة النساء ، ٢-باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض .
وابن ماجة (١٩٧١) ، ٩-كتاب النكاح ، ٤٧-باب القسمة بين النساء ، عن عائشة .

(١) سورة البقرة (٣١) .

(٢) سورة القلم (٤٢) .

روى البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا) .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ قال بشدة الأمر ، وقال ابن عباس هي أشد ساعة تكون يوم القيامة .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله : ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ هو الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله : ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ يقول حيث يكشف الأمر وتبدو الأعمال .

تفسير ابن كثير (٤/٤٠٧ ، ٤٠٨) .

(٣) سورة البقرة (٢٨٦) .

روى البخاري بسنده عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) .

ورواه مسلم [٢٥٦-(٨٠٨)] كتاب صلاة المسافرين ، ٤٣-باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة .

وقال النووي : معناه كفتاه من قيام الليل وقيل : من الشيطان ، وقيل من الآفات ، ويحتمل من الجميع .

النووي في شرح مسلم (٦/٨٠) طبعة دار الكتب العلمية .

المراد لا تكلفنا بما يشق علينا الدوام .

ولم يرد به عدم الطاقة أصلاً .

وذكر في بعض التفاسير : أي لا تجعلنا كالقردة والخنازير ، واعف عنا المسخ ، واغفر لنا القذف وارحمنا من العذاب من السماء ، فرفع الله على هذه الأمة هذه الثلاثة عن عامتهم[١] .

وأما قوله عليه الصلاة والسلام : (من صور صورة بيده كلف يوم القيامة بأن ينفخ فيه الروح)[٢] .

قلنا : المراد به تقرير عجزهم .

وإنما استحقوا الأمر عقوبة لهم .

فصل

قال أهل السنة والجماعة[٣] : أطفال المشركين خدام أهل الجنة .

---

(١) قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ أي من التكليف والمصائب والبلاء لا تبتلنا بما لا قبل لنا به ، وقد قال مكحول في قوله : ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ قال : العزمة والغلمة رواه ابن أبي حاتم ، قال الله نعم وفي الحديث الآخر قال الله : قد فعلت .
تفسير ابن كثير (٣٤٣/١) .

(٢) قال النووي : قال أصحابنا وغيرهم من العلماء تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم وهو من الكبائر ؛ لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث وسواء صنعه بما يمتهن أو بغير فصنعته حرام بكل حال لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى وسواء ما كان في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها ، وأما تصوير صورة الشجرة ورحال الإبل وغير ذلك مما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام .
شرح مسلم للنووي (٧٠/١٤) .

(٣) أهل السنة والجماعة هم الذين تمسكوا بعروة الإسلام وحبل الدين واجتمعوا في أصولهم غير متفرقين ، فكانوا هم أهل النجاة .
وأهل السنة يتبعون السلف من الصحابة والتابعين وعلى رأسهم الأئمة الأربعة ولا خلاف بين هؤلاء الأئمة في الاعتقادات وجميع أهل الحديث والرأي مثل مالك والأوزاعي والزهري والليث بن سعد وابن حنبل والنووي وابن معين وابن راهوية وأبي نور وأبي يوسف وغيرهم .
وأهل السنة متفقون إلا ما كان من اختلاف في الأحكام العملية الفقهية التي ليس عليها دليل قاطع من نص أو إجماع واختلافهم لا يوجب التكفير .
موسوعة الفرق والجماعات (ص٧٨) .

وقالت المعتزلة : الحكم بهم كحكم آبائهم مخلدون في النار .

واختلف علماء أهل السنة والجماعة في هذه المسألة .

قال أبو حنيفة رحمه الله : لا أدري أنهم في الجنة أم في النار .

وقال محمد بن الحسن[1] رحمه الله تعالى : إني أعلم أن الله لا يعذب أحدًا من ذنب .

وإنما قال أبو حنيفة رحمه الله : لا أدري احتياطًا لتعارض الأدلة .

فصل

ثم المخاطبون على أربعة أصناف : الملائكة ، وبنو آدم ، والجن ، والشياطين[2] .

أما الملائكة فكل من وجد منه الكفر ، فهو من أهل النار ، وعليه العقاب كإبليس لعنة الله عليه .

وكل من وجدت منه المعصية لا يكفر ، وعليه العقاب .

---

(١) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني مولاهم الكوفي الفقيه العلامة ، مفتي العراقين ، أبو عبد الله ، أحد الأعلام .
سمع أبا حنيفة وأخذ عنه بعض كتب الفقه وسمع مسعرًا ومالك بن مغول والأوزاعي ومالك بن أنس ولزم القاضي أبا يوسف وتفقه به .
أخذ عنه الشافعي وأبو عبيد وهشام بن عبيد الله وعلي بن مسلم ، وعمرو بن أبي عمرو ، وأحمد بن حفص البخاري وخلق سواهم .
قال ابن سعد : أصله من الجزيرة وسكن أبوه الشام ، ثم قدم واسطاً فولد له بها محمد في سنة (١٣٢) ، وسمع الكثير ونظر في الرأي وغلب عليه وسكن بغداد واختلف الناس إليه فسمعوا منه .
وقال آخر : ولي محمد بن الحسن القضاء للرشيد بعد القاضي أبي يوسف وكان إمامًا مجتهدًا من الأذكياء الفصحاء .
تاريخ الإسلام للذهبي (١٨١-١٩٠) .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٦٠-(٢٩٩٦)] كتاب الزهد والرقائق ، ١٠-باب في أحاديث متفرقة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم) .
وفي قوله تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ يذكر تعالى خلقه الإنسان من صلصال كالفخار وخلقه الجان من مارج من نار وهو طرف لهبها ، قاله الضحاك عن ابن عباس وبه يقول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد .
تفسير ابن كثير (٢٧١/٤) .

دليله قصة هاروت وماروت[١] ، وكل من وجد منه الطاعة فهو من أهل الجنة ، ولا ثواب له ، وأما الشياطين كلهم من أهل النار .

وأما بنو آدم كلهم من أهل الجنة إذا كانوا مؤمنين . وأما الجن[٢] فكل من وجد منه الكفر ، فهو من أهل النار وكل من تاب وآمن فله الجنة ولا ثواب له . عن أبي حنيفة رحمه الله كالملائكة .

وقال أبو يوسف[٣] ومحمد والشافعي رحمهم الله : لهم ثواب ، والحجة لأبي حنيفة

---

(١) روى عبد الرزاق بسنده عن عبيد الله بن عبد الله ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ كانا ملكين من الملائكة فأهبطا ليحكما بين الناس وذلك أن الملائكة سخروا من حكام بني آدم فحاكمت إليهما امرأة فجافا لها ثم ذهبا يصعدان ، فحيل بينهما وبين ذلك ثم خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا .
وقال معمر : قال قتادة فكانا يعلمان الناس السحر فأخذا عليهما أن لا يعلما أحدًا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ .
تفسير ابن كثير (١/ ١٤٠، ١٤١) .

(٢) في قوله تعالى : ﴿يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ .
استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة ، وإنما جزاء صالحيهم أن يجاروا من عذاب النار يوم القيامة ولهذا قالوا هذا ، في هذا المقام ، وهو مقام تبجح مبالغة فلو كان لهم جزاء على الإيمان أعلى من هذا لأوشك أن يذكروه .
وقال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لا يدخل مؤمنو الجن الجنة لأنهم من ذرية إبليس ولا تدخل ذرية إبليس الجنة والحق أن مؤمنيهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف وقد استدل بعضهم لهذا بقوله عز وجل : ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ وفي هذا الاستدلال نظر .
تفسير ابن كثير (١٧١/٤) .

(٣) أبو يوسف القاضي هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بحير بن معاوية الأنصاري ، ولد بالكوفة سنة (١١٣) ، تفقه بالإمام أبي حنيفة حتى صار المقدم في تلامذته .
كان والده إبراهيم فقيرًا ، فكان أبو حنيفة رضي الله عنه يتعاهد أبا يوسف بالمائة درهم بعد المائة يعينوه على طلب العلم .
فروى علي بن حرملة عن أبي يوسف قال : كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل ، فجاء أبي يومًا وأنا عند أبي حنيفة فقال : لا تمدن يا بني رجلك مع أبي حنيفة فأنت تحتاج إلى المعاش فأثرت طاعة أبي ، فتفقدني أبو حنيفة فجعلت أتعاهده ، فدفع لي مائة درهم وقال لي : الزم الحلقة ، فإذا نفذت هذه فأعلمني ، ثم أعطاني بعد أيام مائة أخرى ، وكان يتعاهدني .
توفي رحمه الله (١٨٢) .
تاريخ الإسلام وفيات (١٨١-١٩٠) .

رضي الله عنه القياس .

وهو أن لا يستحق العبد الثواب على الله تعالى بالطاعة إلا أن الأثر ورد في بني آدم فصار معدولاً عن القياس .

لأن العبد إذا عمل للمولى لا يستحق الأجر منه بذلك وكل من يقول : إنه يستحق الثواب بالطاعة فعليه الدليل إلا أن الله تعالى وعدهم بأن يغفر لهم ذنوبهم إذا تابوا .

يدل عليه قوله تعالى[١] : ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ . . . . . . إلى قوله : ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢] الآية .

وحجتهم إذا كان لهم العقوبة عند المعاصي علمنا أن لهم الثواب عند الطاعة .

وليس لهم أكل ولا شرب ولكن لهم شم .

وذلك يكون عند الهم ، ولهم التناسل كما في بني آدم وما يتصل بهذا[٣] .

---

(١) مما يدل على الثواب للجن قوله تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة ، وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس فقالوا : ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ، فلم يكن الله تعالى ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم .
وأيضًا فإنه إذا كان يجازي كافرهم بالنار وهو مقام عدل فلأن يجازي مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأولى والأحرى .
تفسير ابن كثير (١٧١/٤) .

(٢) سورة الأحقاف (٣١) .
ما ذكر هاهنا من الجزاء على الإيمان من تكفير الذنوب والإجارة من العذاب الأليم يستلزم دخول الجنة لأنه ليس في الآخرة إلا الجنة أو النار فمن أجير من النار دخل الجنة لا محالة ولم يرد معنا نص صريح ولا ظاهر عن الشارع أن مؤمني الجن لا يدخلون الجنة وإن أجيروا من النار ، ولو صح لقلنا به والله أعلم .
تفسير ابن كثير (١٧١/٤) .

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (١٧١/١) :
قد حكي فيهم أقوال غريبة فعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنهم لا يدخلون بحبوحة الجنة وإنما يكونون في ربضها وحولها وفي أرجائها ومن الناس من زعم أنهم في الجنة يراهم بنو آدم ولا يرون بني آدم بعكس ما كانوا عليه في الدار .
ومن الناس من قال لا يأكلون في الجنة ولا يشربون وإنما يلهمون التسبيح والتحميد والتقديس عوضًا عن الطعام والشراب كالملائكة لأنهم من جنسهم .
وكل هذه الأقوال فيها نظر ولا دليل عليها .

فصل

في معرفة نسل الشياطين : قيل إنها تبيض بيضات ، ويخرج منها الولد .

وهذا هو الصحيح .

وقد جاء في الخبر أن الشياطين إذا فرحوا على معصية بني آدم تبيض بيضات فيخرج منها الولد .

وقد جاء في الخبر أنه في إحدى فخذيه فرجًا وفي الآخر ذكرًا ، فيجامع نفسه فيخرج منه الولد .

وهذه رواية شاذة(١) .

وقد جاء في الخبر أنه ذكره في دبره ، فيخرج منه الولد ، وهذا غير صحيح .

والصحيح هو الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ثلاثة عروس الشياطين : النائحة والمغنية(٢) والسكران .

معناه يعانقهم ويقبلهم ، أما المجامعة لا تحصل بينه وبين بني آدم .

---

(١) قال ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس قال : كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل ، وكان من سكان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهادًا وأكثرهم علمًا فذلك دعاه إلى الكبر وكان من حي يسمونه حنا ، وعن ابن جريج بسنده عن ابن عباس قال : إن من الملائكة قبيلة من الجن وكان إبليس منها وكان يوسوس ما بين السماء والأرض فعصى فسخط الله عليه فنسخه شيطانًا رجيمًا لعنه الله ممسوخًا قال : وإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجه وإذا كانت في معصية فأرجه وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها والله أعلم .
تفسير ابن كثير (٣/٩١) .

(٢) روى ابن ماجة في سننه (١٨٩٧) كتاب النكاح ، ٢١-باب الغناء والدف ، عن الربيع بنت معوذ قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ صبيحة عرسي وعندي جاريتان يتغنيان وتندبان آبائي الذين قتلوا يوم بدر وتقولان فيما تقولان : وفينا نبي يعلم ما في غد ، فقال : (أما هذا فلا تقولوه ما يعلم ما في غد إلا الله) .
يا لها من تندبات : من الندبة أي تذكران أحوالهم والندبة عد خصال الميت ومحاسنه .
وفي رقم (١٨٩٩) عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ مر ببعض المدينة فإذا هو بجوارٍ يضربن بدفهن ويتغنين ويقلن :
نحن جوار من بني النجار — يا حبذا محمد من جار
فقال النبي ﷺ : (الله يعلم إني لأحبكن) قال في الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

لأن الشياطين ليس لهم عمل على بني آدم .

والذي يروى أن سليمان عليه السلام زال عنه ملكه أربعين يومًا[(١)] ، وأن الشياطين تتواصل إلى نسائه وجواريه ، فتولد الأكراد الذين يسكنون الجبال .

فلما عاد إليه الملك عزلهن عن نفسه .

قلنا : هذا غير صحيح ، والصحيح أنهم ما تواصلوا إلى نسائه وجواريه[(٢)] .

فصل

الغني أفضل من الفقير وبه أخذ بعض مشايخنا وقال عامة مشايخنا : الفقير الصابر خير من الغني الشاكر .

وبه أخذ الفقيه أبو الليث[(٣)] .

---

(١) قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ .
قال السدي : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ أي ابتلينا سليمان ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قال شيطانًا جلس على كرسيه أربعين يومًا قال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه وآمنهن عنده وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأمن عليه أحدًا من الناس غيرها فأعطاها يومًا خاتمه ودخل الخلاء فخرج الشيطان في صورته فقال هاتي الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام وخرج سليمان بعد ذلك فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا وخرج كأنه تائه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يومًا . . . . إلى آخر القصة .
انظر تفسير ابن كثير (٣٥/٤) .

(٢) قال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تبارك وتعالى : ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قال شيطانًا يقال له آصف فقال له سليمان عليه السلام كيف تفتنون الناس ؟ قال : أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر فساح سليمان عليه السلام وذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله تبارك وتعالى من نساء سليمان فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكرنه . . . . . . إلى آخر الرواية .
انظر المرجع السابق (٣٥/٤) .

(٣) أبو الليث الإمام الفقيه المحدث الزاهد نصر بن محمد بن إبراهيم ، أبو الليث السمرقندي الحنفي ، صاحب كتاب تنبيه الغافلين . وله كتاب الفتاوى .
يروي عن محمد بن الفضل بن أنيف البخاري وجماعة ، وتروج عليه الأحاديث الموضوعة روى عنه أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الترمذي وغيره .
نقلت وفاته من خط القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الحق أيده الله في جمادى الآخرة سنة (٣٧٥) .
=

واتفقوا على أن الفقير الصابر خير من الغني المبذر أو البخيل .

وحجة الفريق الأول : ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[(١)] .

منَّ عليه بالغني كما منَّ عليه بالهدى .

فلو كان الفقير أفضل لم يكن للامتنان معنى وفائدة .

وكذلك الأنبياء كانوا أغنياء كداود عليه السلام ، وسليمان ، ويوسف ، وإبراهيم ، وموسى ، وشعيب عليهم السلام ، والصحابة رضي الله عنهم كانوا أغنياء[(٢)] .

حتى روي أن عبد الرحمن بن عوف[(٣)] طلق امرأته في مرضه ، فصولحت امرأته عن ربع

= سير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٦) .
ترجمته : تاج التراجم (٥٨-٥٩) ، الجواهر المضية (٦١٠/٢) ، الفوائد البهية (٢٢١) ، هدية العارفين (٤٩٠/٢) ، سير الأعلام (٣٢٢/١٦) ، تاريخ الإسلام وفيات (٣٧١-٣٨٠) .

(١) سورة الضحى (٧، ٨) .
المراد بذلك أن النبي ﷺ ضل في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام وكان راكبًا ناقة في الليل فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة ثم عدل بالراحلة إلى الطريق حكاهما البغاوي .
وقوله تعالى : ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ أي كنت فقيرًا ذا عيال فأغناك الله عمن سواه فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر صلوات الله وسلامه عليه .
تفسير ابن كثير (٥٢٣/٤) .

(٢) كان منهم الأغنياء ومنهم الفقراء والذين لا يجدون قوت يومهم .
روى الترمذي في سننه (٢٣٦٨) كتاب الزهد ، ٣٩-باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ عن فضالة بن عبيد أن رسول اللّه ﷺ كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب هؤلاء مجانين أو مجانون فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال : (لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة) قال فضالة : وأنا يومئذ مع رسول الله ﷺ .
قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

(٣) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب ، أبو محمد القرشي الزهري ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الثمانية الذين سبقوا في الإسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، ومناقبه شهيرة ، أخرج له : أصحاب الكتب الستة توفي سنة (٣٢) .
ترجمته : تهذيب التهذيب (٢٤٤/٦) ، تقريب التهذيب (٤٩٤/١) ، الكاشف (١٧٩/٢) ، تاريخ البخاري الصغير (١/ ٥٠، ٦٠، ٩٠) ، الجرح والتعديل (٢٤٧/٥) ، تاريخ البخاري الكبير (٥/ ٢٣٩) ، أسد الغابة (٤٨٠/٣) ، الإصابة (٣٤٩/٤) ، تجريد أسماء الصحابة (٣٥٣/١) ، الاستيعاب (٨٤٤/٢) ، سير الأعلام (٦٨/١) ، البداية والنهاية (١٦٣/٧) ، أسماء الصحابة الرواة (٥١) .

ثمنها على ثمانين ألف درهم .

وفي رواية ثمانين ألف دينار[١] .

وكذلك روي أن النبي ﷺ أنه قال : (كاد الفقر أن يكون كفرًا)[٢] .

ولأن في الغنى جمع بين العبادتين عبادة النفس وعبادة المال .

فيكون الغني أفضل من الفقير .

وكذلك عن النبي ﷺ أنه قال : (نعم المال الصالح للرجل الصالح)[٣] .

وحجة الفريق الثاني قوله عز وجل : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[٤] .

وعن النبي ﷺ أنه قال : (عرضت عليَّ مفاتيح كنوز الدنيا فما كنت أقبلها ؛ أجوع يومين ، وأشبع يومًا)[٥] .

وكذلك روي عن النبي ﷺ أنه قال : (اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين)[٦] .

---

(١) قال الذهبي : وقال محمد بن سيرين : اقتسم نساء ابن عوف ثمنهن فكان ثلاثمائة وعشرين ألفًا . تاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة (٣٢) .

(٢) أخرجه : الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/ ٥٢، ١٤٢، ١٥٠) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥٣/٣) ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٣٢٠) ، وفي مشكاة المصابيح (٥٠٥١) ، وفي تذكرة الموضوعات (١٧٤) ، والسيوطي في الدرر المنتثرة (١٢٤) .

(٣) أخرجه : أحمد بن حنبل في مسنده (١٩٧/٤) ، والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٩) ، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٤٩، ٩/ ٨٧) ، وفي تذكرة الموضوعات (١٧٤) ، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٤٢) .
وذكره ابن حجر في الفتح (٧٥/٨) بلفظ (نعم المال الصالح للمرء الصالح) .

(٤) سورة العلق (٦، ٧) .

(٥) أخرجه : الزبيدي في الإتحاف (٢٦١/٤) ، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢٣٩/١) ، (٢٨٤/٤) .

(٦) أخرجه : الترمذي (٢٣٥٢) كتاب الزهد ، ٣٧-باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم ، عن أنس .
وابن ماجة (٤١٢٦) كتاب الزهد ، ٧-باب مجالسة الفقراء ، عن أبي سعيد الخدري .
قال السيوطي : قال الحافظ صلاح الدين بن العلاء الحديث ضعيف الإسناد لكن لا يحكم عليه بالوضع وأبو المبارك وإن قال فيه الترمذي : مجهول ، فقد عرفه ابن حبان وذكره في الثقات ويزيد بن سنان قال فيه ابن معين ليس بشيء ، وقال البخاري : مقارب الحديث ، إلا أن ابنه محمد بن يزيد روى عنه مناكير ، وقال أبو حاتم محله الصدق ولا يحتج به ، وباقي رواته مشهورون قال =

ولأن الأنبياء عليهم السلام كانوا فقراء مثل زكريا ويحيى وعيسى والخضر وإلياس عليهم السلام .

وكثير من الناس يدل عليه أنه مات أربعين نبيًّا في يوم واحد من الجوع والقمل .

ونبينا ﷺ اختار ما روى الفقراء[1] وقال : (لكل نبي حرفة ، وحرفتي اثنان الفقر والجهاد) .

قال : (فمن أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني) .

وفي خبر آخر : (الغنى ميسرة في الدنيا مشقة في الآخرة ، والفقر مشقة في الدنيا ميسرة في الآخرة) .

وفي الخبر : (إن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم)[2] .

وهو خمسمائة عام من سنين الدنيا .

فثبت أن الفقر أفضل من الغنى .

والجواب عن احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[3] ، أي أغناك بالقناعة وهي كنز لا يفنى .

لأن الغنى غنى القلب لا غنى المال[4] .

= العلاء : إنه ينتهي بمجموع طرقه إلى درجة الصحة وقال الحافظ ابن حجر : قد حسنه الترمذي ، لأن له شاهدًا .

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٠-(٢٩٧٠)] كتاب الزهد والرقائق ، في فاتحته ، عن عائشة قالت : (ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعًا حتى قبض) .
وفي رقم [٢٨-(٢٩٧٢)] عنها أيضًا أنها قالت : إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار ، قلت : يا خالة فما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار ، وكانت لهم منائح ، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه .

(٢) أخرجه : الترمذي (٢٣٥٣) كتاب الزهد ، ٣٧-باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم ، عن أبي هريرة .
وابن ماجة (٤١٢٢) كتاب الزهد ، ٦-باب منزلة الفقراء ، عن أبي هريرة .
قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح وأخرجه النسائي في الكبرى ، كتاب التفسير .

(٣) سورة الضحى (٨) .

(٤) روى مسلم في صحيحه [٩٩-(١٠٣٨)] كتاب الزكاة ، ٣٣-باب النهي عن المسألة ، عن معاوية =

والثاني أغناك بالعلم .

والجواب عن قولهم : والأنبياء كانوا أغنياء .

قلنا : كانوا أغنياء في القلب أغنياء بالعلم ، ولم يلتفتوا إلى الدنيا والمال كانت في أيديهم ولم يطمئنوا بالقلب بها ، وأكلوا من كسب أنفسهم .

وفي الخبر[1] : (الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا العالم والمتعلم)[2] .

وفي رواية أخرى : (إلا من ذكر الله) .

وأما قوله : (كاد الفقر أن يكون كفرًا)[3] .

قلنا : المراد به الفقر عن العلم عن الصبر ، لا عن المال ، أو كاد أن يكون مستورًا عن أعين الناس ، لا من غاية عزته .

فصل

قالت القدرية[4] : لا يفرض على العبد الاكتساب وطلب المال .

= قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تلحفوا في المسألة فوالله لا يسألني أحد منكم شيئًا فتخرج له مسألته مني شيئًا وأنا له كاره فيبارك له فيما أعطيته) .

وروى مسلم [٩٦-(١٠٣٥)] كتاب الزكاة ، ٣٢-باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى ، عن حكيم ابن حزام قال سألت النبي ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال : (إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ، ومن أخذ بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى) .

(١) الحديث أخرجه : الترمذي (٢٣٢٢) كتاب الزهد ، باب منه (ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل) ، عن أبي هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ، وعالم أو متعلم) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .
وأخرجه : ابن ماجة (٤١١٢) كتاب الزهد ، ٣-باب مثل الدنيا ، عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه أيضًا ابن عبد البر في التمهيد (٣١٧/١) ، والشجري في أماليه (١٦١/٢) ، والمنذري في الترغيب (٩٨/١) ، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٨٠، ٨١) ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٣١٢) .

(٣) تقدم تخريجه من قبل .

(٤) القدري في المنظور الإسلامي هو من يجعل لنفسه شيئًا من القدر وينفيه عن ربه ، وأما من يثبت القدر لله وينفيه عن نفسه فإنه ليس بقدري ، فإذا قال بالتسليم الكلي وفوض الأمر لله فإنه من أهل السنة والجماعة ، فمن اعتقد أن شيئًا من أفعال الله لا يقع ظلمًا ولا باطلاً وأنه لا اعتراض عليه في شيء مما يأتيه أو يذره وبنى عقائده على قول الله : ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ لم يكن =

وقال أهل السنة والجماعة : إن كان له قوت فالكسب له سنة ومباح ، وإن لم يكن له قوت ولا درهم يشتري به القوت فالكسب له رخصة ، وإن كان مضطرًا وله أهل وعيال فالكسب عليه فريضة .

قالت المتقشفة والكرامية : الكسب حرام ، ووضع المال حرام .

لأن التوكل على الله واجب .

قال الله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[1] ، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2] .

وقالوا : الاكتساب يرفض التوكل ، وذلك لا يجوز لأن الله تعالى يرزقه من حيث لا يحتسب ، إلا أنا نقول التوكل على الله فريضة ، والاكتساب لا يرفض التوكل .

لأن التوكل من صفة القلب ، وهو الثقة بالله تعالى والخوف والرجاء من الله تعالى .

ورؤية الرزق من الكسب كفر وضلال ، ومن الله تعالى دين وشريعة .

ويدل عليه ما روي عن النبي ﷺ[3] أنه قال[4] : (من طلب الدنيا حلالاً واستعفافًا عن

= قدريًا ، وكان من أهل السنة وهؤلاء عقيدتهم أن كل ما يجري على العبد من المعاصي فهو خلق من الله تعالى وهو عدل منه سبحانه ومعصية من العبد ، وكل ما يجري من العبد من الطاعات فهو خلق من الله تعالى وهو من الله فضل بمعنى أنهما من العبد طاعة ومعصية ومن الرب فضل وعدل .
موسوعة الفرق والجماعات (ص٣١٨) .

(١) سورة إبراهيم (١٢) .

(٢) سورة المائدة (٢٣) .
يخبر تعالى عما كان من قوم موسى بعد أن دعاهم إلى دخول الأرض المقدسة ورفضهم بقولهم : ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ .
وقال ابن كثير : فلما نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسول الله موسى ﷺ حرضهم رجلان لله عليهما نعمة عظيمة وهما ممن يخاف أمر الله ويخشى عقابه فقالا : ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي إن توكلتم على الله واتبعتم أمره ووافقتم رسوله نصركم الله على أعدائكم وأيدكم وظفركم بهم ودخلتم البلد التي كتبها لكم .
تفسير ابن كثير (٢/٤٠) .

(٣) الحديث أخرجه : ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/١٦) ، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٤١٤ ، ٨/١٢٢) ، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٠٧) ، والشجري في أماليه (٢/١٧٣) ، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/٢١٧) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ١١٠ ، ٨/ ٢١٥) .

(٤) وأخرجه أيضًا الخطيب في الفقيه والمتفقه (٤٤) .

المسألة وسعيًا على عياله وتعطفًا على جاره ، جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، ومن طلب الدنيا حلالاً مفاخرًا متكاثرًا لقى الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان) .

ويدل عليه أن النبي ﷺ كان يدخر لنسائه قوت سنته .

وكذلك قوله تعالى : ﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[١] ، فلو كان الاكتساب حرام لما أمر الله تعالى بالإنفاق من المكسوب[٢] .

وكذلك أمر بإيتاء الزكاة ، فلو كان الاكتساب حرامًا لما أمر بإيتاء الزكاة .

ثم الدليل على أن الاكتساب من المال الحلال حلال ليس بحرام .

لأن الأنبياء عليهم السلام كانوا متوكلين مكتسبين .

لأن آدم عليه السلام كان زراعًا ، وإدريس عليه السلام كان خياطًا ، ونوح عليه السلام كان بزازًا ، وموسى عليه السلام كان أجيرًا لشعيب[٣] .

---

(١) سورة البقرة (٢٦٧) .
يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإنفاق والمراد به الصدقة هاهنا قاله ابن عباس من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها قال مجاهد : يعني التجارة بتيسيره إياها لهم وقال علي والسدي ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يعني الذهب والفضة ومن الثمار والزروع التي أنبتها لهم في الأرض .
قال ابن عباس أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيه وهو خبيثه ، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا ولهذا قال : ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ﴾ أي تقصدوا الخبيث ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ .
تفسير ابن كثير (١/٣٢٠) .

(٢) روى أحمد في مسنده بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وأن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه) قالوا : وما بوائقه يا نبي الله ؟ قال : (غشه وظلمه ولا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث) .

(٣) وذلك في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ۞ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ .
قد روى ابن ماجة في سننه (٢٤٤٤) كتاب الرهون ، ٥-باب إجارة الأجير على طعام بطنه ، عن عتبة بن الندر قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقرأ طسم ، حتى إذا بلغ قصة موسى قال : (إن موسى ﷺ أجر نفسه ثماني سنين أو عشرًا على عفة فرجه وطعام بطنه) .

ومحمد ﷺ كان غازيًا حتى روي في الخبر[١] : (بعثني الله تعالى بين يدي قيام الساعة بالسيف ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالفني ، ومن تشبه بقوم فهو منهم) .

فثبت أن الاكتساب ليس بحرام .

ثم إن الأنبياء عليهم السلام ليس عليهم حساب ، ولا عذاب ولا سؤال القبر[٢] .

وكذلك أطفال المؤمنين ليس عليهم حساب ولا عذاب القبر .

وكذلك العشرة الذين بشرهم الرسول بالجنة[٣] ، ليس عليهم حساب ولا عذاب القبر .

وهذا كله حساب المناقشة ، أما حساب العرض فللأنبياء والصحابة جميعًا .

وهو أن يقال فعلت كذا ، وعفوت عنك .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٨/٦-فتح) كتاب الجهاد والسير ، باب ما قيل في الرماح رقم الحديث (٢٩١٤) .
وأبو داود في سننه (٣١٤/٤) كتاب اللباس ، ٥-باب في لبس الشهرة ، رقم (٤٠٣١) .
وابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٣/٥) كتاب الجهاد ، باب فضل الجهاد والحث عليه ، وأحمد في المسند (٢/ ٥٠ ، ٩٢) .
وعبد بن حميد (٢٦٨/١) رقم (٨٤٨) .

(٢) اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر ، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة ، قال الله تعالى : ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ الآية ، وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ويعذبه .
وإذا لم يمنعه العقل وورد الشرع به وجب قبوله واعتقاده .
وقد ذكر مسلم هنا أحاديث كثيرة في إثبات عذاب القبر وسماع النبي ﷺ صوت من يعذب فيه .
شرح مسلم للنووي (١٦٥/١٧) .

(٣) حديث العشرة المبشرين بالجنة أخرجه : الترمذي (٣٧٤٧) كتاب المناقب ، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : (أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وسعد في الجنة ، وسعيد في الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة) .
والنسائي في الكبرى في المناقب : باب عبد الرحمن بن عوف .
وأخرجه الترمذي (٣٧٤٨) عن سعيد بن زيد وابن ماجة (١٣٣) في فضائل العشرة رضي الله عنهم وعن سعيد بن زيد .

وأما حساب المناقشة أن يقال لما فعلت[١] ؟

قال بعض أهل الباطل : إن الله تعالى خلق الأشياء كلها حين خلقها الآن ، ولم يبق شيء غير مخلوق حتى يخلقه الآن ، وكل ما كان مخلوقًا فرغًا عنها .

حتى إن الثمار في الأشجار كلها مخلوقة ، إلا أنها غير ظاهرة ، ونحن لا نراها ، وفي الحقيقة مخلوقة .

واحتجوا بقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[٢] .

وقال أهل السنة والجماعة : إن الله تعالى قدر ما هو كائن إلى يوم القيامة[٣] ، ولم يخلقها حين قدرها ، وإنما يخلقها بعد ذلك في كل وقت ، وإن خلق فيما مضى ، وفي المستقبل خلقها .

يدل عليه قوله تعالى : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[٤] .

---

(١) قال النووي : في قوله ﷺ : (من نوقش الحساب يوم القيامة عذب) معنى نوقش استقصي عليه ، قال القاضي وقوله عذب له معنيان : أحدهما : أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب لما فيه من التوبيخ .
والثاني : أنه مفضي إلى العذاب بالنار ويؤيده قوله في الرواية الأخرى هلك ما كان عذب هذا كلام القاضي ، وهذا الثاني هو الصحيح ومعناه أن التقصير غالب في العباد ، فمن استقصي عليه ولم يسامح هلك ودخل النار ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء .
النووي في شرح مسلم (١٧/١٧١) طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) سورة البقرة (٢٩) .

(٣) قال الخطابي : قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه ، وليس الأمر كما يتوهمونه ، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقرير منه وخلق لها خيرها وشرها .
قال : والقدر اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر ، يقال : قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد ، والقضاء في هذا معناه الخلق .
النووي في شرح مسلم (١/١٣٨) طبعة دار الكتب العلمية .

(٤) سورة الرحمن (٢٩) .
قال الأعمشي عن مجاهد عن عبيد بن عمير ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ قال من شأنه أن يجيب داعيًا أو يعطي سائلاً أو يفك عانيًا أو يشفي سقيمًا .
وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : كل يوم هو يجيب داعيًا ويكشف كربًا ويجيب مضطرًا ويغفر ذنبًا ، وقال قتادة : لا يستغني عنه أهل السماوات والأرض يحيي حيًا ويميت ميتًا ويربي صغيرًا ويفك أسيرًا وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم .
تفسير ابن كثير (٤/٢٧٣) .

وقال عليه السلام : (شأنه أن يحيي ويميت ويعز ويذل) .

وعن علي رضي الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[(١)] .

فقال : شأنه أن يسوق النطفة من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات ، ثم يصورها بصورة ثم يخرجها من بطن الأم إلى الدنيا ، ثم يميته ثم يبعثه يوم القيامة[(٢)] .

يدل عليه أن الله تعالى قدر يوم القيامة وليس بمخلوق .

لأنه لو كان مخلوقًا لكنا نحن في القيامة ، وليس كذلك .

ويدل عليه أن الله تعالى خلق القلم وقال له : (اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة)[(٣)] .

فإن قيل : القلم : هل فيه حياة ؟ .

قلنا ليس فيه حياة لكنه جماد يستنطقه الله تعالى كما يستنطق الأحياء .

فإن قيل : ما الحكمة بأن الله أمر القلم بأن يكتب اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة ، وهو عالم به[(٤)] .

---

(١) قال البزار حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن الحارث ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال : (يغفر ذنبًا ، ويكشف كربًا) .

ثم قال ابن جرير بسنده عن ابن عباس : إن الله خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور ، وكتابه نور ، وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء .

تفسير ابن كثير (٤/٢٧٣) .

(٢) قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ سورة المؤمنون (١٢-١٦) .

(٣) أخرجه : ابن جرير في التفسير (١٤/٢٩) ، وأبو الشيخ في العظمة (٨٩٧) ، والحاكم في المستدرك (٢/٤٩٨) .

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/٣) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١٨١ ، ١٨٢) .

(٤) أخرجه الدينوري في كتاب المجالسة وجواهر العلم (٢/ ٣٢، ٣٣) رقم (١٢٥٠) .

من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية .

قال : حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي وذكر سنده عن ابن عباس قال : قال عبد الله إن أول خلق الله عز وجل القلم والنون وهي الدواة ، ثم قال للقلم : أكتب ، قال : وما اكتب ؟ ، قال : اكتب =

قلنا : لكي يعلم أن الله تعالى يعلم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى .

فصل

قالت المعتزلة والرافضة والجهمية : كرامات الأولياء باطلة ، أما معجزات[1] الأنبياء فثابتة صحيحة واحتجوا وقالوا : لو قلنا بأن كرامات الأولياء ثابتة حق ، ليطلق معجزات الأنبياء ، ولا يكون فرقًا بين النبي والولي .

ويقولون ما يحتجون علينا من كرامات مريم في قوله تعالى : ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا﴾[2] الآية .

فذلك كرامات عيسى عليه السلام .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ﴾[3] .

= الدنيا وما فيها من عمل معمول برًا وفجورًا ورزق حلال أو حرام أو رطب أو يابس ، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، ثم خلق ملائكة ووكلهم بالكتاب وخلق ملائكة ووكلهم بالعمل وبني آدم فتنطلق الملائكة الذين وكلوا بالخلق إلى الملائكة الذين وكلوا بالكتاب فيخرجون إليهم بالنسخ مما يجري على بني آدم بالليل والنهار . . . . . . الحديث بطوله .

(١) قالت الأشعرية : المعجزة فعل خارق للعادة مقترن بالتحدي سليم عن المعارضة يتنزل منزلة التصديق بالقول من حيث القرينة وهو منقسم إلى خرق المعتاد وإلى إثبات غير المعتاد .
والكرامات للأولياء حق ، وهي من وجه تصديق للأنبياء وتأكيد للمعجزات .
الملل والنحل للشهرستاني (١/١٠٢) .

(٢) سورة مريم (٢٥) .
وهذا فيه الدليل على جواز الكرامات للأولياء أن مريم قيل لها : ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ ومريم لم تكن نبية ، والآيات والكرامات ربما تنقضي لوقتها ولكن أكبر الكرامات هو أن تبدل خلقًا مذمومًا من نفسك بخلق محمود .
والصوفية في ذلك يقولون لو أن رجلاً بسط مصلاة على الماء وتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الأمر والنهي .
انظر المعجم الصوفي (ص٢٣٥) .

(٣) قال في المعجم الصوفي (ص٢٠٨) :
المعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء وظهور الكرامات على الأولياء جائز عقلاً وصدقًا طالما أن ذلك معلق بقدرة الله تعالى .
والفرق بين المعجزة والكرامة أن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بإظهار معجزاتهم والولي يجب عليه ستر كراماته وإخفاؤها وليست الكرامات للأولياء إلا تأديبًا لنفوسهم وتهذيبًا لها وزيادة لهم .

ذلك كرامات زكريا عليه السلام .

قال أهل السنة والجماعة : كرامات الأولياء جائزة وهي لا تقدح معجزات الأنبياء عليهم السلام[١] .

وهاهنا ثلاث مراتب : معجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء[٢] ، ومخادعات الأعداء .

وإنما سمى معجزات لأنه يعجز غير النبي عن الإتيان بها مثل عصى موسى عليه السلام ، وانشقاق القمر ، وغير ذلك من المعجزات .

وفرق بين المعجزات والكرامات .

أما من معجزات الأنبياء عليهم السلام فيراها الكافر والمسلم والمطيع والعاصي والفاسق وأما كرامات الأولياء فلا يراها إلا ولي مثله ولا يراها الفاسق[٣] .

والثاني : وهو أن المعجزة كلما أراد النبي يقدر على إيجادها ، فيدعو الله فيظهر له المعجزة .

وأما كرامات الولي[٤] : فلا يراها إلا في الأوقات المخصوصة ، يريه الله تعالى ذلك

---

(١) سورة آل عمران (٣٧) .
قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو الشعثاء والنخعي والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفي والسدي : يعني وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف .
تفسير ابن كثير (٣٦٠/١) .

(٢) قال الشوكاني : وإذا عرفت أنه لا بد للولي من أن يكون مقتديًا في أقواله وأفعاله بالكتاب والسنة ، وأن ذلك هو المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل فمن ظهر منه شيء مما يخالف هذا المعيار فهو رد عليه ، ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولي الله فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجن ، فإنه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستحضره هذا المعيار أنه كرامة وهو في الحقيقة مخاريق شيطانية وتلبيسات إبليسية .
قطر الولي على حديث الولي (صـ٤١)-من تحقيقنا - طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) فرقة من المتصوفة المبطلة آمنوا بعصمة الولي وطهارته وعظم قدرته في حياته وبعد مماته ، وخافوا الإنكار عليه ولو أتى المنكرات واقترف الفواحش وفضلوا الولاية على النبوة وحجتهم أن الأنبياء يوحى إليهم بواسطة والأولياء يتلقون من الله بلا واسطة ، وكان الجنيد مثلاً يقول : خضنا بحرًا وقف الأنبياء بساحله .
انظر المعجم الصوفي (صـ٣٧، ٣٨) .

(٤) قال الشوكاني في قطر الولي على حديث الولي (صـ٦٤، ٦٥) :
الحاصل أن من كان من المعدودين من الأولياء إن كان من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والقدر خيره وشره مقيمًا لما أوجب الله عليه ، تاركًا لما نهاه الله عنه ، مستكثرًا من طاعته ، فهو =

ترغيبًا على الطاعة .

والفرق الثالث : وهو أن المعجزة يقر بها النبي ويعلمها الناس ، ويجب عليه أن يقر بنفسه أولاً أنها معجزة من الله تعالى ، ثم يظهرها لغيره ، لأنه لو أنكر أنها ليست بمعجزة يكفر .

وأما الكرامة فلا يجب أن يقر بها الولي بأنها كرامته بل يقول بأنها كرامة غيره من المؤمنين(١) .

وأما مخادعات الأعداء فالمذهب عند أهل السنة والجماعة أن الشياطين يصورها الله تعالى على أي صورة شاء ، فيجعل نفسه عصفورًا بين يدي الإنسان ، فيوسوس للإنسان ، والدليل على أن كرامات الأولياء جائزة قصة أصحاب الكهف حين خرجوا من الغار ، ولم يطل شعرهم ولم تتمزق ثيابهم(٢) .

كانوا كالعالم الأول إذ دخلوا الغار .

ويدل عليه قصة آصف صاحب سليمان عليه السلام قال الله تعالى : ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ

= من أولياء الله سبحانه وما ظهر عليه من الكرامات التي لم تخالف الشرع فهي موهبة من الله عز وجل لا يحل لمسلم أن ينكرها .
ومن كان بعكس هذه الصفات فليس من أولياء الله سبحانه وليست ولايته رحمانية بل شيطانية وكراماته من تلبيس الشيطان عليه وعلى الناس ، وليس هذا بغريب ولا مستنكر فكثير من الناس من يكون مخدومًا بخادم من الجن أو بأكثر فيخدمونه في تحصيل ما يشتهيه وربما كان محرمًا من المحرمات .

(١) هناك شروط لكرامة الولي حتى تكون كرامة من الله عز وجل وليس غواية من الشيطان أو إضلالاً من بعض الجن ولذا يجب توفر بعض الشروط منها :
١- أن يكون صاحب الكرامة مؤمنًا تقيًا عاملاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ مؤديًا للفرائض والواجبات متجنبًا للمحرمات والمكروهات .
٢- أن لا يدعي صاحب الكرامة الولاية لأن ادعاء الولاية رجم بالغيب سواء لنفسه أو لغيره ، وذلك لأن المؤمن لا يدري ما الذي قبله الله من أعماله وما الذي رده بغير قبول ، ولأن ادعاء الولاية أيضًا تزكية للنفس قد نهى الله عنها فقال تعالى : ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ .
٣-أن لا تكون الولاية سببًا في ترك شيء من الواجبات .
٤-أن لا تخالف الولاية أمرًا من أمور الدين .
انظر أصول الاعتقاد للالكائي .

(٢) وذلك في قولهم : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي كما أرقدناهم وأيقظناهم بهيآتهم أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان .
انظر قصتهم كاملة في تفسير ابن كثير (٣/ ٨١، ٨٠) .

مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[١] .

فلما جاز أن يكون له كرامة بسبب سليمان ، جاز أن تكون لهذه الأمة من الكرامة بسبب النبي ﷺ[٢] .

فصل

قالت المعتزلة : إن الشياطين ليس لهم عمل على بني آدم ولا يمكنهم أن يوسوسوا في نفس الإنسان توسوسهم (حشا)[٣] .

وكذلك الجن قالوا : ليس لهم عمل على بني آدم في الظاهر والباطن ، أما في الباطن مما روي عن النبي ﷺ أنه قال : (الشيطان يجري في عروق بني آدم مجرى الدم فضيقوا الجارحة

---

(١) سورة النمل (٤٠) .
قال ابن عباس : وهو آصف كاتب سليمان وكذا روى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان أنه آصف بن برخياء وكان صديقًا يعلم الاسم الأعظم وقال قتادة كان مؤمنًا من الإنس واسمه آصف وكذا قال أبو صالح والضحاك وقتادة إنه كان من الإنس زاد قتادة من بني إسرائيل .
وقال مجاهد كان اسمه أسطوم .
وقال قتادة في رواية عنه كان اسمه بليخا .
وقال زهير بن محمد هو رجل من الإنس يقال له ذو النور .
وقال مجاهد قال : يا ذا الجلال والإكرام ، وقال الزهري قال : يا إلهنا وإله كل شيء إلهًا واحدًا لا إله إلا أنت ائتني بعرشها قال فمثل بين يديه .
انظر تفسير ابن كثير (٣/٣٧٦) .

(٢) وردت في السنة كرامات كثيرة لأولياء الله الصالحين أصحاب رسول الله ﷺ كأسيد بن حضير رضي الله عنه كان يقرأ سورة الكهف فنزلت عليه السكينة من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة .
وأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له : (لو استمر على تلاوته لاستمرت تلك السكينة واقفة عليه باقية عنده) .
وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين وكان سلمان الفارسي وأبو الدرداء يأكلان في صحفة فسبحت أو سبح ما فيها .
وكان الصديق رضي الله عنه يأكل هو وأضيافه من القصعة فلا يأكلون لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها فشبعوا وهي أكثر مما كان فيها قبل أن يأكلوا .
انظر قطر الولي على حديث الولي (ص٥٥ ، ٥٦) .

(٣) كذا بالأصل .

بالجوع والعطش)[1] .

فثبت أن لهم ولاية على بني آدم في الباطن فيوسوس الإنسان ، ويعدوهم إلى الشر ، وأما في الظاهر فإنه يزين المعاصي في قلوب العباد لقوله تعالى : ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[2] ، فإن قيل ما الحكمة في أنهم يروننا[3] ، ونحن لا نراهم .

قلنا : لأنهم خلقوا على صورة قبيحة .

فلو رأيناهم لم نقدر على تناول الطعام والشراب فستروا عنا رحمة من الله تعالى .

وأما الجن[4] خلقوا من الريح ، وأصل الريح لا يرى فكذلك ما خلق الله تعالى منه .

---

(١) أخرجه : مسلم [٢٣-(٢١٧٤)] كتاب السلام ، ٩-باب بيان أن يستحب لمن رئي خاليًا بامرأة وكانت زوجته أو محرمًا ، عن أنس قال النووي : قوله ﷺ : (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم) قال القاضي وغيره : قيل هو على ظاهره ، وأن الله تعالى جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان مجاري دمه .
وقيل : هو على الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه .
وقيل : يلقي وسوسته في مسام لطيفة من البدن فتصل الوسوسة إلى القلب ، والله أعلم .
شرح مسلم للنووي (١٤/١٣١) .
وأخرجه أبو داود (٤٧١٩) في السنة ، باب في ذراري المشركين .
أيضًا أخرجه ابن ماجة (١٧٧٩) كتاب الصيام ، ٦٥-باب في المعتكف يزوره أهله في المسجد .

(٢) سورة النمل (٢٤) .
وفي سورة الأنفال ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي حسن لهم لعنه الله ما جاءوا له وما أهموا به وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس ونفى عنهم الخشية من أن يؤتوا في ديارهم من عدوهم بني بكر فقال إني جار لكم .
انظر تفسير ابن كثير (٢/٣٢٤) .

(٣) قال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .
سورة الأعراف (٢١٣) .

(٤) قال تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ (الرحمن ١٤ ، ١٥) .
يذكر تعالى خلقه الإنسان من صلصال كالفخار وخلقه الجان من مارج من نار وهو طرف لهبها ، قاله الضحاك عن ابن عباس وبه يقول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد وقال العوفي عن ابن عباس من مارج من نار من لهب النار من أحسنها ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من مارج من نار من خالص النار ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم .
تفسير ابن كثير (٤/٢٧١) .

وأما الملائكة خلقوا من النور[١] .

فلو رأيناهم لطارت أرواحنا وأعيننا إليهم .

وأما قولهم : فإن بني آدم له نفس بأن توقفهم في المعاصي .

قلنا : نعم ولكن بواسطة وسوسة الشيطان .

قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[٢] .

فصل

في إثبات الرسالة لما ثبت أن للعالم صانعًا قادرًا عالمًا حكيمًا .

فمن حكمته أن لا يعطل عبيده عن الأوامر والنواهي لأنه لو عطلهم لا يكون له عليهم حجة يوم القيامة ، ثم الأمر والنهي إنما يكون بالخطاب في المشافهة ولا وجه إلى الخطاب بالمشافهة .

لأن الدار دار الابتلاء والإيمان بالغيب فريضة[٣] ، وفيه الولي والعدو .

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه [٦٠-(٢٩٩٦)] كتاب الزهد والرقائق ، ١٠-باب في أحاديث متفرقة قال : حدثنا محمد بن رافع وعبد بن حميد (قال عبد أخبرنا ، وقال ابن رافع : حدثنا) عبد الرزاق .
أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم) .
وقال النووي : الجان الجن المارج اللهب المختلط بسواد النار .

(٢) سورة الناس (٥ ، ٦) .
قال ابن كثير : هل يختص هذا ببني آدم كما هو الظاهر أو يعم آدم والجن ؟ فيه قولان ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليبًا .
وقال ابن جرير قد استعمل فيهم رجال من الجن فلا يدع في إطلاق الناس عليهم .
وقوله تعالى : ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ هل هو تفضيل لقوله : ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ ، ثم بينهم فقال : ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ ، وهذا يقوي القول الثاني ، وقيل قوله : ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ تفسير الذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن كما قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ .
تفسير ابن كثير (٥٧٥/٤) .

(٣) قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ (البقرة ٣) .
قال ابن جرير : والأولى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولاً واعتقادًا وعملاً وقد تدخل =

فلو خاطبهم في هذه الدار لا يكون فرقًا بينهم فخاطبهم بالسفير ، وهم الرسل .

وبعث إليهم في كل عصر وزمان رسولاً من وقت آدم إلى نبينا محمد ﷺ وجعل لهم معجزة خارجة عن الطبع والعادة لإلزام الحجة عليهم[١] .

ثم الدليل على نبوته ﷺ الآيات الباهرة والحجج الظاهرة ، وفيها القرآن وانشقاق القمر ، وحنين الجذع[٢] ، وتسبيح الحصى في يده ، وتكثير الطعام القليل ببركته[٣] ، وبركة دعائه ، وأما معجزاته في القرآن من وجهين .

= الخشية لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل ، والإيمان كلمة جامعة للإيمان بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل .
وأما الغيب المراد هاهنا فقد اختلفت عبارات السلف فيه ، وكلها صحيحة ترجع إلى أن الجميع مراد قال الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ قال يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره وبقائه ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث فهذا غيب كله .
تفسير ابن كثير (١/ ٤٠ ، ٤١) .

(١) قال تعالى : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ .
أي أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة ، وبين ما يحبه ويرضاه ، مما يكرهه ويأباه ، لئلا يبقى لمعتذر عذر كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ .
وروى البخاري بسنده عن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ : (لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين) وفي لفظ آخر (من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه) .
تفسير ابن كثير (٥٨٨/١) .

(٢) روى الترمذي في سننه (٣٦٢٧) كتاب المناقب ، باب في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله عز وجل به ، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ خطب إلى لزق جذع واتخذوا له منبرًا ، فخطب عليه فحنَّ الجذع حنين الناقة فنزل النبي ﷺ فمسه فسكن .
وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٣) روى البخاري في المناقب باب علامات النبوة ، وفي الأطعمة باب من أكل حتى شبع ، ومسلم في الأشربة ، باب جواز استتباعه قبره إلى دار من يثق برضاه بذلك ، عن أنس ، عندما أحضرت أم سليم أقراصًا من شعير ففتّ ثم قال رسول الله ﷺ : ائذن لعشرة فأذن لعشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال : ائذن لعشرة وهكذا حتى أكل القوم كلهم وكانوا سبعين أو ثمانين رجلاً ، وهو حديث طويل ذكرناه بمعناه .

أحدهما : من جهة لفظه ونظمه وإيجازه واختصاره واشتماله على معان كثيرة تحت ألفاظ قليلة .

والثاني : من جهة المعنى ، لأنه أخبر عن عالم الغيب في أشياء كثيرة فكان كما قال[١] فيها قوله تعالى : ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[٢] .

فكان كما قال تعالى : ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٣] .

فكان كما قال .

لأن اليهود لعنهم الله وجدوا في التوراة إذا تمنوا الموت يموتون ، فامتنعوا عن ذلك ، وكذلك دعاء النصارى إلى المباهلة ، فامتنعوا عن ذلك[٤] .

---

(١) كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤية تتفسر هذا العام ، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل وقع في نفس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك شيء حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فقال له فيما قال أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : (بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟) ، قال : لا ، قال النبي ﷺ : (فإنك آتيه ومطوف به) ، وبهذا أجاب الصديق رضي الله عنه أيضًا حذو القذة بالقذة ، ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ .
تفسير ابن كثير (٢٠١/٤) .

(٢) سورة الفتح (٢٧) .

(٣) سورة البقرة (٩٤) .
قال محمد بن إسحاق بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي ادعوا بالموت على أي الفرقين أكذب ، فأبوا ذلك على رسول الله ﷺ : ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي يعلمهم بما عندهم من العلم بل والكفر بذلك ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي إلا مات .
تفسير ابن كثير (١٢٧/١) .

(٤) هم عليهم لعائن الله تعالى لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى دعوا إلى المباهلة والدعاء على أكذب الطائفتين منهم أو من المسلمين ، فلما نكلوا عن ذلك علم كل أحد أنهم ظالمون لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك فلما تأخروا علم كذبهم وهذا كما دعا رسول الله ﷺ وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة وعتوهم وعنادهم إلى المباهلة فقال تعالى : ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ .
تفسير ابن كثير (١٢٧/١) .

لأنهم وجدوا في الإنجيل إذا فعلوا ذلك أميتوا وأفنوا بقوله تعالى : ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(١) .

ولأن الله تعالى أخبر عن قصص الأولين وأنباء الآخرين .

ونبينا محمد ﷺ لم يخرج من المدينة وما قرأ شيئًا من الكتب ، ولم يكن تلمذ لأحد(٢) .

علمنا أنه مما أخبر من القرآن ، ولم يكن منه ، وإنما يكون من الله تعالى ، فيجب الامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه .

ثم الدليل على أن القرآن معجزته .

قوله تعالى : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(٣) .

وأما تكثير الطعام القليل قصة أبي أيوب الأنصاري(٤) وإضافة النبي عليه السلام في بيته

---

(١) سورة آل عمران (٦١) .

(٢) قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل ١٠٣) .
يقول تعالى مخبرًا عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهت إن محمدًا إنما يعلمه هذا الذي يتلوه علينا من القرآن بشر ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم غلام لبعض بطون قريش وكان بياعًا يبيع عند الصفا وربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء وذاك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه فلهذا قال الله تعالى : ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ أي القرآن أي فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة ، كيف يتعلم من رجل أعجمي .
تفسير ابن كثير (٢/٦٠٥) .

(٣) سورة الإسراء (٨٨) .
نبه تعالى على شرف هذا القرآن العظيم فأخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله لما أطاقوا ذلك ، ولما استطاعوه ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا فإن هذا أمر لا يستطاع وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثال له ولا عديل له .
تفسير ابن كثير (٣/٦٣) .

(٤) أبو أيوب الأنصاري اسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار ، الخزرجي ، النجاري المالكي المدني ، شهد بدرًا والعقبة ، وعليه نزل رسول الله ﷺ لما قدم المدينة فبقي في داره شهرًا حتى بنيت حجره ومسجده .
وكان من نجباء الصحابة ، وروي عن أبي ، وعنه : مولاه أفلح والبراء بن عازب وسعيد بن المسيب =

فذبح جديًا وله من الطحين أربعة (أمناء)[١] فشبع أهل المدينة .

وكلام الجدي المسموم ظاهر[٢] .

فصل

ثم إن نبينا محمداً ﷺ الآن هو رسول أم لا .

قالت المتقشفة والكرامية العرض لا ينبغي زمانين ولهذا قالوا : إن نبينا محمد ﷺ الآن ليس برسول .

وقال أبو الحسن الأشعري[٣] : الرسول الآن في حكم الرسالة ، وحكم الشيء يقوم

= وعروة وعطاء بن يزيد وموسى بن طلحة وآخرون وشهد أبو أيوب الجمل وصفين مع علي ، وكان من خاصته وكان على مقدمتهم يوم النهروان ، ثم إنه غزا الروم مع يزيد بن معاوية ابتغاء ما عند الله ، فتوفي عند القسطنطينية فدفن هناك ، وأمر يزيد بالخيل فمرت على قبره حتى عفت أثره لئلا ينبش ثم إن الروم عرفوا مكان قبره فكانوا إذا أمحلوا كشفوا عن قبره فمطروا وقبره تجاه سور القسطنطينية ، توفي سنة (٥١) .
تاريخ الإسلام وفيات (٥١-٦٠) .

(١) كذا بالأصل وأظنها : أرغفة .

(٢) روى البخاري في صحيحه (١٤١/٣) ، ومسلم في صحيحه [٤٥-(٢١٩٠)] كتاب السلام ، ١٨- باب السم ، عن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك ؟ فقالت : أردت لأقتلك ، قال : (ما كان الله ليسلطك على ذاك) . . . . . . الحديث .
قال النووي : فيه بيان عصمته ﷺ من الناس كلهم كما قال الله : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ وهي معجزة لرسول الله ﷺ في سلامته من السم المهلك لغيره ، وفي إعلام الله تعالى به بأنها مسمومة وكلام عضو منه له ، فقد جاء في غير مسلم أنه ﷺ قال : (إن الذراع تخبرني أنها مسمومة) وهذه المرأة اليهودية اسمها زينب بنت الحارث أخت مرحب اليهودي .
شرح مسلم للنووي (١٥٠/١٤) . طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) أبو الحسن الأشعري هو علي بن إسماعيل الأشعري ، أبوه هو إسماعيل بن إسحاق كان سنيًا جماعيًا حديثيًا ، أي على مذهب السنة والجماعة والحديث ، وتجمع المصادر على أن ميلاده كان بالبصرة سنة (٢٦٠) ، ثم سكن بعد ذلك بغداد إلى أن توفي بها سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة وكان في أول أمره معتزليًا ، أخذ عن معتزلة البصرة وعلى رأسهم أبو علي الجبائي وله مناظرات معه اشتهرت عنهما وفيها يقطع الأشعري الجبائي ، وقيل بلغت مؤلفاته نحو الثلاثمائة ، ورصد له منها ابن عساكر وابن فورك نحو ثمانية وتسعين ، ولعل أهمها مقالات الإسلاميين ، واللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع .

مقام أصل الشيء .

ألا ترى أن العدة لما كانت من حكم النكاح تقوم مقام النكاح .

وكذلك المتوضئ إذا صلى فسبقه الحدث فذهب ليتوضأ يكون في حكم الصلاة .

ولا يكون في أفعال الصلاة .

لأنه لو كان في أفعال الصلاة لما جاز الصلاة مع الحدث[١] .

وكذلك نبوة نبينا محمد ﷺ كان عرضًا .

وإن كان العرض لا ينبغي زمانين ولكنه في حكم الرسالة .

والدليل على أن العرض لا ينبغي زمانين ، وأن من صلى الظهر إذا فرغ منها لا يقال بأنه في الصلاة .

لأنه لو كان في الصلاة لا يجوز الأكل والشرب[٢] والكلام .

فثبت أن العرض لا ينبغي له في وقتين مختلفين وإنا نقول هو رسول الله في الحال لأنه لو لم يكن رسولاً في الحال لا يصح إيمان من آمن بالله ورسوله .

---

(١) قالت المالكية : لا ينتقض الوضوء إلا بالخارج المعتاد بشرط أن يكون خروجه من المخرج المعتاد في حال الصحة فالحص والدود والدم والقيح والصديد الخارجة من أحد السبيلين لا تنقض الوضوء بشرط أن يكون الحص أو الدود متولدًا في المعدة .
الفقه على المذاهب الأربعة (٦٩/١) .
وقال مصنف كتاب الفقه : تنقسم نواقض الوضوء إلى أقسام : الأول : ما خرج من أحد السبيلين القبل ، والدبر ، وهذا ينقسم إلى قسمين لأنه إما أن يكون معتادًا ، وإما أن يكون غير معتاد ، والثاني : ما قد يترتب عليه الخروج من أحد السبيلين .
انظر الفقه (٦٨/١) .

(٢) قال الحنفية : كثير الأكل والشرب وقليلهما مفسد للصلاة عمدًا أو سهوًا ، ولو كان المأكول سمسمة أدخلها في فيه ، أو كان المشروب قطرة مطر سقطت في فيه فابتلعها إلا إذا أكل قبل الشروع في الصلاة فبقي بين أسنانه مأكول دون الحمصة فابتلعه وهو في الصلاة فإنها لا تفسد بابتلاعه .
قال المالكية : تبطل الصلاة بالأكل الكثير أو الشرب عمدًا ، والكثير هو ما كان مثل اللقمة ، أما اليسير وهو ما كان مثل الحبة ، فإذا كانت بين أسنانه فإنها لا تبطل ، ولو ابتلعها بمضغ لأن المضغ في هذه الحالة لا يكون عملاً كثيرًا على التحقيق .
الفقه على المذاهب الأربعة (٢٤٨/١) .

كذلك يقول في الأذان[1] أشهد أن محمدًا رسول الله ، لا نقول أشهد أن محمدًا كان رسول الله ، وكذلك الحكم في سائر الأنبياء عليهم السلام .

فصل

قالت المعتزلة : المعراج[2] لم يكن .

لأنه جاءت فيه أخبار الآحاد ، وخبر الواحد لا يوجب العمل ، ولا يوجب الاعتقاد .

وقال أهل السنة والجماعة : المعراج كان صحيحًا إلى السماء .

لأنه روي عن أكثر أصحاب رسول الله ﷺ نحو أبي سعيد الخدري ، وأنس بن مالك ، ومالك بن صعصعة[3] ، وابن عباس ، وأم هانئ[4] رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٦-(٣٧٩)] كتاب الصلاة ، ٣-باب صفة الأذان ، عن أبي محذورة ، أنّ نبي الله ﷺ علمه هذا الأذان (الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدًا رسول الله أشهد أن محمدًا رسول الله ، حي على الصلاة حي على الصلاة ، حي على الفلاح حي على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله) .
قال النووي : في صحيح مسلم هذا الحديث في أوله الله أكبر مرتين فقط في أكثر الأصول ، ووقع في غير مسلم الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أربع مرات .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢٥٩-(١٦٢)] كتاب الإيمان ، ٧٤-باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : (أتيت بالبراق - وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عن منتهى طرفه - قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس. .) ثم قال : (ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل . . . . . . الحديث) قال النووي : قال القاضي عياض اختلف الناس في الإسراء برسول الله ﷺ فقيل : إنما كان جميع ذلك في المنام والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بجسده ﷺ . . . . . . إلى آخر كلامه .
النووي في شرح مسلم (١٨٠/٢-١٨١) .

(٣) مالك بن صعصعة الأنصاري ، المزني الخزرجي البخاري ، صحابي روى عن أنس حديث المعراج وكأنه مات قديمًا .
أخرج له : البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .
ترجمته : تهذيب التهذيب (١٧/١٠) ، تقريب التهذيب (٢٢٥/٢) ، الكاشف (١١٤/٣) ، تاريخ البخاري الكبير (٣٠٠/٧) ، الجرح والتعديل (٢١١/٨) ، الثقات (٣٧٧/٣) ، أسد الغابة (٢٧/٥) ، الإصابة (٧٢٨/٥) ، الاستيعاب (١٣٥٢/٣) ، تجريد أسماء الصحابة (٤٥/٢) ، أسماء الصحابة الرواة (٢٨٢) .

(٤) أم هانئ بنت أبي طالب الهاشمية ، اسمها فاختة ، وقيل : هند ، أسلمت عام الفتح وصلى ابن =

أنهم قالوا : المعراج إلى السماء هاهنا (أشياء)[١] الإسراء والمعراج .

أما الإسراء فمن مكة إلى بيت المقدس فلا ينكره المعتزلة .

لأنه ورد به النص قال الله تعالى : ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[٢] .

والإسراء هو السير بالليل .

ومن أنكر الإسراء يكفر .

وإنما قال ليلاً لئلا يعلم أن المعراج لا يكون إلا ليلة واحدة .

وأما المعراج من الأرض إلى السماء السابعة لا يثبت بدليل قطعي[٣] .

= عمها رسول الله ﷺ في بيتها يوم الفتح صلاة الضحى وقال لها : (قد أجرنا من أجرت أم هانئ) وكانت قد أجارت رجلاً .
لها عدة أحاديث ، وتأخر موتها إلى بعد الخمسين وكانت تحت هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي ، هرب يوم الفتح إلى نجران .
روى عنها حفيدها يحيى بن عبدة ، ومولاها أبو صالح باذام ، وكريب مولى ابن عباس وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعروة ومجاهد وعطاء وآخرون .
تاريخ الإسلام وفيات (٥١-٦٠) .

(١) كذا بالأصل .

(٢) سورة الإسراء (١) .
قال ابن كثير : قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) :
وقد ذكر حديث الإسراء من طريق أنس وتكلم عليه فأجاد وأفاد ثم قال : وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبي حبة وأبي ليلى الأنصاريين وعبد الله بن عمر وجابر وحذيفة وبريدة وأبي أيوب وأبي إمامة وسمرة بن جندب وأبي الحمراء وصهيب وأم هانئ وعائشة وأسماء بنت أبي بكر الصديق .
وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون .
تفسير ابن كثير (٣/٢٤) .

(٣) اختلف الناس هل كان الإسراء ببدنه عليه السلام وروحه أو بروحه فقط على قولين : فالأكثرون من العلماء على أنه أسري ببدنه وروحه يقظة لا منامًا ولا ينكرون أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك منامًا ثم رآه بعد يقظة لأنه كان عليه السلام لا يرى رؤية إلا جاءت مثل فلق الصبح ، والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام فلو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن =

والدليل على أن المعراج ثابت ما روت أم هانئ رضي الله عنها أنها قالت : قال النبي ﷺ : (ألا أحدثك بأعجب ما رأيت ؟) .

قالت : قلت بلى يا رسول الله .

قال عليه الصلاة والسلام : (كنت نائمًا وقلبي يقظان فجاء جبريل . . . . . .) وذكر الحديث إلى أخره ، ثم سئل النبي ﷺ[1] : هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا ؟ .

قيل رآه بقلبه ، وما رآه بعينه .

لما روي عن النبي ﷺ قيل له : هل رأيت ربك ليلة المعراج ؟ .

فقال : (سبحان الله سبحان الله رأيت بفؤادي وما رأيت بعيني)[2] .

وعن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن الرؤية فأجاب مثل ذلك .

قال الله تعالى : ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ .

أضاف الرؤية إلى الفؤاد لا إلى العين[3] .

= مستعظمًا ولما بادرت كفار قريش تكذيبه ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم .
تفسير ابن كثير (٢٣/٣) .

(١) قال النووي : قال القاضي رحمه الله : اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء فأنكرته عائشة رضي الله عنها ، وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود ، وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين .
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب رضي الله عنهما والحسن رحمه الله وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل ، وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أنه رآه .
شرح مسلم للنووي (٥/٣) ، طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) ذهب الجمهور من المفسرين إلى أن المراد أنه رأى ربه سبحانه وتعالى ثم اختلف هؤلاء فذهب جماعة إلى أنه ﷺ رأى ربه بفؤاده دون عينيه وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه قال الإمام أبو الحسن الواحدي قال المفسرون : هذا إخبار عن رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج قال ابن عباس وأبو ذر وإبراهيم التيمي رآه بقلبه قال : وعلى هذا رأى بقلبه ربه رؤية صحيحة وهو أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده أو خلق لفؤاده بصرًا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين .
النووي في شرح مسلم (٧/٣) .

(٣) وقال الواحدي : وقد ذهب جماعة من المفسرين إلى أنه بعينه ، وهو قول أنس وعكرمة والحسن والربيع ، قال المبرد : ومعنى الآية أن الفؤاد رأى شيئًا فصدق فيه وما رأى في موضع نصب ؛ أي ما كذب الفؤاد مريئه ، وقرأ ابن عامر (ما كذب) بالتشديد ، قال المبرد : معناه أنه رأى شيئًا فقبله =

والمعتزلة احتجوا لنفي المعراج بقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[١] .

قالوا : المعراج كان في الرؤيا .

لأن العقل لا يقبل ذلك والعقل حجة الله على خلقه[٢] .

لأن الله تعالى خلق آدم على صورة كثيفة .

ومن طبعه السفول والهبوط .

قلنا : نعم ، ولكن هو لا يصعد بنفسه .

وإنما عرج به لقوله تعالى : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[٣] الآية .

ولم يقل سرى بنفسه .

ألا ترى أن الحجر والمدر من طبعه السفول .

ومع هذا إذا رماه إنسان يصعد إلى الهواء ، فالنبي ﷺ إذا كان مركبه البراق[٤] ، وجبريل

= وهذا الذي قاله المبرد على أن الرؤية للفؤاد ، فإن جعلتها للبصر فظاهر أي ما كذب الفؤاد ما رآه البصر ، هذا آخر كلام الواحدي .
النووي في شرح مسلم (٣/٧) .

(١) سورة الإسراء (٦٠) .

(٢) زعمت طائفة من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلاً ، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح .
وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين ، ورواها نحو عشرين صحابيًا عن رسول الله ﷺ وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة .
النووي في شرح مسلم (٣/١٥) .

(٣) سورة الإسراء (١) .

(٤) قال النووي : في قوله ﷺ : (أتيت بالبراق) : هو بضم الباء الموحدة ، قال أهل اللغة البراق اسم الدابة التي ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء ، قال الزبيدي في مختصر العين وصاحب التحرير هي دابة كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يركبونها ، وهذا الذي قالاه من اشتراك جميع الأنبياء فيها يحتاج إلى نقل صحيح .
قال ابن دريد : اشتقاق البراق من البرق إن شاء الله تعالى ، يعني لسرعته .
وقيل : سمي بذلك لشدة صفائه وتلألئه وبريقه وقيل : لكونه أبيض . =

سائقه ، والله تعالى هاديه أولى بأن يصعد إلى السماء .

وكذلك ما اتخذ قوسًا وسهمًا يمكن له أن يرمى به السهم في الهواء .

فالنبي ﷺ إذا كان السرى قوسه ، ومركبه البراق ، وخادمه جبريل بإذن الله تعالى ، أولى بأن يجاوز السموات(١) .

فصل

قالت المعتزلة والمشبهة والشيعة(٢) : العرش هو الملك ، والكرسي هو القلم .

قال الله تعالى : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾(٣) أي علمه .

وقال أهل السنة والجماعة : لا يجوز أن يكون العرش هو الملك(٤) .

= وقال القاضي : يحتمل أنه سمي بذلك لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء إذا كان في خلال صوفها الأبيض طاقات سود ، قال ووصف في الحديث بأنه أبيض وقد يكون من نوع الشاة البرقاء وهي معدودة في البيض والله أعلم .
شرح مسلم للنووي (٢/١٨٣) .

(١) فيما رواه مسلم [٢٦٣-(١٦٣)] كتاب الإيمان ، ٧٤-باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات ، عن أنس من حديث الإسراء بطوله وفيه : قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان قال رسول الله ﷺ : (ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام) .
قال النووي : قال القاضي رحمه الله : وفي علو منزلة نبينا ﷺ وارتفاعه فوق منازل سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبلوغه حيث بلغ من ملكوت السماوات دليل على علو درجته وإبانة فضله .
شرح مسلم للنووي (٢/١٩٠) .

(٢) جعلهم الشهرستاني خمس فرق : هي الكيسانية ، والزيدية ، والإمامية ، والغلاة ، والإسماعيلية .
وهم ثلاثة أصناف عند الأشعري : الشيعة الغالية وهم خمس عشرة فرقة .
والشيعة الإمامية وهم الرافضة - وهم أربع وعشرون فرقة .
والشيعة الزيدية وهم ست فرق .
ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص على الإمام ، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر ، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقدًا إلا في حال تقية ، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك ولهم في تعدية الإمام كلام وخلاف كثير وعند كل تعدية وتوقف مقالة ومذهب .
انظر موسوعة الفرق والجماعات (صـ٢٦٥ ، ٢٦٦) .

(٣) سورة البقرة (٢٥٥) .

(٤) قال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس في قوله : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فقال : علمه =

لأن الله تعالى قال : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ .

والملك لا يحتاج إلى الحمل .

وكذلك روي عن النبي ﷺ أنه قال : (لما خلق الله العرش وخلق ملائكته ، فقال لهم(١) : احملوا عرشي ، فلم يستطيعوا أن يحملوه ، قال الله تعالى : لو خلقت مثل أعداد الرمل وقطر الأمطار لم يستطيعوا أن يحملوه إلا أن يستغيثوني فقالوا : اللهم أغثنا فسمعوا نداء من قبل الله تعالى بلا كيف ولا تشبيه قولوا : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فحملوا العرش فاستوى على رءوسهم) .

وهم أربعة في الدنيا وثمانية في الآخرة .

قال الله تعالى : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾(٢) والملائكة الأربع الذين يحملون

= وكذا رواه ابن جرير ، ثم قال ابن جرير : وقال آخرون الكرسي موضع القدمين .
وقال شجاع بن مخلد في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال : سئل النبي ﷺ عن قول الله عز وجل : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال : (كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل) . قال السدي : الكرسي تحت العرش .
تفسير ابن كثير (١/٣٠٩) .

(١) قال السدي : السماوات والأرض في جوف الكرسي ، والكرسي بين يدي العرش ، وقال الضحاك عن ابن عباس : لو أن السماوات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض ما كن في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المفازة .
وقال ابن جرير بسنده عن ابن زيد قال : حدثني أبي قال : قال رسول الله ﷺ : (ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس) قال : وقال أبو ذر : سمعت رسول الله صلى الله عليه سلم يقول : (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهراني فلاة في الأرض) . المرجع السابق (١/٣٠٩) .

(٢) سورة الحاقة (١٧) .
أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العظيم أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء ، والله أعلم بالصواب .
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن المغيرة ، حدثنا جرير عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ قال : ثمانية صفوف من الملائكة .
وكذا روى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس ثمانية صفوف ، وكذا روى العوفي عنه وقال الضحاك عن ابن عباس الكروبيون ثمانية أجزاء كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشياطين والملائكة .
تفسير ابن كثير (٤/٤١٤) .

العرش كل واحد منهم أربعة أوجه[١] .

وأما الحكمة في خلق العرش .

فقال بعضهم : بأنه قبلة دعاء الملائكة فيرفعون أيديهم إلى العرش وقت الدعاء .

وقيل بأنه مرآة الملائكة ينظرون إليه فيرون جميع ما كان في السموات والأرض .

واختلفوا في العرش فقال بعضهم : إنه سرير من نور .

وقال بعضهم : بل هو ياقوتة حمراء[٢] .

قالت المعتزلة : ليس علينا ملائكة ، ولا حفظة ما يعمل الإنسان ، فالله تعالى عالم به ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء .

وإنما يحتاج إلى الحفظة[٣] ، لو كان جاهلاً ولا يعلم ماذا يعمل عباد الله .

---

(١) روى ابن أبي حاتم بسنده عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : (أذن لي أن أحدث عن ملك حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه يخفق الطير سبعمائة عام) وهذا إسناد جيد ورجاله كلهم ثقات .
وقد رواه أبو داود في كتاب السنة بسنده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : (أذن لي أن أحدثكم عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام) هذا لفظ أبي داود .
تفسير ابن كثير (٤/٤١٤) .

(٢) قال تعالى : ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ .
يقول تعالى مخبرًا عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها كما قال تعالى : ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ وقد ذكر غير واحد أن العرش من ياقوتة حمراء اتساع ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة ، وارتفاعه عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة .
تفسير ابن كثير (٤/٧٤) .

(٣) قال تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ الانفطار (١٠-١٢) .
يعني وإن عليكم لملائكة حفظة كرامًا فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم .
وروى ابن أبي حاتم بسنده عن مجاهد قال : قال رسول الله ﷺ : (أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين : الجنابة والغائط ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره أو ليستره أخوه) .
وروى الحافظ أبو بكر البزار بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات الغائط والجنابة والغسل . . . . . . الحديث) كما ذكر ابن أبي حاتم .
المرجع السابق (٤/٤٨٢) .

والله تعالى لا يحتاج إلى أن يوكل عليهم ليكتب أعمالهم .

قلنا : إنما يوكل عليهم ليكون حجة على العبد يوم القيامة .

فإذا أنكر العبد الأفعال يشهد عليه الملكان ، وإذا نسى يكون الكتاب حجة عليه .

فإن قيل بأي شيء يكتبون ؟ .

قيل لهم : قال الضحاك(١) : ينزل من السماء كل يوم ملكان مع كل واحد منهما صحيفة .

وقال مجاهد : لسانك قلمهما ، وريقك مدادهما ، وبدنك كتابهما .

والأول أصح لأن الله تعالى قال : ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾(٢) .

وهذا يدل على أنه كان كتابًا لهم .

وحاصل الجواب أنا نؤمن بما جاء ، وبه النص والأخبار ، ولا نشتغل بكيفيته(٣) .

وإن كان يأباه العقل والقياس .

وقال أهل السنة والجماعة : الحفظة حق على كل واحد منا(٤) ، اثنان بالليل ، واثنان

---

(١) الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني ، أبو محمد، أبو القاسم صاحب التفسير ، وثقه أحمد وابن معين وضعفه يحيى القطان وغيره ، واحتج به النسائي وغيره ، وكان مدلسًا ، وله يد طولى في التفسير والقصص وقال ابن حجر : صدوق كثير الإرسال ، أخرج له أصحاب السنن الأربعة ، توفي سنة (١٠٥-١٠٦) .

ترجمته : تهذيب التهذيب (٤٥٣/٤) ، تقريب التهذيب (٣٧٣/١) ، الكاشف (٣٦/٢) ، تاريخ البخاري الكبير (٣٣٢/٤) ، تاريخ البخاري الصغير (٢٤٣/١ ، ٢٤٤) ، الجرح والتعديل (٤/ ٢٠٢٤) ، ميزان الاعتدال (٣٢٥/٢) ، لسان الميزان (٢٤٩/٧) ، سير الأعلام (٥٩٨/٤) ، الوافي بالوفيات (٣٥٩/١٦) ، الثقات (٤٨٠/٦) .

(٢) سورة الإسراء (١٤) .

أي إنك تعلم أنك لم تظلم ولم يكتب عليك إلا ما عملت لأنك ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى أحد شيئًا مما كان منه وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي .

تفسير ابن كثير (٢٢٤/٤) .

(٣) اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام ؟ وهو قول الحسن وقتادة ، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما ، على قولين وظاهر الآية الأول لعموم قوله تعالى : ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ .

(٤) روى أحمد في مسنده والترمذي في سننه ، وابن ماجة في سننه من حديث بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه) .

=

بالنهار ، فينزل ملكان بالنهار ويهذب ملكان بالليل وبالعكس .

وليس كما قال بعض الناس ينزل كل يوم ملكان غير الذين كانا عليه بالأمس .

يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[٢] .

فصل

قالت المعتزلة : إذا أمر الله تعالى بالنفخة الأولى تفنى السموات والأرض والجنة والنار والأرواح[٣] .

ثم يخلقهم الله تعالى يوم القيامة مرة أخرى واحتجوا بقوله تعالى : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[٤] .

= قال : فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث ، واللفظ لأحمد في مسنده .

تفسير ابن كثير (٤/٢٢٤) .

(١) سورة الانفطار (١٠ ، ١١) .

(٢) سورة الزخرف (٨٠) .

أي نسمع سرهم وعلانيتهم ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي نحن نعلم ما هم عليه والملائكة أيضًا يكتبون أعمالهم صغيرها وكبيرها .

المرجع السابق (٤/١٣٥) .

وقال الأحنف بن قيس : صاحب اليمين يكتب الخير ، وهو أمين على صاحب الشمال فإن أصاب العبد خطيئة قال له أمسك فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها وإن أبى كتبها .

المرجع السابق (٤/٢٢٤) .

(٣) في قوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ سورة الزمر (٦٨) .

وفيه يخبر تبارك وتعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة وهذه النفخة الثانية هي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله كما جاء مصرحًا به مفسرًا في حديث الصور المشهور ، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً ، وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء ويقول : ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول : ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ .

تفسير ابن كثير (٤/٦٣) .

(٤) سورة الحديد (٣) .

ثم إن الله تعالى كان في الأزل حيث لم يكن معه أحد من خلقه ، فلذلك وجب أن لا يبقى في الآخرة شيء(١) .

ولا يبقى ببقائه أحد ليكون له هذا الاسم خاصة وقال أهل السنة والجماعة : الجنة والنار وهما دار الخلد ، وهما للثواب والعقاب فلا يفنيان يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾(٢) .

يعني الجنة والنار وأهلها من ملائكة العذاب(٣) والحور العين .

وقال أهل السنة والجماعة : سبعة لا تفنى العرش ، والكرسي ، والجنة ، والنار ، وأهلهما ، والأرواح .

قالت الجهمية : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، واستمتع أهل الجنة بقدر أعمالهم .

وأهل النار أذاقهم الله العذاب بقدر أعمالهم وكفرهم(٤) .

---

(١) قال جهم بن صفوان وإليه تنسب الجهمية : إن الجنة والنار بعد دخول أهلهما فيهما تفنيان ، لأنه لا يتصور أن يكون لأحد خلود إلا لله تعالى .
وحمل قوله تعالى : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ على المبالغة والتأكيد دون الحقيقة في التخليد كما يقال خلد الله ملك فلان ، واستشهد على انقطاع حركة أهل الجنة والنار وفنائهما بقوله تعالى : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ - هود (١٠٨) - فالآية اشتملت على شريطة واستثناء ، والخلود والتأبيد لا شرط فيه ولا استثناء .
موسوعة الفرق والجماعات (صـ ١٦٧ ، ١٦٨) .

(٢) سورة الزمر (٦٨) .

(٣) خزنة جهنم هم الزبانية الذين هم غلاظ الأخلاق شداد القوى على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل ، وهم السجانون لأهل النار .
انظر تفسير ابن كثير (٦٥/٤) .

(٤) في قوله تعالى : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ قال ابن جرير : من عادة العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدًا قالت هذا دائم ودوام السماوات والأرض ، وكذلك يقولون هو باق ما اختلفت الليل والنهار ، وما سمر أبناء سمير ، وما لألأت العير بأذنابها ، يعنون بذلك كله أبدًا فخطابهم جل ثناؤه بما يتعارفونه بينهم فقال : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ قلت : ويحتمل أن المراد بما دامت السماوات والأرض الجنس لأنه لا بد في عالم الآخرة من سموات وأرض كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ .
تفسير ابن كثير (٤٧١/٢) .

ثم إن الله تعالى يفني الجنة والنار واحتجوا بقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[(١)] على ما ذكرنا .

وعن النبي ﷺ أنه قال : (سيأتي على جهنم يوم يصفق الريح أبوابها ، وليس فيها أحد) .

وقال أهل السنة والجماعة : الجنة والنار وهما دار خلود ، وهما للثواب والعقاب لا يفنيان على ما ذكرنا ، وأنه لا يجوز منه الظلم والجور .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[(٢)] .

واشترى أهل الجنة الجنة بإيمانهم ، والدرجات بأعمالهم ، والرؤية بنياتهم ، والكفار اشتروا النار بنياتهم وكفرهم .

ورأينا أن من اشترى دارًا وسلم الثمن لا يحسن من البائع أن يستردها منه ، فإن فعل ذلك منه يكون ظلمًا وجورًا .

والله سبحانه وتعالى منزه عن الظلم والجور .

وأما قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ .

قلنا : نعم ، ولكن هو باق ، لا بإبقاء أحد ، والخلق باق بإبقاء الله تعالى ، فظهرت التفرقة بين الخالق والمخلوق .

وأما معنى الخبر ، قلنا : إذا خرج العصاة من النار وذهبوا إلى الجنة[(٣)] ، تبقى النار

---

(١) سورة الحديد (٣) .

(٢) سورة التوبة (١١١) .
يخبر تعالى أنه عاوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة وهذا من فضله وكرمه وإحسانه فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عبيده المطيعين له ولهذا قال الحسن البصري وقتادة بايعهم الله فأغلى ثمنهم .
قال محمد بن كعب الكرظي وغيره قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ يعني ليلة العقبة اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال : (أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم) قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : (الجنة) ، قالوا : ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ، فنزلت : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية .
تفسير ابن كثير (٢/٣٩٩) .

(٣) قال النووي : مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف إن مات موحدًا دخل الجنة قطعًا على كل حال فإن كان سالمًا من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ . والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته ، والموفق =

صحراء ليس فيها أحد ، وهذا هو معنى الخبر .

فصل

قالت المعتزلة[(١)] : الرضا والسخط ليسا من صفات الله تعالى ، لأن الله تعالى لا يتغير عليه الأحوال وكل موضع ذكر فيه الرضا والسخط أرادب به الجنة والنار .

وقال أهل السنة والجماعة : الرضا والسخط من صفات الله تعالى صفة أزلية بلا كيف ولا تشبيه ولا تغيير من حال إلى حال كسائر الصفات مثل الإرادة والسمع والبصر والكلام والدليل على أن الرضا غير الجنة .

قوله عز وجل : ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾[(٢)] إلى قوله : ﴿وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ .

= الذي لم يبتل بمعصية أصلاً فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلاً .
وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى ، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أو لا ، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد .
شرح مسلم للنووي (١٩٢/١) ، طبعة دار الكتب العلمية .

(١) الكلام في صفات الله نفيًا وإثباتًا من الموضوعات التي شغلت بعض المفكرين من أهل الديانات الأخرى السابقة على الإسلام فنجد البيروني يحكي عن الهنود فيقول (صـ١٣) (العالم بذاته سرمدًا إذا العلم الطارئ يكون لما لم يكن بمعلوم وليس الجهل بمتجه عليه في وقت ما أو حالة ثم يقول السائل بعد ذلك فهل له من الصفات غير ما ذكرت ؟ ويقول المجيب : له العلو التام في القدرة لا المكان ، فإنه يجل عن التمكن وهو الخبر المحض التام الذي يشتاقه كل موجود وهو العلم الخالص عن دنس السهو والجهل قال السائل : أفتصفه بالكلام أم لا ؟ قال المجيب إذا كان عالمًا فهو لا محالة متكلم قال السائل فإن كان متكلمًا لأجل علمه فما الفرق بينه وبين العلماء والحكماء الذين تكلموا من أجل علومهم ؟ قال المجيب : الفرق بينهم هو الزمان فهم تعلموا فيه وتكلموا فيه وليس للأمور الإلهية بالزمان اتصال .
الشهرستاني في الملل والنحل الهامش (٤٤/١) .

(٢) سورة البينة (٨) .
أي ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي يوم القيامة ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ أي بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم ﴿وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ فيما منحهم من الفضل العميم .
وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ أي هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه وعبده كأنه يراه وعلم أنه إن لم يره فإنه يراه .
تفسير ابن كثير (٥٣٨/٤) .

وكذا قوله تعالى : ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾[١] .

وكذا قوله تعالى : ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٢] .

وكذا في طرف السخط[٣] .

قوله تعالى : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾[٤] .

وبين الرضا والجنة والسخط والنار .

وسئل الشيخ المفسر نصر بن الضرير الجبلي أن الله تعالى هل تتغير صفاته ؟ .

وأجاب فقال : هذا سؤال محال ، لأن الله تعالى بجميع صفاته واحد ، وبجميع صفاته قديم .

فلو غير شيئًا من صفاته تكون تلك الصفات محدثة مخلوقة .

وصفات الله تعالى غير مخلوقة[٥] .

---

(١) سورة التوبة (٢١) .

(٢) سورة التوبة (٧٢) .

(٣) روى مسلم في صحيحه [٩-(٢٨٢٩)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ٢-باب إجلال الرضوان على أهل الجنة ، فلا يسخط عليهم أبدًا ، عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : (إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا) .

(٤) سورة النساء (٩٣) .

هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله من غير ما آية في كتاب الله حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ .

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : (أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء) انظر مسلم [٢٨-(١٦٧٨)] في القسامة باب المجازاة بالدماء في الآخرة ، وقال النووي : وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها وليس هذا الحديث مخالفًا للحديث المشهور في السنن أول ما يحاسب به العبد صلاته لأن هذا الحديث الثاني فيما بين العبد وبين الله تعالى ، وأما حديث الباب فهو فيما بين العباد والله أعلم بالصواب .

النووي في شرح مسلم (١٣٩/٠١١) .

(٥) نفى المعتزلة الصفات القديمة لله فقالوا : هو عالم بذاته ، قادر بذاته ، حي بذاته ، لا بعلم وقدرة =

وهذا كما يسألون أن الله هل يقدر على أن يخلق مثله .

فالجواب عن هذا السؤال محال .

لأن الله تعالى قديم .

فلو خلق شيئًا يكون ذلك مخلوقًا ، فكيف يكون مثله ، والله ما خلق شيئًا في الأزل ، فوجب أن يكون غيره مثله .

فصل

في سؤال الجهمية[1] : أن الله تعالى هل يعلم عدد أنفاس أهل الجنة والنار أم لا ؟ .

فإن قلت : لا ، فقد وصفت الله تعالى[2] بالجهل ، وإن قلت : نعم ، فقد قلت بأن أهل

= وحياة ، هي صفات قديمة ومعان قائمة به ، لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الألوهية ، واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق في محل ، وهو حرف وصوت ، كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه ، فإن ما وجد في المحل عرض قد فني في الحال .

واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معانيًا قائمة بذاته ، لكن اختلفوا في وجوه وجودها ومحامل معانيها .

الشهرستاني في الملل والنحل (١/ ٤٤، ٤٥) .

(١) قالت الجهمية : إن حركات أهل الخلدين تنقطع والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما وتلذذ أهل الجنة بنعيمها ، وتألم أهل النار بجحيمها إذ لا تتصور حركات لا تتناهى آخرًا كما لا تتصور حركات لا تتناهى أولاً ، وحمل قوله تعالى : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ على المبالغة والتأكيد دون الحقيقة في التخليد كما يقال خلد الله ملك فلان .

واستشهد على الانقطاع بقوله تعالى : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ فالآية اشتملت على شريطة واستثناء والخلود والتأبيد لا شرط فيه ولا استثناء .

الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٧، ٨٨) .

(٢) قال الأشعرية : صفات الله أزلية قائمة بذاته تعالى لا يقال هي هو ولا هي غيره ولا لا هو ، ولا لا غيره ، والدليل على أنه متكلم بكلام قديم ، ومريد بإرادة قديمة ، أنه قد قام الدليل على أنه تعالى ملك ، والملك من له الأمر والنهي ، فهو آمر ، ناه .

فلا يخلو إما أن يكون آمرًا بأمر قديم أو بأمر محدث ، وإن كان محدثًا فلا يخلو : إما أن يحدثه في ذاته ، أو في محل أو لا في محل ، ويستحيل أن يحدثه في ذاته ، لأنه يؤدي إلى أن يكون محلاً للحوادث ، وذلك محال ، ويستحيل أن يحدثه في محل لأنه يوجب أن يكون المحل به موصوفًا ويستحيل أن يحدثه لا في محل لأن ذلك غير معقول فتعين أنه قديم ، قائم به صفة له .

الملل والنحل للشهرستاني (١/٩٥) .

الجنة والنار يفنيان .

والجواب عنه أن نقول : إن الله تعالى يعلم عدد أنفاس أهل الجنة والنار ، وليست بمعدودة ولا ينقطع .

فإن قيل : إذا قلتم بأن أهل الجنة والنار لا يفنيان لقد سويتم بينهم وبين الله تعالى .

قلنا : لا يكون تسوية بينهم وبين الله تعالى أول قديم بلا ابتداء ، وآخر حكيم بلا انتهاء ، وأهل الجنة والنار محدثون[١] .

وإنما يبقون ولا يفنون بإبقاء الله تعالى إياهم لا بإبقاء أحد .

فلا يكون تسوية بين الخالق والمخلوق .

فصل

قال الشيخ الأجل رحمه الله تعالى : أول من ذهب وتكلم في مذهب الاعتزال[٢] رجل يقال له : واصل بن عطاء[٣] ، وتابعه عمرو بن عبيد[٤] تلميذ الشيخ الحسن البصري .

---

(١) مما قاله جهم بن صفوان إثباته علومًا حادثة للباري تعالى لا في محل ، قال : لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه ، لأنه لو علم ثم خلق أفبقي علمه على ما كان أم لم يبق ؟ فإن بقي فهو جهل ، فإن العلم بأن سيوجد غير العلم بأن قد وجد ، وإن لم يبق فقد تغير ، والمتغير مخلوق ليس بقديم ، ووافق في هذا المذهب هشام بن الحكم وقال : وإذا أثبت حدوث العلم فليس يخلو إما أن يحدث في ذاته تعالى ، وذلك يؤدي إلى التغير في ذاته ، وأن يكون محلاً للحوادث ، وإما أن يحدث في محل فيكون المحل موصوفًا به ، لا الباري تعالى ، فتعين أنه لا محل له ، فأثبت علومًا حادثة بعدد الموجودات المعلومة .
الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٧) .

(٢) المعتزلة يسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية ، والعدلية ، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركًا ، وقالوا : لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازًا من وصمة اللقب ، إذ كان الذم به متفقًا عليه لقول النبي ﷺ : (القدرية مجوس هذه الأمة) وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق على أن الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد فكيف يطلق لفظ العند على العند ؟ وقد قال النبي ﷺ : (القدرية خصماء الله في القدر) والخصومة في القدر وانقسام الخير والشر على فعل الله وفعل العبد لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم والتوكل وإحالة الأحوال على القدر المحتوم ، والحكم المحكوم والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد .
الملل والنحل للشهرستاني (١/٤٣) .

(٣) واصل بن عطاء ، أبو حذيفة البصري ، الغزال مولى بني مخزوم ، وقيل مولى بني ضبة ، ولد سنة ثمانين بالمدينة ، وكان أحد البلغاء المفوهين لكنه يلثغ بالراء يبدلها غينًا فكان لاقتداره على العربية =

فلما كان في زمن هارون الرشيد ، خرج أبو الهذيل العلاف(١) فصنف لهم كتابًا ، وبين مذهبهم وجميع علومهم ، وسمى ذلك الكتاب الأصول الخمسة .

وكلما رأوا رجلاً قالوا له : هل قرأت الأصول الخمسة ، فإن قيل : نعم .

عرفوا أنه على مذهبهم .

والأصول الخمسة : العدل(٢) والتوحيد والوعد والوعيد ومسألة البين .

= وتوسعه في الكلام يتجنب الراء في خطابة حتى قيل فيه:

ويـجـعـل الـبـر فـي تـصـرفـه وخالف الراء حتى احتال للشعر

وهو من رءوس المعتزلة بل معلمهم **الأول** ، والخوارج لما كفرت بالكبائر قال واصل : بل الفاسق لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين فطرده لذلك الحسن البصري فمن ثم قيل لهم المعتزلة .

توفي سنة (١٣١) .

تاريخ الإسلام وفيات (١٣١-١٤٠) .

(٤) عمرو بن عبيد بن باب أبو عثمان البصري المعتزلي الزاهد العابد ، رأس المعتزلة ، قال أبو بكر : كان عمرو بالبصرة يجالس الحسن مدة ، ثم أزاله واصل عن مذهب السنة فقال بالقدر ودعا إليه واعتزل أصحاب الحسن ، وكان له سمت وإظهار زهد .

توفي سنة (١٤٣) .

تاريخ الإسلام وفيات (١٤١-١٥٠) .

(١) أبو الهذيل العلاف البصري المتكلم المعتزلي واسمه محمد بن الهذيل ، كان من أجلاد القوم ورءوسهم ، زعم بجهل أن أهل الجنة تنقطع حركاتهم حتى لا يتكلموا كلمة وينقطع نعيم الجنة ، وأنكر الصفات المقدسة وقال : علم الله هو الله .

ونقل عنه أبو محمد بن حزم في كتاب (الفصل) أنه قال : إن لما يقدر الله تعالى عليه آخرًا ، أو أن لقدرته تعالى نهاية لو خرج إلى الفعل ، وإن خرج لم يقدر الله بعد ذلك على شيء أصلاً ، ولا على خلق ذرة فما فوقها ، وهذا كفر مجرد .

أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل صاحب واصل ، وقد طال عمره ، وصنف الكتب ونيف على التسعين وأخذ عنه علي بن ياسين وغيره .

يروى أن المأمون قال لحاجبه : من بالباب ؟ قال : أبو الهذيل المعتزلي ، وعبد الله بن إباض الخارجي ، وهشام الكلبي الرافدي ، فقال المأمون : ما بقي من رءوس جهنم أحد إلا وقد حضر .

توفي العلاف سنة (٢٢٧) وقيل (٢٣٥) .

انظر تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٢٢١-٢٣٠) .

(٢) يسمون أصحاب العدل لأنهم قالوا : إن الباري تعالى حكيم عادل لا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يريد ، ويحكم عليهم شيئًا ثم يجازيهم عليه فالعبد هو الفاعل للخير والشر ، والإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، وهو المجازى على فعله ، والرب تعالى أقدره على ذلك كله فسموا =

أما مسألة البين : فكل من ارتكب كبيرة يخرج عن الإيمان ، ولا يدخل في الكفر عندهم بل يكون في منزلة بين المنزلتين[١] .

أما العدل : قالوا لأن الله تعالى لا يخلق الشر ولا يقضي بالشر ، لأنه لو خلق الشر ، وقضى به ثم يعذبهم على ذلك يكون جورًا .

والله تعالى عادل لا يجور .

وأما الثاني[٢] قالوا : بأن القرآن مخلوق وكذا سائر صفاته .

لأنا لو قلنا بأنه غير مخلوق لا يكون توحيد .

وأما الثالث قالوا : بأن الله تعالى إذا وعد عباده ثوابًا ، لا يجوز أن يخالف وعده[٣] .

= لذلك القدرية ، وإذا كان الله تعالى خالقًا لأفعال العباد وكان العباد لا فعل لهم بطل التكليف الشرعي ، لأن التكليف طلب ، والطلب لا بد أن تسبقه القدرة والحرية والاختيار ، وإذا لم يكن العبد مستقلاً بإيجاد فعل بطل العقاب والثواب الوارد بهما الوعد والوعيد وإذا لم يكن للإنسان حرية واختيار فلا فائدة من بعثة الأنبياء إذ البعثة دعوة ، والدعوة لا بد أن تسبقها الحرية والاختيار .
موسوعة الفرق والجماعات (ص٣٥٩) .

(١) القول بالمنزلة بين المنزلتين سببها أنه دخل واحد على الحسن البصري فقال : يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان ، بل العمل على مذهبهم ليس ركنًا من الإيمان ، ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادًا .
فتفكر الحسن في ذلك ، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء : أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا ولا كافر مطلقًا بل هو منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن : اعتزل عنا واصل فسمي هو وأصحابه معتزلة .
الملل والنحل للشهرستاني (٤٨/١) .

(٢) يقصد التوحيد وهو أنهم نفوا الصفات فإثبات صفات أزلية قديمة لله زائدة على ذاته يجعل الصفة تشارك الذات في القدم الذي هو أخص أوصاف الذات والاشتراك في الأخص يوجب الاشتراك في الأعم ، وهذا يعني المماثلة ، أي أنها تصير آلهة إلى جانب الذات الإلهية وذلك شرك .
موسوعة الفرق والجماعات (ص٣٥٨) .

(٣) قالوا في الوعد والوعيد إن الله صادق فيهما ولا يمكن أن يغفر الكبائر إلا بعد التوبة فإذا مات العبد على الطاعة والتوبة استحق الثواب وإلا فهو يعذب عذاب الكفار .
وذلك هو عدل الله ، ومن ثم أنكروا الشفاعة وتمسكوا بالآيات التي تنفي الشفاعة لأن الشفاعة تتعارض مع الوعد والوعيد ، وتنفي العدل عن الله لأنه إذا كان العبد ينجو بالشفاعة وليس بعمله فلا =

لأن الله تعالى قال : ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ إذا وعد وعيدًا . يجوز أن لا يعذبهم ولكنه يعفو ، ويغفر لهم ، ولا يعاقبهم .

واحتجت المعتزلة بقوله تعالى : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾[(١)] .

وكذا قوله تعالى : ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾[(٢)] .

والجواب عنه أن نقول[(٣)] : جميع ما ذكر الله به تعالى من الوعد والوعيد صار مستثنى بقوله تعالى : ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ .

وقولهم : يكون خلفًا في الوعيد .

قلنا : لا يكون خلفًا في الوعيد بل يعفوا عنه كرمًا وفضلاً[(٤)] ، بخلاف ما إذا وعد الثواب حيث لا يجوز أن يخالف وعده .

لأن ذلك حق العبد ، فلو جاز ذلك يكون لومًا ، ولو يعد ذلك كرمًا ، وهذا لا يظن بالله تعالى .

= معنى لوعد أو وعيد وليس ثمة مضمون للعدل .
موسوعة الفرق والجماعات (ص٣٥٩) .

(١) سورة النساء (٩٣) .

(٢) سورة النساء (٣٠) .

(٣) الوعد والوعيد قال عنه أهل السنة : الوعد والوعيد كلامه الأزلي ، وعد على ما أمر ، وأوعد على ما نهى ، فكل من نجا واستوجب الثواب فبوعده ، وكل من هلك واستوجب العقاب فبوعيده ، فلا يجب عليه شيء من قضية العقل .
وقال أهل العدل - يقصد المعتزلة - لا كلام في الأزل وإنما أمر ونهي ، ووعد وأوعد بالكلام المحدث ، فمن نجا فبفعله استحق الثواب ، ومن خسر فبفعله استوجب العقاب ، والعقل من حيث الحكمة يقتضي ذلك .
الملل والنحل للشهرستاني (٤٢/١) .

(٤) روى مسلم في صحيحه [٢٥ (١٦٧٦)] كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، ٦-باب ما يباح به دم المسلم ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه والمفارق للجماعة) .
وقد روى مسلم أيضًا [٢٨ (١٦٧٨)] في القسامة والمحاربين ، ٨-باب المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : (أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء) .

والجواب عنه قوله تعالى : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾[(١)] .

قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ ، إن جزاؤه يدل عليه قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾[(٢)] .

سماه مؤمنًا ، ومؤمنًا بعد القتل العمد على أنا نقول أراد به إذا استحل قتل المؤمن[(٣)] وقد روى أن الآية نزلت في حق قيس بن ضبابة الكناني حين قتل مسلمًا من بني فهر بعد ما قتل

---

(١) الذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله عز وجل فإن تاب وأناب ، وخشع وخضع ، وعمل عملاً صالحًا بدل الله سيئاته حسنات ، وعوض المقتول من ظلامته ، وأرداه عن طلابته قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ إلى قوله : ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ الآية .
وهذا خبر لا يجوز نسخه وحمله على المشركين وحمل هذه الآية على المؤمنين خلاف الظاهر ، ويحتاج حمله إلى دليل والله أعلم ، وقال تعالى : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ الآية . وهذا عام في جميع الذنوب من كفر وشرك وشك ونفاق وقتل وفسق وغير ذلك كل من تاب أي من ذلك تاب الله عليه ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ .
تفسير ابن كثير (١/٥٣٧) .

(٢) سورة البقرة (١٧٨) .
يقول تعالى كتب عليكم العدل في القصاص أيها المؤمنون حركم بحركم وعبدكم بعبدكم وأنثاكم بأنثاكم ولا تتجاوزوا وتعتدوا كما اعتدى الذين من قبلكم وغيروا حكم الله فيهم .
وسبب ذلك قريظة والنضير كانت بنو النضير قد غزت قريظة في الجاهلية وقهروهم فكان إذا قتل النضري القرظي لا يقتل به بل يفادى بمائة وسق من التمر وإذا قتل القرظي النضري قتل ، وإن فادوه فادوه بمائتي وسق من التمر ضعف دية القرظي فأمر الله بالعدل في القصاص ولا يتبع سبيل المفسدين المحرفين المخالفين لأحكام الله فيهم كفرًا وبغيًا فقال تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ .
تفسير ابن كثير (١/٢٠٩) .

(٣) مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة فإنه حق من حقوق الآدميين ، فإن الإجماع منعقد على أنها لا تسقط بالتوبة ، ولكن لا بد من ردها إليهم ولا فرق بين المقتول والمسروق منه والمغصوب منه والمقذوف وسائر حقوق الآدميين .
فإن تعذر ذلك فلا بد من المطالبة يوم القيامة ، لكن لا يلزم من وقوع المطالبة وقوع المجازاة إذ قد يكون للقاتل أعمال صالحة تصرف إلى المقتول أو بعضها ، ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة أو يعوض الله المقتول بما يشاء من فضله من قصور الجنة ونعيمها ورفع درجته فيها ونحو ذلك والله أعلم .
تفسير ابن كثير (١/٥٣٧) .

أخوه هشام بن ضبابة ، وارتد ولحق بدار الحرب .

والدليل على ارتداده[١] قوله شعر :

قتلت بني فهر وحملت عقله وسواه بني النجار أرباب فارع
شقيت به نفسي وأدركت منيتي وكنت إلى أوثان أول راجع

واحتجوا بقوله تعالى : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ واستحل قتله كما استحل ابن ضبابة ، يكون كافرًا ويخلد في النار مع سائر الكفار[٢] .

وأما مسألة مقيس البين : قالوا : لأن من ارتكب الكبيرة ، يخرج من الإيمان ، ولا يدخل في الكفر .

واحتجوا بقوله تعالى : ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾[٣] .

فثبت أنه ليس من هذا ، ولا من ذلك .

والجواب عن قوله تعالى : ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾[٤] .

---

(١) الردة والعياذ بالله تعالى كفر مسلم تقرر إسلامه بالشهادتين مختارًا بعد الوقوف على الدعائم والتزامه أحكام الإسلام ويكون ذلك بصريح القول كقوله أشرك بالله أو قول يقتضي الكفر كقوله إن الله جسم كالأجسام أو بفعل يستلزم الكفر لزومًا بينًا كإلقاء مصحف أو بعضه ولو كلمة أو تلطيخه به ، نحو تقليب ورق بالبصاق ، ومثل المصحف الحديث وأسماء الله الحسنى وكتب الحديث وكذا كتب الفقه إذا كان على وجه الاستخفاف بالشريعة الإسلامية وأحكامها أو تحقيرها ، وكذا أسماء الأنبياء إلى غير ذلك .
ويكفر إذا أنكر حكمًا أجمعت الأمة عليه كوجوب الصلاة أو تحريم الزنا أو إنكار الصوم ، ويكفر إذا أنكر حل حكم مجمع على إباحته مما علم من الدين بالضرورة من القرآن والسنة المتواترة .
مختصرًا من الفقه على المذاهب الأربعة (٣٣١/٥) .

(٢) اختلف في سبب نزول هذه الآية فقال مجاهد وغير واحد نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه وهي أسماء بنت مخرمة وذلك أنه قتل رجلاً يعذبه مع أخيه على الإسلام وهو الحارث بن يزيد الغامدي فأضمر له عياش السوء فأسلم ذلك الرجل وهاجر ، وعياش لا يشعر فلما كان يوم الفتح رآه فظن أنه على دينه فحمل عليه فقتله ، فأنزل الله هذه الآية .
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : نزلت في أبي الدرداء لأنه قتل رجلاً وقد قال كلمة الإيمان حيث رفع عليه السيف فأهوى به إليه فقال كلمته ، فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ قال : إنما قالها متعوذًا فقال له : هل شققت عن قلبه ، وهذه القصة في الصحيح لغير أبي الدرداء .

(٣) و(٤) سورة السجدة (١٨) .

يخبر الله تعالى عن عدله وكرمه أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمنًا بآياته متبعًا لرسله بمن كان فاسقًا أي خارجًا عن طاعة ربه مكذبًا لرسل الله إليه كما قال تعالى : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ =

أنها نزلت[١] في حق الوليد بن عتبة المنافق . حين قال لعلي : إن كان لك لسان وقوة ومنظر فلي أيضًا لسانًا وقوة ومنظر .

فقال علي رضي الله عنه : اسكت فإنك كافر فاسق .

فأنزل الله تعالى هذه الآية ، موافقًا لقول علي رضي الله عنه .

فصل

تفرقت المعتزلة في الشفاعة : منهم من أنكر الشفاعة أصلاً ورأسًا ، ومنهم من أثبت الشفاعة[٢] لثلاث فرق .

ومنهم من اجتنب الكبائر ، وارتكب الصغائر فيحتاج إلى مغفرة الصغائر[٣] شفاعة الأنبياء

= اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ وقال تعالى : ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة﴾ الآية ، وكذلك قال تعالى : ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون﴾ أي عند الله يوم القيامة . تفسير ابن كثير (٤٧٨/٣) .

(١) ذكر عطاء بن يسار والسدي وغيرهما أنها نزلت في علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط ولهذا فصل حكمهم فقال : ﴿أما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾ أي صدقت قلوبهم بآيات الله وعلموا بمقتضاها وهي الصالحات ﴿فلهم جنات المأوى﴾ أي التي فيها المساكن والدور والغرف العالية ﴿نزلا﴾ أي ضيافة وكرامة ﴿بما كانوا يعملون ۝ وأما الذين فسقوا﴾ أي خرجوا عن الطاعة فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها كقوله : ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها﴾ الآية ، قال الفضيل بن عياض : والله إن الأيدي لموثقة وإن الأرجل لمقيدة وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم .
تفسير ابن كثير (٤٧٨/٣) .

(٢) قال النووي : قال القاضي عياض رحمه الله : مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعًا بصريح قوله تعالى : ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا﴾ وقوله : ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وأمثالها وبخبر الصادق ﷺ ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين .
وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنن عليها ، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار واحتجوا بقوله : ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ ، وبقوله تعالى : ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ وهذه الآيات في الكفار .
النووي في شرح مسلم (٣١/٣) ، طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا على كل حال ، فإن كان سالمًا من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ ، والتائب =

والملائكة صلوات الله عليهم .

ومنهم من ارتكب الكبائر ثم تاب عن ذلك فيحتاج إلى قبول توبتهم بشفاعة الأنبياء والملائكة صلوات الله عليهم حتى يقبل الله توبتهم بشفاعتهم(١) .

ومنهم من اجتنب الكبائر والصغائر فيحتاج إلى زيادة الدرجات على قدر أعمالهم بشفاعة الأنبياء والملائكة صلوات الله عليهم ورضوان الله عليهم ولا شفاعة لغير هؤلاء(٢) .

والجواب عن الفصل الأول هذا لا يصح على مذهبهم لأن عندهم من اجتنب الكبائر . فواجب على الله تعالى أن يغفر ذنوبه البتة كقوله تعالى : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾(٣) .

= توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته ، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلاً ، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلاً .
وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى ، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً وجعله كالقسم الأول ، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل ، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل .
النووي في شرح مسلم (١/١٩٣) .

(١) قال القاضي عياض رحمه الله : اختلف الناس فيمن عصى الله تعالى من أهل الشهادتين فقالت المرجئة : لا تضره المعصية مع الإيمان ، وقالت الخوارج : تضره ويكفر بها ، وقالت المعتزلة : يخلد في النار إذا كانت معصيته كبيرة ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر ولكن يوصف بأنه فاسق وقالت الأشعرية : بل هو مؤمن وإن لم يغفر له وعذب فلا بد من إخراجه من النار وإدخاله الجنة .
قال : وهذا الحديث حجة على الخوارج والمعتزلة وأما المرجئة فإن احتجت بظاهره قلنا محملة على أنه غفر له أو أخرج من النار بالشفاعة ، ثم أدخل الجنة فيكون معنى قوله ﷺ : (دخل الجنة) أي دخلها بعد مجازاته بالعذاب .
النووي في شرح مسلم (١/ ١٩٣ ، ١٩٤) .

(٢) مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح وأهل الحديث والفقهاء والمتكلمين على مذهبهم من الأشعريين أن أهل الذنوب في مشيئة الله تعالى ، وأن كل من مات على الإيمان وتشهد مخلصًا من قلبه بالشهادتين فإنه يدخل الجنة ، فإن كان تائبًا أو سليمًا من المعاصي دخل الجنة برحمة ربه وحرم على النار بالجملة .
وإن كان هذا من المخلطين بتضييع ما أوجب الله تعالى عليه أو بفعل ما حرم عليه فهو في المشيئة لا يقطع في أمره بتحريمه على النار ولا باستحقاقه الجنة لأول ، وهل بل يقطع بأنه لا بد من دخوله الجنة آخرًا وحاله قبل ذلك في خطر المشيئة إن شاء الله تعالى عذبه بذنبه وإن شاء عفا بفضله .
النووي في شرح مسلم (١/ ١٩٤ ، ١٩٥) .

(٣) سورة النساء (١٣١) .

فلا يحتاج إلى الشفاعة .

وأما الثاني قالوا : إن من اجتنب الكبيرة ، ثم تاب فيحتاج إلى قبول توبته بشفاعة الأنبياء[١] والملائكة عليهم السلام .

قلنا : هذا أيضًا على مذهبهم لا يصح .

وكل من ارتكب الكبائر ، فواجب على الله تعالى قبول توبته لا محالة .

فإذا وجب على الله تعالى قبول توبته فلا يحتاج إلى شفاعة أحد .

وقال أهل السنة والجماعة : الشفاعة حق يدل عليه[٢] قوله تعالى : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ

---

(١) روى الترمذي (٢٤٣٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب منه - يعني ما جاء في الشفاعة - عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .
ثم روى الترمذي حديث جابر (٢٤٣٦) عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ . . . . . . الحديث .
وقد رواه ابن ماجه في الزهد ، باب ذكر الشفاعة .

(٢) أقسام الشفاعة خمسة أقسام :
أولها : مختصة بنبينا ﷺ وهي الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب .
الثانية : في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه وردت أيضًا لنبينا ﷺ .
الثالثة : الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن شاء الله تعالى .
والرابعة : فيمن دخل النار من المذنبين فقد جاءت هذه الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا لله والملائكة وإخوانهم من المؤمنين ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله كما جاء في الحديث لا يبقى فيها إلا الكافرون .
الخامسة : في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وهذه لا ينكرها المعتزلة ولا ينكرون أيضًا شفاعة الحشر الأول .
قال القاضي عياض : وقد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح رضي الله عنهم شفاعة نبينا ﷺ ورغبتهم فيها .
وعلى هذا لا يلتفت إلى قول من قال إنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالى أن يرزقه شفاعة محمد ﷺ لكونها لا تكون إلا للمذنبين ، فإنها قد تكون كما قدمنا لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات ثم كل عاقل معترف بالتقصير محتاج إلى العفو غير معتد بعمله مشفق من أن يكون من الهالكين ويلزم هذا القائل أن لا يدعو بالمغفرة والرحمة لأنها لأصحاب الذنوب وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف . هذا آخر كلام القاضي رحمه الله والله أعلم .
شرح مسلم للنووي (٣/ ١٣١ ، ١٣٢) .

عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[١] .

ومن رحمة الله تعالى وفضله أن يأذن الشفاعة أنبياؤه وأولياؤه تكريمًا لهم وتشهيدًا لقدرهم عند الله تعالى .

وذلك قوله عليه السلام : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[٢] .

فإن قيل : قال الله تعالى : ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾[٣] .

ومرتكب الكبيرة ظالم .

قال الله تعالى : ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾[٤] .

والجواب : قلنا : أراد به الكافر والمشرك .

قال الله تعالى خبرًا عنهم : ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾[٥] .

والشرك هو الظلم ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[٦] .

فإن قيل : روي عن النبي ﷺ أنه قال : (لا ينال شفاعتي إلا أهل الكبائر من أمتي) .

قلنا : ذكرنا قوله عليه السلام : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[٧] .

---

(١) سورة البقرة (٢٥٥) .

(٢) تقدم تخريجه قريبًا .

(٣) سورة غافر (١٨) .

(٤) سورة فاطر (٣٢) .

(٥) سورة الشعراء (١٠٠ ، ١٠١) .

قال بعضهم يعني من الملائكة كما يقولون ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ وكذا قالوا ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ أي قريب ، قال قتادة : يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحًا نفع ، وأن الحميم إذا كان صالحًا شفع .

تفسير ابن كثير (٣/٣٥١) .

(٦) سورة لقمان (١٣) .

(٧) تقدم تخريجه في الترمذي وابن ماجة .

وقد روى مسلم في صحيحه [٣٣٤-(١٩٨)] كتاب الإيمان ، ٨٦-باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (لكل نبي دعوة يدعوها ، فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي) .

قال النووي : في هذا الحديث بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ورأفته بهم واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة فأخر ﷺ دعوته لأمته إلى أهم أوقات حاجاتهم .

النووي في شرح مسلم (٣/٦٣) .

فإذا صح الخبر أراد به إذا استحل ذلك .

فإن قيل : أنتم أثبتم الشفاعة للمؤمنين ومرتكب الكبيرة خرج عن الإيمان لقوله ﷺ : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)[١] .

قلنا : أراد به إذا استحل ذلك لما روي عن النبي ﷺ أنه قال لأبي الدرداء[٢] رضي الله عنه أن نادِ في الناس : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، وإن زنى وإن سرق) .

قالت المعتزلة : لا ميزان[٣] ولا حساب ولا صراط ولا حوض ولا شفاعة .

---

(١) رواه مسلم [١٠٠-(٥٧)] كتاب الإيمان ، ٢٤-باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ، عن أبي هريرة .
قال النووي : هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ، ويراد نفي كماله ومختاره ، كما يقال : لا علم إلا ما نفع ولا مال إلا الإبل ، ولا عيش إلا الآخرة ، وإنما تأولناه على ما ذكرناه ، لحديث أبي ذر وغيره : (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنا وإن سرق) .
النووي في شرح مسلم (٣٦/٢) .

(٢) أبو الدرداء اسمه عويمر بن عبد الله ، وقيل : ابن زيد ، وقيل : ابن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، وقيل : عويمر بن قيس بن زيد ، ويقال : عامر بن مالك حكيم هذه الأمة ، له عن النبي ﷺ عدة أحاديث .
ولي قضاء دمشق ، قال أبو الدرداء : كنت تاجرًا قبل المبعث فلما جاء الإسلام جمعت التجارة والعبادة فلم يجتمعا ، فتركت التجارة ولزمت العبادة .
وفي البخاري من حديث أنس قال : مات رسول الله ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ومعاذ وزيد ابن ثابت وأبو زيد الأنصاري .
وعن أبي ذر أنه قال : ما أظلت خضراء أعلم منك يا أبا الدرداء .
وكان أبو الدرداء يصلح قدرًا له فوقعت على وجهها فجعلت تسبح فقال : يا سلمان تعالَ إلى ما لم يسمع أبوك مثله قط ، فجاء سلمان وسكن الصوت فأخبره ، فقال سلمان : لو لم تصح لرأيت أو لسمعت من آيات الله الكبرى ، حديث صحيح .
مات أبو الدرداء سنة اثنتين وثلاثين .
تاريخ الإسلام وفيات سنة (٣٢) .

(٣) قال تعالى : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الأنبياء (٤٧) .
وقال تعالى : ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ الأعراف (٨ ، ٩) .
وقال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ القارعة (٦ ، ٧) .
وقال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ القارعة (٨ ، ٩) .

فالميزان يحتاج إليه العامي والبقالون ، وكل موضع ذكر الله تعالى فيه الميزان والحساب أراد به العدل .

لأن الميزان إنما يحتاج إليه في معرفة قدر الحسنات والسيئات .

والله تعالى عالم بذلك كله .

فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته يؤمر به إلى الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته يؤمر به إلى النار(١) .

ومن كان من أهل الجنة لا يوقف في القيامة ، ولا يحتاج إلى الشفاعة .

قال أهل السنة والجماعة : كل ذلك حق والحوض(٢) في القيامة حق .

والكوثر في الجنة حق ، والصراط حق ، والميزان حق يدل عليه قوله تعالى : ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٣) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : الميزان له كفتان أحدهما في المشرق ، والأخرى بالمغرب ، فإن قيل ما الحكمة في الميزان ، ولماذا توزن الحسنات والسيئات والله تعالى عالم بذلك(٤) .

---

(١) الذي يوضع في الميزان يوم القيامة قيل الأعمال وإن كانت أعراضًا إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجسامًا ، قال البغوي : يروى نحو هذا عن ابن عباس .
كما جاء في الصحيح من أن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف ، ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وإنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللون فيقول من أنت فيقول أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك .
وقيل يوزن كتاب الأعمال .
تفسير ابن كثير (٢٠٦/٢) .

(٢) قال القاضي عياض رحمه الله : أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه .
قال القاضي : وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمرو بن العاص وعائشة وأم سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وأبي ذر وثوبان وأنس وجابر بن سمرة ، ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصديق وزيد بن أرقم . . . . . . إلى آخره .
وقال القاضي : وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترًا .
النووي في شرح مسلم (٤٣/١٥) .

(٣) سورة الأعراف (٨) .

(٤) جاء في حديث البطاقة في الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كفه تسعة وتسعون سجلاً كل =

قلنا : نعم والله تعالى عالم بذلك ، ولكن العبد لا يعلم به ، وإنما يوزن حتى يعلم العبد أنه من أهل الجنة أو النار .

فإن قيل قراءة الكتب(١) أسبق أم الميزان .

قلنا : ليس فيه نص ، لكن استنباط العلماء على طريق الاستدلال ، أن قراءة الكتب أسبق يدل عليه قوله تعالى : ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ .

وهذا يدل على أنه لا يبقى عمل بعد الميزان والحساب .

فإن قيل : أين الميزان وأين الحساب .

قلنا : الميزان والحساب على الصراط فيوزن حسنات كل واحد وسيئاته فمن ثقلت موازينه يمضي إلى الجنة ، ومن كان من أهل الشقاوة يسقط في النار(٢) ، لما روي عن رسول

= سجل مد البصر ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها لا إله إلا الله فيقول يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول الله تعالى : «إنك لا تظلم» فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان ، قال رسول الله ﷺ : (فطاشت السجلات وثقلت البطاقة) .
وقيل يوزن صاحب العمل كما في الحديث (يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة) ثم قرأ : ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ .
انظر تفسير ابن كثير (٢/٢٠٧) .

(١) قال تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ الإسراء (١٣ ، ١٤) .
قال ابن كثير : وطائره هو ما طار عنه من عمله كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما من خير وشر ويلزمه به ويجازى عليه .
وقوله : ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ أي يجمع له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيامة إما بيمينه إن كان سعيدًا أو بشماله إن كان شقيًا ، ﴿مَنشُورًا﴾ أي مفتوحًا يقرأه هو وغيره فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره .
﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ أي إنك تعلم أنك لم تظلم ولم يكتب عليك إلا ما عملت لأنك ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى أحد شيئًا مما كان منه وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي .
وقوله : ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ إنما ذكر العنق لأنه عضو من الأعضاء لا نظير له في الجسد ، ومن ألزم بشيء فيه فلا محيد له عنه .
مختصرًا من ابن كثير (٣/٢٨) .

(٢) روى ابن أبي حاتم بسنده عن ابن مسعود قال : يرد الناس جميعًا الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم =

اللّٰه ﷺ أنه قال : (من أمتي من يسقط في النار كالمطر) ، وفي الخبر : (يوقف العبد على الصراط سبع ، مواقف الموقف الأول : يسئل عن الإيمان .

والموقف الثاني : يسئل عن الوضوء والاغتسال .

والموقف الثالث : يسئل عن الصلاة .

والموقف الرابع : يسئل عن الصوم .

والموقف الخامس : يسئل عن الحج .

والموقف السادس : يسئل عن الزكاة .

والموقف السابع : يسئل عن بر الوالدين)[١] .

فإن قيل : ذكر الموازين بلفظ الجمع[٢] ، فكيف يكون واحدًا .

قلنا : لكل إنسان ميزان على حدة ، فيوزن حسناته وسيئاته .

ولأن الجمع يذكر ويراد به الواحد كما في قوله تعالى في قصة زكريا عليه السلام : ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ﴾[٣] .

= من يمر مثل الطير ومنهم من يمر كأجود الخيل ومنهم من يمر كأجود الإبل ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مرورًا رجل نوره على موضع إبهامي قدميه يمر فيتكفأ به الصراط والصراط دحض مذلة عليه حسك كحسك القتاد حافتاه ملائكة معهم كلاليب من النار يختطفون بها الناس .
وقال ابن جرير بسنده عن عبد الله قوله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم ، ثم يمرون والملائكة يقولون : اللهم سلم سلم .
تفسير ابن كثير (١٣٧/٣) .

(١) روى الترمذي في سننه (١٨٩٧) كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في بر الوالدين ، عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت : يا رسول الله من أبر ؟ قال : أمك ، قال : قلت : ثم مَن ؟ قال : أمك ، قلت : ثم من ؟ قال : أمك ، قلت ثم من ؟ قال : ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب .
ورواه أبو داود في الأدب ، باب في بر الوالدين .

(٢) قال تعالى : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ . . . . الآية .
أي ونضع الموازين العدل ليوم القيامة ، الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه .
تفسير ابن كثير (١٨٥/٣) .

(٣) لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ، طمع حينئذ في الولد وإن كان شيخًا كبيرًا قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيبًا ، =

فالمراد به من الملائكة جبريل عليه السلام .

وكذا في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[١] ، والمراد به محمد ﷺ .

فإن قيل : كيف يوزن ؟ .

قلنا : قال بعضهم : يوزن العبد مع علمه ، لما روي عن عبد الله بن مسعود[٢] رضي الله عنه أنه صعد شجرة ، وكان صغير الساقين ، فتبسم أصحاب النبي ﷺ فقال النبي ﷺ لأصحابه : (أتعجبون من رقة ساقيه وإنهما لأثقل في الميزان من السموات والأرضين)[٣] .

فثبت أن العبد يوزن مع عمله .

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : تكتب الحسنات في صحيفة وتوضع في كفتها ،

= وكانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقرًا ولكن مع هذا كله سأل ربه وناداه نداءًا خفيًا وقال : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ أي من عندك ولدًا صالحًا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ قال الله تعالى : ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي خاطبته الملائكة شفاها خطابًا أسمعته وهو قائم يصلي في محراب عبادته ومحل خلوته ومجلس مناجاته وصلاته ، ثم أخبر تعالى عما بشرته به الملائكة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ أي ولد يوجد لك من صلبك اسمه يحيى .

تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٠، ٣٦١) .

(١) سورة المؤمنون (٥١) .

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبد الرحمن الهذلي حليف بني زهرة ، وأمه أم عبد هذلية أيضًا كان من السابقين الأولين ، شهد بدرًا والمشاهد كلها ، وكان له أصحاب سادة ، منهم علقمة والأسود ومسروق وعبيدة السلماني وأبو وائل وطارق بن شهاب وخلق سواهم ، وكان صاحب نعل النبي ﷺ ، فكان إذا خلعها حملها أو شالها وكان يدخل على النبي ويخدمه ويلزمه ، وتلقن من في رسول الله ﷺ سبعين سورة .

وعن أبي مسعود الأنصاري : والله ما أعلم النبي ﷺ ترك أحدًا أعلم بكتاب الله من هذا ، يريد عبد الله بن مسعود .

توفي رحمه الله سنة (٣٢) .

تاريخ الإسلام وفيات (٣٢) .

(٣) وعن علي رضي الله عنه قال : أمر رسول الله ﷺ ابن مسعود فصعد شجرة فنظر الصحابة إلى ساقي عبد الله ، فضحكوا من حموشة ساقيه فقال رسول الله ﷺ : (ما تضحكون ، لهما في الميزان أثقل من أحد) .

وروى الترمذي (٣٨٠٦) في كتاب المناقب ، باب مناقب عبد الله بن مسعود ، عن أبي موسى قال : لقد قدمت أنا وأخي من اليمن وما نرى حينًا إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي ﷺ .

=

والسيئات في صحيفة وتوضع في كفة أخرى يوزن[١] .

وقال محمد بن علي الترمذي يوزن العمل من غير الرجل ، فيرى ذلك كالنور والشمس والقمر وهذا للمسلم .

أما عمل الكافر كظلمة الليل .

ثم إن العمل وإن كان عرضًا فالله تعالى قادر على أن يصيره بحال يمكن أن يوضع ويوزن ويرى .

وقال الشيخ الإمام المفسر : إيمان العبد لا يوزن لأنه ليس له ضد يوضع في كفة أخرى[٢] .

لأن ضده الكفر والإنسان الواحد لا يكون فيه الإيمان والكفر .

فصل

قال بعض المعتزلة والجهمية : إن الله تعالى لم يخلق الجنة والنار بعد[٣] .

= وقد رواه البخاري في فضائل الصحابة ، باب مناقب عبد الله بن مسعود .

(١) روى ابن الأعرابي في معجم شيوخه (٢/٢٧٠) رقم (١٨٢٧) - [من تحقيقنا - طبعة دار الكتب العلمية]، عن سلمان قال : يوضع الميزان يوم القيامة ، فلو وضعت السماوات والأرض ومن فيهن لوسعته قال : قالت الملائكة : ربنا من تزن بذا ؟ فقال : من شئت من خلقي ، قال : ويوضع الصراط وهو كحد الموسى ، فتقول الملائكة : ربنا ما عبدناك حق عبادتك .
وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤/٥٨٦) ، والمنذري في الترغيب (٤/٤٢٥) ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٥٦ ، ٦٥٧) ، رقم (٩٤١) وأشار إلى صحته .

(٢) روى الترمذي في سننه (٣١٦٥) كتاب تفسير القرآن ، باب سورة الأنبياء ، عن عائشة أن رجلاً قعد بين يدي النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم ؟ قال : يحسب ما خونوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم ، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا ، لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك ، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل ، قال فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف فقال رسول الله ﷺ : أما تقرأ كتاب الله ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ . . .﴾ الآية فقال الرجل : والله يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء شيئًا خيرًا من مفارقتهم ، أشهدكم أنهم أحرار كلهم .
وورواه ابن الأعرابي في معجم شيوخه (٢/ ٢٦٩ ، ٢٧٠) رقم (١٨٢٦) ، [من تحقيقنا - طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) قال هشام بن عمرو الفوطي من المعتزلة : إن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن إذ لا فائدة في =

لأنه لا يحسن من حكمة الحكيم أن يخلق دار النعمة قبل أن يخلق أهلهما .

ولأنهما لو كانتا مخلوقتين لكانتا يفنيان بفناء السموات والأرض ، وتفنى السموات والأرض فكذلك الجنة والنار(١) .

وقال أهل السنة والجماعة : إن الله تعالى خلق الجنة والنار ولا تفنيان أبدًا لأنهما دار الثواب والعقاب لا يفنيان .

لأن الله تعالى استثناهما بقوله : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾(٢) .

يعني الجنة والنار وأهلهما من ملائكة العذاب والحور العين .

ويدل عليه أن الإنسان إذا خلق ثوابه يكون أحرص على العبادة .

فإذا خلق عقوبته يكون أخوف وأحذر وأكثر امتناعًا عن المعاصي .

ويدل عليه قوله تعالى : ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣) .

= وجودهما وهما جميعًا خاليتان ممن ينتفع ويتضرر بهما ، وبقيت هذه المسألة منه اعتقادًا للمعتزلة . الملل والنحل للشهرستاني (٧٣/١) .

(١) قالت الجهمية : إن حركات أهل الخلدين تنقطع والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما وتلذذ أهل الجنة بنعيمها ، وتألم أهل النار بجحيمها إذ لا تتصور حركات لا تتناهى آخرًا ، كما لا تتصور حركات لا تتناهى أولاً .
وحمل قوله تعالى : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ على المبالغة والتأكيد دون الحقيقة في التخليد ، كما يقال خلد الله ملك فلان ، واستشهد على الانقطاع بقوله تعالى : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ فالآية اشتملت على شريطة واستثناء والخلود والتأبيد لا شرط فيه ولا استثناء .
الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٧، ٨٨) .

(٢) سورة الزمر (٦٨) .
يقول تبارك وتعالى مخبرًا عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فقوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هذه النفخة الثانية وهي نفخة الصعق ، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله .
ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء ويقول : ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ ثلاث مرات ، ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول : ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ .
تفسير ابن كثير (٦٣/٤) .

(٣) سورة آل عمران (١٣٣) .

=

وقوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(١) .

فلو كانتا غير مخلوقتين لكان ذلك منه كذبًا والله تعالى منزه عن ذلك ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

ويدل عليه أن الله تعالى خلق الجنة والنار فوق سبع سموات .

فلا يقال : إنهما يفنيان بفناء السموات والأرض .

وكيف يقال بأنهما في السموات وهي ألف ألف مرة مثل السموات والأرض .

قال الله تعالى : ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾(٢) .

والسدرة فوق السماء السابعة(٣) .

= أي كما أعدت النار للكافرين ، وقد قيل إن معنى قوله عرضها السماوات والأرض تنبيهًا على اتساع طولها كما قال في صفة فرش الجنة ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ أي فما ظنك بالظهائر ، وقيل : بل عرضها كطولها لأنها فيه تحت العرش والشيء المربع والمستدير عرضه كطوله ، وقد دل على ذلك ما ثبت في الصحيح إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وسقفها عرش الرحمن ، وهذه الآية كقوله في سورة الحديد : ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية .
تفسير ابن كثير (١/٤٠٤) .

(١) سورة البقرة (٢٤) .
الوقود بفتح الواو فهو ما يلقى في النار لإضرامها كالحطب ونحوه كما قال تعالى : ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وقال تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ والمراد بالحجارة هي هاهنا حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المنتنة وهي أشد الأحجار حرًّا إذا حميت أجارنا الله منها .
وقيل : المراد بالحجارة الأصنام والأنداد التي كانت تعبد من دون الله كما قال تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ الآية حكاه القرطبي والرازي ورجحه على الأول .
تفسير ابن كثير (١/٦١) .

(٢) سورة النجم (١٤ ، ١٥) .

(٣) روى أحمد في مسنده أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ إنك دعوتني إلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض ، فأين النار ؟ فقال النبي ﷺ : (سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار) وقد رواه ابن جرير والبزار .
وهذا يحتمل معنيين أحدهما : أن يكون المعنى في ذلك أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل إذا جاء النهار أن لا يكون في مكان ، وإن كنا لا نعلمه وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل ، وهذا أظهر كما تقدم في حديث أبي هريرة عند البزار والثاني : أن يكون المعنى أن النهار إذا تغشى وجه العالم من هذا الجانب فإن الليل يكون من الجانب الآخر فكذلك الجنة في أعلى عليين فوق =

وكذلك جهنم تحت الأرضين السابعة السفلى قال الله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾[١] والسجين تحت الأرضين السابعة .

وأرواح الكفار يذهب بها إلى سجين ، والسجين تحت الأرض السابعة .

وأرواح المؤمنين وأرواح الشهداء يذهب بها إلى عليين .

والدليل على أن الجنة والنار خلقتا ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : (رأيت ربي ليلة المعراج في الجنة كذا ، وفي النار كذا . . . . . .) والحديث إلى أخره[٢] .

قالت المعتزلة والنجارية والجهمية : عذاب القبر[٣] وسؤال منكر ونكير لا يقبله العقل

= السماوات تحت العرش وعرضها كما قال الله عز وجل : ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ والنار في أسفل سافلين فلا تنافي بين كونها كعرض السماوات والأرض وبين وجود النار والله أعلم .
تفسير ابن كثير (٤٠٤/١) .

(١) سورة المطففين (٧) .
لفي سجين فعيل من السجن وهو الضيق كما يقال فسيق وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك ولهذا عظم أمره فقال تعالى : ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ أي هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم ، ثم قد قال قائلون هي تحت الأرض السابعة وفي حديث البراء بن عازب يقول الله عز وجل في روح الكافر اكتبوا كتابه في سجين ، وسجين هي تحت الأرض السابعة وقيل صخرة تحت السابعة خضراء ، وقيل بئر في جهنم .
تفسير ابن كثير (٤٨٥/٤) .

(٢) حديث الإسراء والمعراج رواه بطوله مسلم في صحيحه [٢٦٣-(١٦٣)] كتاب الإيمان ، ٧٤-باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات ، عن أنس بن مالك من حديث طويل وفيه : (قال ثم انطلق بي جبريل حتى نأتي سدرة المنتهى ، غشيها ألوان لا أدري ما هي قال : ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك) .
قال النووي : وفي هذا الحديث دلالة لمذهب أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن الجنة في السماء والله أعلم .
النووي في شرح مسلم (١٩١/٢) طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) قال النووي : اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر ، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة ، قال الله تعالى : ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ الآية وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي صلّى الله عليه وسلم من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ويعذبه ، وإذا لم يمنعه العقل وورد الشرع به وجب قبوله واعتقاده .
وقد ذكر مسلم هنا أحاديث كثيرة في إثبات عذاب القبر وسماع النبي ﷺ صوت من يعذب فيه وسماع الموتى قرع نعال دافنيهم وكلامه ﷺ لأهل القليب وقوله : (ما أنتم بأسمع منهم وسؤال الملكين الميت وإقعادهما إياه وجوابه لهما . . . . . .) . =

والقياس ، لأنه لو عذب لا يخلو ، إما أن يعذب اللحم بغير الروح ، أو يدخل الروح فيه ، ثم يعذبه الله تعالى وباطل أن يعذب اللحم بغير الروح .

لأن اللحم بغير الروح لا يتألم .

وباطل أن يدخل فيه الروح ثم يعذبه الله تعالى لأنه لو دخل فيه الروح لاحتاج إلى الموت ثانية ، وهذا لا يجوز(١) .

لأن الله تعالى قال : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ أخبر أنهم لا يذوقون الموت إلا مرة واحدة .

لأن كلمة كل تقتضي عموم الأشياء مرة واحدة ، ألا ترى أن من قال : كل امرأة أتزوجها فهي طالق ، يعم النسوان كلها حتى تطلق كل من تزوج بها ، ثم إذا تزوجها بعد ذلك لا تطلق .

فإذا بطل القسمان تعين القسم الثالث وهو أن لا يعذب أحدًا في القبر(٢) .

= النووي في شرح مسلم (١٧/١٦٥) .

(١) إن قيل : فنحن نشاهد الميت على حاله في قبره فكيف يسأل ويقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر له أثر ؟ .

فالجواب أن ذلك غير ممتنع بل له نظير في العادة وهو النائم فإنه يجد لذة وآلامًا لا نحس نحن شيئًا منها ، وكذا يجد اليقظان لذة وألمًا لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يشاهد ذلك جليسه منه .

وكذا كان جبريل يأتي النبي ﷺ فيخبره بالوحي الكريم ولا يدركه الحاضرون وكل هذا ظاهر جلي ، قال أصحابنا ، وأما إقعاده المذكور في الحديث فيحتمل أن يكون مختصًا بالمقبور دون المنبوذ ومن أكلته السباع والحيتان ، وأما ضربه بالمطارق فلا يمتنع أن يوسع له في قبره فيقعد ويضرب والله أعلم .

النووي في شرح مسلم (١٧/١٦٦) .

(٢) المقصود أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر كما ذكرنا خلافًا للخوارج ومعظم المعتزلة وبعض المرجئة نفوا ذلك .

ثم المعذب عند أهل السنة الجسد بعينه أو بعضه بعد إعادة الروح إليه أو إلى جزء منه وخالف فيه محمد بن جرير وعبد الله بن كرام وطائفة فقالوا : لا يشترط إعادة الروح ، قال أصحابنا هذا فاسد لأن الألم والإحساس إنما يكون في الحي ، قال أصحابنا : ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تفرقت أجزاؤه كما نشاهد في العادة أو أكلته السباع أو حيتان البحر أو نحو ذلك ، فكما أن الله تعالى يعيده للحشر وهو سبحانه وتعالى قادر على ذلك فكذا يعيد الحياة إلى جزء منه أو أجزاء وإن أكلته السباع والحيتان .

النووي في شرح مسلم (١٧/١٦٦) .

وقال أهل السنة والجماعة : عذاب القبر حق وسؤال منكر ونكير(١) ، وضغطة القبر حق ، سواء كان مؤمنًا أو كافرًا ، مطيعًا أو فاسقًا ، لكن إذا كان كافرًا فعذابه يدوم في القبر إلى يوم القيامة .

ويرفع عنهم العذاب يوم الجمعة وشهر رمضان لحرمة النبي ﷺ ، لأنهم ما داموا في الأحياء ، كان لا يعذبهم الله تعالى في الدنيا بحرمته(٢) ، فكذلك في القبر ، يرفع الله عنهم العذاب يوم الجمعة ، وكل شهر رمضان بحرمته .

ويعذب اللحم متصلاً بالروح ، والروح متصلاً بالجسد ، فيتألم الروح مع الجسد ، وإن كان خارجًا عنه .

ثم إن المؤمن على وجهين : إن كان مطيعًا ما لا يكون له عذاب القبر(٣) .

---

(١) روى الترمذي في سننه (١٠٧١) كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا قبر الميت-أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والأخير النكير فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول : هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ثم ينور له فيه ، ثم يقال له : نم ، فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم ؟ فيقولان : نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . . . . . . الحديث) .
وقال الترمذي : حديث أبي هريرة حديث حسن وفي الباب عن علي وزيد بن ثابت وابن عباس والبراء وأبي أيوب وأنس وجابر وعائشة وأبي سعيد كلهم رووا عن النبي ﷺ في عذاب القبر .

(٢) قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الأنفال (٣٣) .
قال ابن عباس : كان فيهم أمانان النبي ﷺ والاستغفار ، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار .
وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ يقول : ما كان الله ليعذب قومًا وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم .
ثم قال : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يقول وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الإيمان وهو الاستغفار ، يستغفرون يعني يصلون يعني بهذا أهل مكة .
تفسير ابن كثير (٣١٢/٢) .

(٣) فيما روى مسلم من حديثه المتقدم [٧٠-(٢٨٧٠)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧-باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، عن أنس وذكرناه بلفظه وفي آخره : قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعًا ، ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون .
قال النووي : الخضر ضبطوه بوجهين : أصحهما بفتح الخاء وكسر الضاد .
والثاني : بضم الخاء وفتح الضاد والأول أشهر ومعناه يملأ نعمًا غضة ناعمة واصلة من خضرة =

ويكون له ضغطة القبر ، فيجد هول ذلك وخوفه لما أنه كان يتنعم بنعم الله تعالى ، ولم يشكر النعمة .

وإن كان عاصيًا يكون له عذاب القبر ، وضغطة القبر[١] ، لكن ينقطع عنه عذاب القبر يوم الجمعة وليله ، ثم لا يعود العذاب إلى يوم القيامة ، وإن مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة ، يكون له العذاب ساعة واحدة ، وضغطة القبر كذلك ، ثم ينقطع عنه عذاب القبر ، ولا يعود إلى يوم القيامة ، ويكون الروح متصلاً بالجسد . وكذا إذا صار ترابًا يكون الروح متصلاً بترابه فيتألم الروح والتراب معًا .

يدل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال لعائشة[٢] رضي الله عنها : (كيف حالك عند ضغطة القبر للمؤمن ، كقمر الأم) .

أي أخذ الأم رجل ولدها بيدها .

ثم قال : (يا حميراء ، إن ضغطة القبر وسؤال منكر ونكير للمؤمن كالإثمد للعين[٣] إذا

= الشجر هكذا فسروه قال القاضي : يحتمل أن يكون هذا الفسح له على ظاهره وأنه يرفع عن بصره ما يجاوره من الحجب الكثيفة بحيث لا تناله ظلمة القبر ولا ضيقه إذا ردت إليه روحه ، قال : ويحتمل أن يكون على ضرب المثل والاستعارة للرحمة والنعيم كما يقال سقى الله قبره والاحتمال الأول أصح والله أعلم .

النووي في شرح مسلم (١٧/١٦٨) .

(١) قال شعبة ، أنا سعد بن إبراهيم ، عن نافع عن عائشة ، عن النبي ﷺ قال : (إن للقبر ضغطة ، ولو كان أحد ناجيًا منها لنجا منها سعد بن معاذ) .

وروى عقبة بن مكرم ، ثنا ابن أبي عدي ، عن سعد بن إبراهيم ، عن نافع عن صفية بنت أبي عبيد عن عائشة مرفوعًا : لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا منها سعد ، وقد تقدم هذا ، وما فيه صفية .

وليس هذا الضغط من عذاب القبر في شيء بل هو من روعات المؤمن كنزع روحه ، وكألمه من بكاء حميمه وكروعته من هجوم ملكي الامتحان عليه ، وكروعته يوم الموقف وساعة ورود جهنم ونحو ذلك نسأل الله أن يؤمن روعاتنا .

تاريخ الإسلام للذهبي من السيرة العطرة السنة الخامسة من الهجرة وفاة سعد بن معاذ .

(٢) انظر ما تقدم من حديث عائشة وقد ذكره أحمد في مسنده وتفرد بإخراجهما في مسنده (٦/ ٥٥ ، ٩٨) وفي إسنادهما إنسان مجهول .

ورواهما ابن كثير في جامع المسانيد والسنن في مسند عائشة انظر (٣٧/٢٨٠) أرقام (٣٣٨٤، ٣٣٨٥) وقال تفرد بهما أحمد .

طبعة دار الفكر .

(٣) روى ابن الأعرابي في معجم شيوخه (١/٥٢٥) رقم (١٠٤٢) ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : (خير كحلكم الإثمد . . . . . . الحديث) وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ =

رمدت) .

وكذا روي عن النبي ﷺ أنه قال : (كيف حالك يا عمر إذا أتاك فتَّانا القبر ؟ .

فقال عمر رضي الله عنه : معي عقلي وأنا على ما أنا عليه اليوم ؟ .

قال : (نعم) .

فقال عمر : إذًا لا أبالي)[1] .

والدليل على أن عذاب القبر مما يقبله العقل ، ألا ترى أن النائم تخرج روحه ، ويكون روحه متصلاً بجسده حتى أنه يتألم به في المنام ، ويتوصل إليه الألم والاستراحة .

وقد يتكلم في المنام لأن روحه متصلة بجسده .

والنوم أخو الموت[2] ، فيجوز أنه يتألم ويستريح بعد الموت .

والمعذب والمريح ، والرحيم هو الله تعالى ، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ، كما

= ٢٣٣) والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٩٦) وعزاه للبزار ورجاله رجال صحيح .
وقال ابن حجر في الفتح (١٠/١٧٥) بعد أن عزاه للبزار : في إسناده مقال .
وعزاه السيوطي في المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي (صـ٢٦٢) رقم (٣٦٤) لابن السني عن أبي هريرة بنحوه ، وعزاه السيوطي للدارقطني في الإفراد وصححه (الجامع الصحيح (٣/ ١٢٧)) .

(١) روى مسلم في صحيحه [٧٠-(٢٨٧٠)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧-باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه ، عن أنس بن مالك قال : قال النبي ﷺ : (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعالهم قال : (يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله) قال فيقال له انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة) قال نبي الله ﷺ : (فيراهما جميعًا) .

(٢) قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ الزمر (٤٢) .
قال تعالى يخبرنا عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان ، والوفاة الصغرى عند المنام كما قال تبارك وتعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ .
تفسير ابن كثير (٤/٥٥) .

يريد ، وهو على كل شيء قدير[(١)] .

وعن النبي ﷺ أنه قيل له : كيف يوجع اللحم في القبر ، ولم يكن فيه الروح ؟

فقال عليه الصلاة والسلام : (كما يوجع سنك وإن لم يكن فيه الروح) .

ألا ترى أن النبي ﷺ أخبر أن السن قد يوجع لما إنه متصل باللحم ، وإن لم يكن فيه الروح .

فكذلك بعد الموت ، لما كان روحه متصلاً بجسده فيتوجع الجسد ، وإن لم يكن فيه الروح ، والدليل على أن عذاب القبر حق قوله تعالى : ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[(٢)] فقوله تعالى : ﴿مَّرَّتَيْنِ﴾ أراد به عذابًا في الدنيا وعذابًا في القبر .

---

(١) في قوله تعالى : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ غافر (٤٦) .

هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور وهي قوله : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ .

ولكن هناك سؤال وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية وقد استدلوا بها على عذاب القبر في البرزخ وقد روى أحمد ومسلم عن عائشة حديثًا أن يهودية سألتها فأعطتها فقالت لها وقاك الله من عذاب القبر فأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك فلما رأت النبي ﷺ قالت له فقال ﷺ لا قالت عائشة رضي الله عنها ثم قال لنا رسول الله ﷺ بعد ذلك : (وإنه أوحي إليّ أنكم تفتنون في قبوركم) فيقال فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ ؟ والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوًا وعشيًا في البرزخ وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور إذ قد يكون ذلك مختصًا بالروح فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية .

وقد يقال إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنب .

مختصرًا من تفسير ابن كثير (٤/٨١) .

(٢) سورة التوبة (١٠١) .

قال مجاهد في قوله : ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ يعني القتل والسبي ، وقال في رواية الجوع وعذاب القبر ، ثم يردون إلى عذاب عظيم .

وقال ابن جريج عذاب الدنيا وعذاب القبر ، ثم يردون إلى عذاب عظيم النار .

وقال الحسن البصري : عذاب في الدنيا وعذاب في القبر .

وقال عبد الرحمن بن زيد : أما عذاب في الدنيا فالأموال والأولاد وقرأ قوله تعالى : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .

=

ولا جائز أن يقال أراد به عذابًا في الدنيا وعذابًا في الآخرة ، لأنه ذكر في الآية قوله تعالى : ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ .

يعني عذابًا في القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ وحكي أن ابا حنيفة رضي الله عنه سأله ابنه حماد[١] عن عذاب القبر ، فقال له : بأنه حق .

فقال : بأي دليل تقول ؟ .

فقال : بقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[٢] ، يعني عذابًا دون عذاب جهنم .

وأراد به عذاب القبر .

وعن النبي ﷺ أنه قال : (عذاب القبر ثلاثة أجزاء : ثلث في الغيبة ، وثلث في النميمة ، وثلث في البول) .

فقال عليه الصلاة والسلام : (استنزهوا من البول ، فإن عامة عذاب القبر منه)[٣] .

= وقال سعيد عن قتادة في قوله : ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ .
تفسير ابن كثير (٢/٣٩٣) .

(١) حماد ابن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الفقيه أبو إسماعيل ، تفقه بوالده .
وقيل كان من العباد الأخيار . حدث عن : أبيه ، وعن ليث بن أبي سليم .
وعنه : ابن المبارك وقتيبة ، وسويد بن سعيد لينوه من قبل حفظه .
وقد ذكره ابن عدي في الكامل ، قيل مات في ذي القعدة سنة سبع وسبعين ومائة .
تاريخ الإسلام وفيات (١٧١-١٨٠) .

(٢) سورة الطور (٤٧) .
أي قبل ذلك في الدار الدنيا كقوله تعالى : ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي نعذبهم في الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون ويتوبون فلا يفهمون ما يراد بهم ، بل إذا خلا عنهم مما كانوا فيه عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه .
كما جاء في بعض الأحاديث : (إن المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير لا يدري فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه) .
تفسير ابن كثير (٤/٢٤٥) .

(٣) أخرجه الدارقطني في سننه (١/١٢٨) ، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/١٣٨) ، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٣١٤ ، ٣٣٨) ، ونصب الراية للزيلعي (١/١٢٨) ، وابن أبي حاتم في علل الحديث (٤٢) .

وعن النبي ﷺ أنه قال : (القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران)(١) وروضة الجنة لا تخلو من الراحة واللذة ، وحفرة النيران لا تخلو من المحنة والمشقة .

فثبت بهذه الدلائل أن عذاب القبر حق ، وهو للمسلم من الجائز ، وللكافر من الواجبات .

والله الهادي .

فصل

ثم الأرواح على أربعة أوجه : أرواح الأنبياء عليهم السلام ، تخرج من جسدها وتصير مثل صورتها من المسك والكافور ، وتكون في الجنة وتأكل وتتنعم ، وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش(٢) .

وأما أرواح الشهداء فتخرج من جسدها ، وتكون في أجواف طيور خضر في الجنة تأكل وتتنعم .

يدل عليه قوله تعالى : ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾(٣) .

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب (٢٣٨/٤) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤٦/٣) ، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣٠١/٦) ، (٣٨٠/١٠) .
والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١٧١ ، ٣٠٤) .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٧٥-(٢٨٧٢)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧-باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، عن أبي هريرة قال : إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها ، قال حماد : فذكر من طيب ريحها وذكر المسك .
قال : (ويقول أهل السماء : روح طيبة جاءت من قبل الأرض ، صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه ، فينطلق به إلى ربه عز وجل ، ثم يقول : انطلقوا به إلى آخر الأجل . . . . . . الحديث) .
قال النووي : قال القاضي المراد بـ(إلى آخر الأجل) انطلقوا بروح المؤمن إلى سدرة المنتهى .

(٣) سورة آل عمران (١٦٩ ، ١٧٠) .
روى مسلم في صحيحه [١٢١-(١٨٨٧)] كتاب الإمارة ، ٣٣-باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ عن عبد الله بن مسعود لما سأل النبي ﷺ عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فقال : (أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك =

وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : (أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر ، فتعلق من ثمار الجنة ، وأما أرواح المطيعين من المؤمنين في رياض الجنة لا تأكل ولا تتنعم ، ولكن تنظر إلى الجنة ، وأما أرواح العصاة من المؤمنين تكون بين السماء والأرض في الهواء ، أما أرواح الكفار[١] تكون في أجواف طيور سود في سجين تحت الأرض السابعة ، وهي متصلة بأجسادها ، فتعذب أرواحها ويتألم ذلك الجسد كالشمس في السماء ، ونورها في الأرض) ، وكذلك النائم تخرج روحه ، ومع ذلك يتألم إذا كان به ألم ، أو يصيب به راحة حتى يسمع منه الضحك في المنام[٢] .

= القناديل . . . . . . الحديث) .
قال النووي : قال القاضي فيه أن الأرواح باقية لا تفنى فينعم المحسن ويعذب المسيء وقد جاء به القرآن والآثار وهو مذهب أهل السنة خلافًا لطائفة من المبتدعة قالت : تفنى .
قال القاضي : وقال هنا أرواح الشهداء .
وقال في حديث مالك : إنما نسمة المؤمن والنسمة تطلق على ذات الإنسان جسمًا وروحًا ، وتطلق على الروح مفردة وهم المراد بها في هذا التفسير في الحديث الآخر بالروح ، ولعلمنا بأن الجسم يفنى ويأكله التراب ولقوله في الحديث حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم القيامة .
قال القاضي : وذكر في حديث مالك رحمه الله تعالى نسمة المؤمن ، وقال : هنا الشهداء لأن هذه صفتهم لقوله تعالى : ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وكما فسره في هذا الحديث .
وأما غيره فإنما يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي كما جاء في حديث ابن عمر .
وكما قال في آل فرعون : ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ قال القاضي : وقيل بل المراد جميع المؤمنين الذين يدخلون الجنة بغير عذاب فيدخلونها الآن بدليل عموم الحديث .
النووي في شرح مسلم (٢٨/١٣) طبعة دار الكتب العلمية .

(١) في حديث مسلم المتقدم [٧٥-(٢٨٧٢)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، عن أبي هريرة وتكملته : قال : (وإن الكافر إذا خرجت روحه - قال حماد وذكر من نتنها ، وذكر لعنًا - ويقول أهل السماء : روح خبيثة جاءت من قبل الأرض قال فيقال : انطلقوا به إلى آخر الأجل) .
قال أبو هريرة : فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت عليه على أنفه هكذا .
قال النووي : قال القاضي : المراد انطلقوا بروح الكافر إلى سجين فهي منتهى الأجل ويحتمل أن المراد إلى انقضاء أجل الدنيا ، وقوله ريطة : ثوب رقيق وقيل هي الملاءة وكان سبب ردها على الأنف بسبب ما ذكر من نتن ريح روح الكافر .
شرح مسلم للنووي (١٦٩/١٧) .

(٢) قوله ﷺ في هذا الحديث المتقدم في مسلم (في جوف طير خضر) ، وفي غير مسلم (بطير خضر) =

يدل عليه قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[١] .

ولا يدري راحة النائم وألمه سوى الله تعالى ما لم ينتبه ويخبر عما رآه .

وكذلك الميت لا يعلم عذابه في القبر وراحته في القبر إلا هو الله تعالى حتى يبعث يوم القيامة ويخبر عما كان رآه في القبر .

وهذا المعنى يجوز أنه قد قيل : (النوم أخو الموت) .

فصل

قالت المعتزلة والخوارج : تحل دماء أهل القبلة[٢] بإحدى معان أربعة : أحدها : إذا

= وفي حديث آخر (بحواصل طير) ، وفي الموطأ (إنما نسمة المؤمن طير) وفي حديث آخر عن قتادة (في صورة طير أبيض) ، قال القاضي : قال بعض المتكلمين : على هذا الأشبه صحة قول من قال طير أو صورة طير وهو أكثر ما جاءت به الرواية لا سيما مع قوله (تأوي إلى قناديل تحت العرش) .
قال القاضي واستبعد بعضهم هذا ولم ينكره آخرون وليس فيهم ما ينكر ولا فرق بين الأمرين بل رواية طير أو جوف طير أصح معنى وليس للأقيسة والعقول في هذا حكم وكله من المجوزات فإذا أراد الله أن يجعل هذه الروح إذا خرجت من المؤمن أو الشهيد في قناديل أو أجواف طير أو حيث يشاء كان ذلك ووقع ولم يبعد لا سيما مع القول بأن الأرواح أجسام .
قال القاضي وقيل : إن هذا المنعم أو المعذب من الأرواح جزء من الجسد تبقى فيه الروح وهو الذي يتألم ويعذب ويلتذ وينعم وهو الذي يقول رب ارجعون وهو الذي يسرح في شجر الجنة فغير مستحيل أن يصور هذا الجزء طائرًا أو يجعل في جوف طائر وفي قناديل تحت العرش وغير ذلك مما يريد الله عز وجل .
قال القاضي : وقد اختلف الناس في الروح ما هي اختلافًا لا يكاد يحصر ، فقال كثير من أرباب المعاني وعلم الباطن المتكلمين لا تعرف حقيقته ولا يصح وصفه وهو مما جهل العباد علمه واستدلوا بقوله تعالى : ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ وغلت الفلاسفة فقالت بعدم الروح .
وقال جمهور الأطباء هو البخار اللطيف الساري في البدن وقال كثيرون من شيوخنا : هو الحياة وقال آخرون هي أجسام لطيفة مشابكة للجسم يحيى لحياته .
أجرى الله تعالى العادة بموت الجسم عند فراقه ، وقيل هو بعض الجسم .
النووي في شرح مسلم (٢٩/١٣) .

(١) سورة الزمر (٤٢) .

(٢) أخرج البخاري في صحيحه كتاب الديات باب قوله تعالى : ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ ، ومسلم في صحيحه [٢٥-(١٦٧٦)] كتاب القسامة والمحاربين ٦-باب ما يباح به دم المسلم كلاهما عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني =

ارتكب الكبيرة .

والثاني : إذا أحدث بدعة .

والثالث : إذا سل سيفًا على السلطان .

والرابع : إذا عطل فريضة ، أي تركها[(١)] .

أما إذا استحل تركها يحل دمه بالإجماع .

وقال أهل السنة والجماعة : لا تحل دماء أهل القبلة إلا بإحدى من ثلاث معان بالحديث وهو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث معان : كفر بعد إيمان ، وزنا بعد إحصان[(٢)] ، وقتل النفس بغير حق)[(٣)] .

وأما إذا خرج باغيًا على السلطان يجوز قتاله ما دام يقاتله ، فإذا رجع يترك .

= رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة) واللفظ لمسلم .
وأخرجه أيضًا : الترمذي (١٤٠٢) كتاب الديات ، باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث .
وقال أبو عيسى : حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح .

(١) روى مسلم في صحيحه [١٣٤-(٨٢)] كتاب الإيمان ، ٣٥-باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، عن جابر سمعت النبي ﷺ يقول : (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) .
قال النووي : تارك الصلاة فإن كان منكرًا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه ، وإن كان تركه تكاسلاً مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس ، فقد اختلف العلماء فيه مذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فإن تاب وإلا قتلناه حدًا كالزاني المحصن لكنه بالسيف وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي إلى أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعذر ويحبس حتى يصلي .
النووي في شرح مسلم (٢/٦١) .

(٢) روى مسلم في صحيحه [١٥-(١٦٩١)] كتاب الحدود ٤-باب رجم الثيب في الزنا ، عن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ : إن الله قد بعث محمدًا ﷺ بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم .
قرأناها ووعيناها وعقلناها ، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قاتل : ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وأن الرجم في كتاب الله حق على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء ، إذا قامت البينة ، أو كان الحبل أو الاعتراف .

(٣) تقدم تخريجه .

لقوله تعالى : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾[(١)] الآية .

وكذلك إذا وجد منه الفساد في الأرض مثل اللصوص وقطاع الطريق .

لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾[(٢)] الآية .

فنقول دماء أهل القبلة لا تحل إلا بما ذكرنا ، أو وجد منه الفساد في الأرض بأن كان (حقاقًا)[(٣)] غير مرة ، أو قصد مال غيره أو نفسه[(٤)] .

أو كان مبتدعًا ، إمامًا في ذلك يدعو الناس إلى البدعة ويتولد منه الفساد في الإمامة .

فصل

قال أهل السنة والجماعة : الإمامة ليست بمنصوصة لعلي ، ولا لأولاده .

وقالت الروافضة[(٥)] : الإمامة منصوصة لعلي رضي الله عنه ، والنبي ﷺ أوصى إليه ،

---

(١) انظر ما تقدم قبل هذا .

(٢) سورة المائدة (٣٣) .

قال النووي : اختلف العلماء في المراد بهذه الآية الكريمة فقال مالك : هي على التخيير ، فيخير الإمام بين هذه الأمور إلا أن يكون المحارب قد قتل ، فيتحتم قتله ، وقال أبو حنيفة وأبو مصعب المكي : الإمام بالخيار وإن قتلوا ، وقال الشافعي وآخرون : هي على التقسيم فإن قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا وإن قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا ، فإن أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ، فإن أخافوا السبيل ولم يأخذوا شيئًا ولم يقتلوا طلبوا حتى يعذروا وهو المراد بالنفي عندنا .

قال أصحابنا : لأن ضرر هذه الأفعال مختلف فكانت عقوبتها مختلفة ولم تكن للتخيير .

النووي في شرح مسلم (١١/ ١٢٧ ، ١٢٨) .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) في حديث العرنيين أنهم قدموا المدينة وأسلموا واستوخموها وسقمت أجسامهم فأمرهم النبي ﷺ بالخروج إلى إبل الصدقة فخرجوا فصحوا فقتلوا الراعي وارتدوا عن الإسلام وساقوا الذود فبعث النبي ﷺ في آثارهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركوا في الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا .

وهذا الحديث أصل في عقوبة المحاربين وهو موافق لقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ .

المرجع السابق (١١/١٢٧) طبعة دار الكتب العلمية .

(٥) روى مسلم في صحيحه [٣٠-(٢٤٠٤)] كتاب فضائل الصحابة ٤-باب فضائل علي بن أبي طالب =

فكان هو وصي رسول الله ﷺ .

وقال أهل السنة والجماعة : كان وصيًا في شيء مخصوص وهو قضاء ديونه .

والوصي في شيء مخصوص لا يكون وصيًا في الأشياء كلها إن لو كان وصيًا مطلقًا .

وعلي رضي الله عنه ما كان وصيًا مطلقًا[١] .

وقالت المعتزلة : الوصية فرض على كل من مات وعندنا إذا أصلح أموره وقضى ديونه ، فالوصية ليست بفرض .

وهو بالخيار ، إن شاء أوصى وإن لم يشأ لم يوص ، وإن لم يصلح أموره ، ولم يقض ديونه ، فالوصية فرض لحقوق العباد[٢] .

= رضي الله عنه ، عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ لعلي : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) .
قال النووي : قال القاضي : هذا الحديث مما تعلقت به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة في أن الخلافة كانت حقًا لعلي وأنه وصى له بها قال ، ثم اختلف هؤلاء فكفرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم غيره وزاد بعضهم فكفر عليًا لأنه لم يقم في طلب حقه بزعمهم وهؤلاء أسخف مذهبًا وأفسد عقلاً من أن يرد قولهم أو يناظر .
النووي في شرح مسلم (١٥/١٤٢) .

(١) لما قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه البصرة قام إليه ابن الكواء وقيس بن عباد فقالا له : ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه تستولي على الأمر وتضرب الناس بعضهم ببعض ، أعهد من رسول الله عهده إليك ، فحدثنا فأنت الموثوق به والمأمون على ما سمعت فقال أما أن يكون عندي من النبي ﷺ عهد في ذلك فلا والله لئن كنت أول من صدق به أكون أول من كذب عليه .
ولو كان عندي من النبي في ذلك عهد ما تركت أخا بني تيم بن مرة (يقصد الصديق رضي الله عنه) وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ، ولقاتلتهما بيدي ، ولو لم أجد إلا بردتي هذه ولكن رسول الله لم يقتل قتلاً ولم يمت فجاءة مكث في مرضه أيامًا وليالي . . . . . . إلى آخر كلامه .
انظر مختصر كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة (صـ٢٦٨ ، ٢٦٩) - من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) هذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم بل فيه إثبات فضيلة لعلي ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى بل توفي في حياة موسى وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص .
قالوا : وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة والله أعلم .
النووي في شرح مسلم (١٥/١٤٢) طبعة دار الكتب العلمية .

والدليل على أن الإمامة ليست منصوصة لعلي ولا للحسن[١] ولا للحسين رضي الله عنهم ، لأنها لو كانت منصوصة لنقلتها الصحابة إلى التابعين والتابعون إلى الصالحين ، والصالحون إلينا .

ولا يظن بالصحابة أنهم قصروا في ذلك ، أن لو كان .

ألا نرى أنهم نقلوا إلينا أحكام الاستنجاء وغيره من الشرائع .

فالذي يتعلق بأحكام الدين أولى أن لا يقصروا فيه .

ويدل على ذلك أنه عليه السلام لما توفي[٢] اجتمعت الصحابة في سقيفة بني ساعدة .

وقالوا : سمعنا رسول الله ﷺ يقول : (من مات ولم يرى على نفسه إمامًا مات ميتة الجاهلية) .

فلا تجب أن يمضي علينا يوم ولم نرى في أنفسنا إمامًا وهو الخليفة[٣] .

---

(١) الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد الهاشمي القرشي ، سبط رسول الله ﷺ وريحانة رسول الله ﷺ ، أخرج له : أصحاب السنن الأربعة ، توفي سنة (٤٩-٥٨) .
ترجمته : تهذيب التهذيب (٢/٢٩٥) ، تقريب التهذيب (١/١٦٨) ، الكاشف (١/٢٢٤) ، أسماء الصحابة الرواة (١٥٦) ، تاريخ البخاري الكبير (٢/٢٨٦) ، الجرح والتعديل (٣/٧٣) ، أسد الغابة (٢/١٠) ، تجريد أسماء الصحابة (١/١٣٠) ، الإصابة (٢/٦٨) ، الاستيعاب (١/٣٨٣) ، شذرات الذهب (١/ ١٠ ، ١٦) ، الوافي بالوفيات (١٢/٩٢) ، حلية الأولياء (٢/٣٥) ، سير أعلام النبلاء (٣/٢٤٥) ، الثقات (٣/٦٧) .

(٢) قال علي رضي الله عنه : والله ما مات رسول الله فجاءة ولا قتل قتلًا ، ولكن مرض أيامًا وليالي كل ذلك يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيقول له : ائت أبا بكر فمره فليصلِّ بالناس ، ولقد تركني وهو يرى مكاني ، ولو كان عهد من رسول الله إلي ما تركت أحدًا من بني تيم (تيم قبيلة أبي بكر الصديق) ولا ابن الخطاب يقومان على منبر رسول الله .
ولجاهدت بسيفي ، فلما قبض رسول الله نظرنا في أمورنا فإذا الصلاة عمود الإسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا ما رضيه رسول الله لديننا ، فولينا أبا بكر أمورنا نغزو إذا غزا ، ونأخذ إذا أعطانا ونقيم الحدود بين يديه ولا يختلف منا اثنان والكلمة جامعة .
مختصر كتاب الموافقة (صـ٢٧ ، ٢٨)-من تحقيقنا - طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) روى مسلم في صحيحه [١١-(١٨٢٣)] كتاب الإمارة ، ٢-باب الاستخلاف وتركه ، عن ابن عمر قال : حضرت أبي حين أصيب فأثنوا عليه وقالوا : جزاك الله خيرًا ، فقال : راغب وراهب قالوا : استخلف ، فقال : أتحمل أمركم حيًا وميتًا ؟ لوددت أن حظي منها الكفاف لا عليَّ ولا لي ، فإن استخلف فقد استخلف من هو غير مني - يعني أبا بكر - وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني رسول الله ﷺ .
قال عبد الله بن عمر : فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ ، غير مستخلف .

لأن كل من كان لا يرى الإمامة حقًا فإنه يكفر .

لأن من الأحكام ما يتعلق جوازه بالإمامة نحو الجمعة ، والعيدين ، ونكاح الأيتام .

وكل من أنكر الإمامة فقد أنكر الفرائض أو فرضًا واحدًا .

ومن أنكر الفرائض فإنه يكفر(١) .

فقام واحد من الأنصار فقال : منا أمير ومنكم أمير فقام أبو بكر رضي الله عنه وقال : إني ظننت أن عليًا يصلح لذلك فأردت أن أبايعه(٢) .

فقام علي رضي الله عنه وسل سيفه وقال : قم يا خليفة رسول الله ﷺ ، قدمك النبي عليه السلام فمن ذا الذي يؤخرك كنت عند رسول الله ، ولم يأمرني فقال النبي ﷺ : (مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس)(٣) ، فرضيناه لأمر ديننا .

---

(١) أجمع المسلمون على أن الخليفة إذا حضرته مقدمات الموت وقبل ذلك يجوز له الاستخلاف ويجوز له تركه فإن تركه فقد اقتدى بالنبي ﷺ في هذا وإلا فقد اقتدى بأبي بكر ، وأجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف وعلى انعقادها بعقد أهل الحل والعقد لإنسان إذا لم يستخلف الخليفة ، وأجمعوا على جواز جعل الخليفة الأمر شورى بين جماعة . كما فعل عمر بالستة ، وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة ووجوبه بالشرع لا بالعقل وأما ما حكي عن الأصم أنه قال : لا يجب وعن غيره أنه يجب بالعقل لا بالشرع فباطلان .
أما الأصم فمحجوج بإجماع من قبله ولا حجة له في بقاء الصحابة بلا خليفة في مدة التشاور يوم السقيفة وأيام الشورى لأنهم لم يكونوا تاركين بل كانوا ساعين وأما القائل الآخر ففساد قوله ظاهر لأن العقل لا يوجب شيئًا ولا يحسنه ولا يقبحه وإنما يقع ذلك بحسب العادة لا بذاته .
النووي في شرح مسلم (١٧٣/١٢) .

(٢) مما قال أبو بكر في سقيفة بني ساعدة : أما بعد ما ذكرتم من خير فهو فيكم معشر الأنصار ، وأنتم أهله وأفضل منه ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم وأخذ بيدي عمر وأبي عبيدة .
فقال رجل من الأنصار : منا أمير ومنكم أمير معشر المهاجرين يقال الرجل الأنصاري الذي قال ذلك هو الحباب بن النذر بن الجموح من أصحاب الرأي (انظر الرياض النضرة) .
فأتاهم عمر فقال : يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن أبا بكر قد أمره النبي ﷺ أن يؤم الناس ؟ قالوا : بلى ، قال : فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ فقالت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر .
مختصرًا من تاريخ الإسلام سنة إحدى عشرة .

(٣) أخرجه : البخاري (٧١٦) كتاب الأذان ، ٧٠-باب إذا بكى الإمام في الصلاة .
ومسلم [٩٤-(٤١٨)] ، [٩٥-(٤١٨)] كتاب الصلاة ، ٢١-باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس .

=

وإنما سماه خليفة رسول الله ﷺ لأن النبي ﷺ استخلفه بأن يصلي بالناس في آخر عمره ، فصلى بالناس[١] .

في رواية سبعة أيام ، وفي رواية ثلاثة أيام ، فبايعوه على ذلك جميعًا ، وانعقدت البيعة واشتغلوا بدفن رسول الله ﷺ فلما فرغوا من دفنه ﷺ ، قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبًا وقال : وليتكم ولست بخيركم ، أقيلوني أقيلوني .

فقام علي رضي الله عنه وقال : يا أبا بكر لا نقيلك ولا نستقيلك ، وقد قدمك النبي ﷺ فمن ذا الذي يؤخرك[٢] .

فوجدوه يومًا يبيع قميصًا لامرأته في السوق ليشتري به طعامًا .

= وأبو داود (٤٦٦٠) كتاب السنة ، ١١-باب استخلاف أبي بكر رضي الله عنه .
والترمذي (٣٦٧٢) كتاب المناقب ، ١٦-باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .
والنسائي (٩٩/٢) كتاب القبلة ، ٤-باب الائتمان بالإمام يصلي قاعدًا رقم (٨٣٣) .
وابن ماجة (٣٨٩/١) ٥-كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، ١٤٢-باب ما جاء في صلاة رسول الله ﷺ في مرض الموت .
وأحمد في مسنده (٣٢٢/٤) .
والحاكم في مستدركه (٦٤١/٣) .

(١) بما كفرت الروافض الصحابة في تقديمهم غير علي في الخلافة قال القاضي عياض : ولا شك في كفر من قال هذا لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأول فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام وأما من عدا هؤلاء الغلاة فإنهم لا يسلكون هذا المسلك ، فأما الإمامية وبعض المعتزلة فيقولون هم مخطئون في تقديم غيره لا كفار وبعض المعتزلة لا يقول بالتخطئة لجواز تقديم المفضول عندهم وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم بل فيه إثبات فضيلة لعلي ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده .
النووي في شرح مسلم (١٤٢/١٥) .

(٢) انظر مختصر كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة (صـ٢٩) - من تحقيقنا - طبعة دار الكتب العلمية .
وذكر الذهبي في تاريخ الإسلام : عن عبد الله بن مسعود قال : لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير ، فأتاهم عمر فقال : ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر فأم الناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ فقالوا : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر .
وحكي عن أبي البحتري قال : قال عمر لأبي عبيدة أبسط يدك حتى أبايعك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (أنت أمين هذه الأمة) فقال : ما كنت لأتقدم بين يدي رجل أمره رسول الله ﷺ أن يؤمنا ، فأمنا حتى مات رسول الله ﷺ .
تاريخ الإسلام وفيات سنة (١٣) .

فقالوا : نجعل لك أجرًا من بيت المال فجعلوا له كل يوم درهمان[١] .

فقال لهم : إني رجل ضعيف لا أستطيع عمل درهمين فيكون حرامًا ، فجعلوا له كل يوم درهمًا ودانقين ، وكان يأخذه ويجعله في كوز ويبيع متاع البيت سرًا وينفق ، فلما كان اليوم الذي توفى فيه دعى بالكوز وصب ما فيه وقال لابنته عائشة رضي الله عنها رديها إلى عمر بن الخطاب[٢] وأوصى بذلك وقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ في آخر يوم من الدنيا ، وأول يوم في الآخرة .

وقال : إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإن عدل فذلك ظني ، وإن فجر فلا يعلم الغيب إلا الله ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٣] فرضي كلهم بخلافة عمر رضي الله عنه ، ورضي به علي رضي الله عنه غاية الرضا[٤] .

---

(١) قال إبراهيم بن تهمان ، عن خالد الحذاء ، عن حميد بن هلال قال : لما بويع أبو بكر أصبح وعلى ساعده أبرار فقال عمر : ما هذا ؟ قال يعني لي عيال ، قال : انطلق يفرض لك أبو عبيدة ، فانطلق إلى أبي عبيدة فقال : أفرض لك قوت رجل من المهاجرين وكسوته ولك ظهرك إلى البيت .
وقالت عائشة : لما استخلف أبو بكر ألقى كل دينار ودرهم عنده في بيت المال وقال : قد كنت أتجر فيه وألتمس به ، فلما وليتهم شغلوني .
وقال عطاء بن السائب : لما استخلف أبو بكر أصبح وعلى رقبته أثواب يتجر فيها فلقيه عمر وأبو عبيدة فكلموه فقال : فمن أين أطعم عيالي ؟ قالا : انطلق حتى نفرض لك ، قال ففرضوا له كل يوم شطر شاه وما كسوه في الرأس والبطن .
تاريخ الإسلام وفيات سنة (١٣) .

(٢) قال صديق الإسلام لابنته عائشة : أما أنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارًا ولا درهمًا ولكنا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا ، وليس عندنا من فيء المسلمين شيء إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجلد هذه القطيفة ، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر ، ففعلت .
وعن عائشة : أن أبا بكر حين حضره الموت قال إني لا أعلم عند آل أبي بكر غير هذه اللقحة وغير هذا الغلام الصقل كان يعمل سيوف المسلمين ويخدمنا فإذا مت فادفعيه إلى عمر ، فلما دفعته إلى عمر قال عمر : رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده .
تاريخ الإسلام وفيات سنة (١٣) .

(٣) سورة الشعراء (٢٢٧) .

(٤) في استخلاف عمر رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق دعا عثمان رضي الله عنه فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلًا فيها ، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ، ويصدق الكاذب إني استخلفت =

وإنما انعقدت البيعة على عمر رضي الله عنه فإنما اختاره أبو بكر رضي الله عنه لأنه سمع من رسول الله ﷺ أنه قال : (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما)[١] وكان عمر رضي الله عنه تجهز الجيوش ، ويفتح البلاد وفتح خراسان ، وبعث أحنف بن قيس إلى بلخ وفتحها صلحًا .

قيل : (. . . . . .)[٢] تجاوز ما وراء النهر ، وقال تلك ولاية عثمان ، فانصرف أحنف[٣] من بلخ ، وتوفي بمرو .

وكان خلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين فقتله أبو لؤلؤة النصراني غلام المغيرة بن شعبة ، وجعل الأمر شورى بين ستة نفر : عثمان بن عفان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم .

وكان سعد بن أبي وقاص غائبًا .

= عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاستمعوا له وأطيعوا ، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرًا ، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه ، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ .
تاريخ الإسلام وفيات سنة (١١) .

(١) أخرجه : الترمذي في سننه (٣٦٦٢) كتاب المناقب ، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، عن حذيفة ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن .
وابن ماجة في المقدمة ، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢) كلمة غير واضحة بالأصل .

(٣) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين أبو بحر التميمي الذي يضرب به المثل في الحلم ، من كبار التابعين وأشرافهم ، اسمه الضحاك ، ويقال صخر ، وغلب عليه الأحنف لاعوجاج رجليه وكان سيدًا مطاعًا في قومه ، أسلم في حياة النبي ﷺ ، ووفد على عمر .
قال ابن سعد كان الأحنف ثقة مأمونًا قليل الحديث وكان صديقًا لمصعب بن الزبير ، فوفد عليه إلى الكوفة فتوفي عنده ، سنة (٧١) .
لما سار الأحنف إلى مرو الروذ ومنها إلى بلخ ، فصالحوه على أربعمائة ألف ، ثم أتى الأحنف خوارزم فلم يطقها ، فرجع .
وقال ابن إسحاق : خرج ابن عامر من خراسان قد أحرم من نيسابور بعمرة وخرج على خراسان الأحنف فجمع أهل خراسان جمعًا كبيرًا واجتمعوا بمرو ، فقاتلهم الأحنف وهزمهم وقتلهم وكان جمعًا لم يجتمع مثله قط .
انظر مختصرًا من تاريخ الإسلام وفيات (٧١-٨٠) .

فاعتزل طلحة[١] والزبير وقالا : لا حاجة لنا فيها .

فبقى علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف .

فقال عبد الرحمن بن عوف : إني وهبت لكما نصيبي فأذنا إلي حتى أختار أحدكما ، فقالا : نعم ، وأجلوه ثلاثة أيام .

وكان يتبع الناس سرًا وجهرًا ، فوجد رأيهم إلى عثمان رضي الله عنه أميل .

فقال : إني اخترت عثمان بن عفان فبايعه علي طائعًا وسائر الصحابة .

فقتله الغوغاء[٢] .

وكان خلافة عمر وعثمان اثنتين وعشرين سنة وخلافة أبي بكر سنتين ، وخلافة علي ست سنين .

فذلك كله ثلاثون سنة .

وعن النبي ﷺ أنه قال : (الخلافة من بعدي ثلاثون سنة ، ثم تصير إمارة وملكًا)[٣] .

(١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، أبو محمد القرشي المدني التيمي ، وقيل : طلحة الخير ، وقيل طلحة الفياض ، أخرج له : الستة وهو من العشرة المبشرين بالجنة وتوفي يوم الجمل سنة (٣٦) .
ترجمته : تهذيب التهذيب (٥/٢٠) ، تقريب التهذيب (١/٣٧٩) ، الكاشف (٢/٤٣) ، تاريخ البخاري الكبير (٤/٣٤٤) ، تاريخ البخاري الصغير (٦٩ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٨٤) ، الجرح والتعديل (٤/٤٧١) ، وأسد الغابة (٣/٨٥) ، البداية والنهاية (٧/٢٤٧) ، وسير الأعلام (١/٢٣) ، الوافي بالوفيات (١٦/٤٧٣) ، أسماء الصحابة الرواة (٨٣) ، ديوان الإسلام (١٣٤٧) .

(٢) عثمان بن عفان رضي الله عنه خلافته صحيحة بالإجماع ، وقتل مظلومًا وقتلته فسقة لأن موجبات القتل مضبوطة ولم يجر منه رضي الله عنه ما يقتضيه ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة وإنما قتله همج ورعاع من غوغاء القبائل وسفلة الأطراف والأرذال تحزبوا وقصدوه من مصر فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم فحاصروه حتى قتلوه رضي الله عنه .
النووي في شرح مسلم (١٥/١٢١) .

(٣) الحديث أخرجه : أبو داود (٥/٣٦ ، ٣٧) كتاب السنة ٩-باب في الخلفاء ، رقم الحديث (٤٦٤٦) والترمذي (٢٢٢٦) كتاب الفتن - باب في الخلافة ، قال الترمذي : هذا حديث حسن .
وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/١٤٥) كتاب معرفة الصحابة ، وسكت عنه الحاكم والذهبي في التلخيص .
وأخرجه : الطبراني في الكبير (١/٧) رقم (١٣) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٦٢) باب في ذكر خلافة علي بن أبي طالب رقم (١١٨١ ، ١١٨٥) .
وابن حبان - موارد الظمآن (١٥٣٤ ، ١٥٣٥) كتاب الإمامة ١-باب الخلافة .
=

وبعد علي[١] رضي الله عنه لا نقول بأن الإمامة منصوصة للحسن والحسين .

وإنما تثبت الإمامة بإجماع المسلمين بعد أن قال أبو بكر رضي الله عنه : إن الأئمة من قريش .

وقالت الروافض : الإمامة للحسن والحسين رضي الله عنهم .

وقالت الشيعة : بأن عليًا كان خليفة رسول الله ﷺ ، والمهاجرون والأنصار كفروا بالله حين بايعوا أبو بكر رضي الله عنه .

فنقول : انعقد الإجماع على إسلامهم قبل وفاة النبي ﷺ[٢] .

وكل من يقول : إنهم كفروا بعد وفاة النبي ﷺ فعليه الدليل .

فصل

في بيان أن أفضل الصحابة أبو بكر رضي الله عنه[٣] يدل عليه أن عليًا رضي الله عنه كان

= والطيالسي في مسنده (١١٠٧) وأخرجه : ابن الأعرابي في معجم شيوخه (٤٩٧/١) رقم (٩٨٠)، من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية .

(١) فيما روى مسلم [٩-(٢٣٨٥)] كتاب فضائل الصحابة ١-باب فضائل أبي بكر الصديق ، سئلت عائشة : من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلف ؟ قالت : أبو بكر ، فقيل لها : ثم من بعد أبي بكر ؟ قالت : عمر ، ثم قيل لها : من بعد عمر ؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح ثم انتهت إلى ذلك .

(٢) قال النووي فيه دليل لأهل السنة في تقديم أبي بكر ، ثم عمر للخلافة مع إجماع الصحابة ، وفيه دلالة لأهل السنة أن خلافة أبي بكر ليست بنص من النبي ﷺ على خلافته صريحًا بل أجمعت الصحابة على عقد الخلافة له وتقديمه لفضيلته ولو كان هناك نص عليه أو على غيره لم تقع المنازعة من الأنصار وغيرهم أولاً .
النووي في شرح مسلم (١٢٦/١٥) .
قال النووي : الصحابة كلهم عدول رضي الله عنهم وأما الحروب التي جرت بينهم فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها وهم متأولون في حروبهم وغيرها ولم يخرج شيء من ذلك أحدًا منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم .
واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم .
النووي في شرح مسلم (١٢١/١٥) طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) قال الإمام المازري : اختلف الناس في تفضيل بعض الصحابة على بعض ، فقالت طائفة لا نفاضل بل نمسك عن ذلك ، وقال الجمهور بالتفضيل ، ثم اختلفوا ، فقال أهل السنة : أفضلهم أبو بكر =

يخطب على منبر الكوفة فقال ابنه محمد ابن الحنفية : من خير هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ ؟ .

قال : أبو بكر[١] .

قال : ثم من ؟ .

قال : عمر .

قال : ثم من ؟ .

قال : عثمان .

قال : ثم من ؟ ، فسكت علي رضي الله عنه .

فقال : لو شئت لأنبأتكم بالرابع[٢] .

فقال محمد ابن الحنفية[٣] : أنت ؟ .

فقال علي رضي الله عنه : أبوك رجل من المسلمين .

= الصديق ، وقال الخطابية : أفضلهم عمر بن الخطاب ، وقالت الراوندية : أفضلهم العباس ، وقالت الشيعة : علي ، واتفق أهل السنة على أن أفضلهم أبو بكر ثم عمر ، ، قال جمهورهم ، ثم عثمان ثم علي وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة بتقديم علي على عثمان ، والصحيح المشهور تقديم عثمان .

قال أبو منصور البغدادي : أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور ، ثم تمام العشرة ثم أهل بدر ، ثم أحد ، ثم بيعة الرضوان . . . . . . إلى آخر كلامه . النووي في شرح مسلم (١٥/١٢١) .

(١) روى مسلم في صحيحه [٢-(٢٣٨٢)] كتاب فضائل الصحابة ، ١-باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، عن أبي سعيد ، وفيه : وقال رسول الله ﷺ : (إن أمن الناس عليّ في ماله وصحبته أبو بكر ، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام . . . . . . الحديث) .

(٢) انظر في مختصر كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة (صـ١٢٠) ، من تحقيقنا ، طبعة دار الكتب العلمية .

وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (٢/١٠٣) .

(٣) محمد بن علي بن أبي طالب ، أبو القاسم ابن الحنفية ، أبو عبد الله الهاشمي المدني ، ثقة عالم ، أخرج له الستة ، توفي (٨٠، ٧٣) .

ترجمته : تهذيب التهذيب (٩/٣٥٤) ، تقريب التهذيب (٢/١٩٢) ، الكاشف (٣/٨٠) ، الجرح والتعديل (٨/١١٦) ، التاريخ الكبير (١/١٨٢) ، المغني (٥٨٤٨) ، سير الأعلام (٤/١١٠) .

وإنما سكت علي لأنه لم يرد أن يمدح نفسه[١] ، ويدل عليه أن النبي ﷺ كان يُجلس أبا بكر عن يمينه ، وعمر عن يساره ، فلا يخلو إما أن فعل ذلك إكرامًا واستحقاقًا .

ولا يظن بالنبي ﷺ أنه فعل ذلك خوفاً ، لأنه لا يخاف منهما .

وكذلك كان يقومان بجزائه ، وكذلك استخلفه في أخر عمره .

فدل على أنه فعل ذلك استحقاقًا .

لأنه استخلفه بحضرة جميع الصحابة[٢] .

بخلاف استخلاف ابن أم مكتوم[٣] .

لأن الصحابة كانوا بالغزو مع رسول الله ﷺ .

والله الهادي إلى سبيل الرشاد .

فصل

فإن قيل روي عن النبي ﷺ أنه قال لعلي : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا

---

(١) قال النووي : أما ما تدعيه الشيعة من النص على علي والوصية إليه فباطل لا أصل له باتفاق المسلمين ، والاتفاق على بطلان دعواهم من زمن علي وأول من كذبهم علي رضي الله عنه بقوله : ما عندنا إلا ما في هذه الصحيفة الحديث ، ولو كان عنده نص لذكره ولم ينقل أنه ذكره في يوم من الأيام ولا أن أحدًا ذكره له والله أعلم .
شرح مسلم للنووي (١٢٦/١٥) .

(٢) في فضل أبي بكر وعمر : روى الترمذي (٣٦٦٥) كتاب المناقب ، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما ، عن علي بن أبي طالب قال : كنت مع رسول الله ﷺ إذ طلع أبو بكر وعمر فقال رسول الله ﷺ : (هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين ، يا علي لا تخبرهما) .
وفي رقم (٣٦٦٨) عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويبتسم إليهما .

(٣) عمرو ابن أم مكتوم الضرير القرشي العامري صحابي مشهور قديم الإسلام ، مؤذن رسول الله ﷺ ، واستخلفه على المدينة في غير غزوة ، وقيل كان اللواء معه يوم القادسية واستشهد يومئذ ، وقال ابن سعد : رجع إلى المدينة بعد القادسية ، ولم نسمع له بذكر بعد عمر ، روى عنه : عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وأبو رزين الأسدي ، وأخرج له : أبو داود والنسائي وابن ماجه .
ترجمته : تهذيب التهذيب (١٠٦/٨) ، تقريب التهذيب (٧٩/٢) ، تاريخ البخاري الصغير (١/ ٢٦) ، تجريد أسماء الصحابة (٤٠٦/١) .

نبي بعدي)[١] .

وخلافة هارون لم يكن لها من تبديل ، فكذلك هاهنا والجواب عنه أن نقول : فضيلته لم تكن من الوجه الذي توهمتم .

لأن النبي ﷺ استخلفه على المدينة ، وخرج إلى بعض الغزوات .

فقال المنافقون : النبي أعرض عنه وحبسه في البيت ، فاغتم بذلك علي رضي الله عنه[٢] فقال له النبي ﷺ : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) .

وإنما يصح هذا إن لو كان قال : أنت مني بمنزلة يوشع بن نون[٣] ، وهو كان خليفة

---

(١) أخرجه : مسلم كما تقدم من قبل .
وكذلك أخرجه النسائي في خصائص علي (٤٤ ، ٦٣) والترمذي (٥/٥٩٨، ٥٩٩) ٥٠-باب كتاب المناقب ، ٢١-باب منه ، رقم الحديث (٣٧٣٠) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب . وابن ماجة (١/٤٥) في المقدمة ، رقم الحديث (١٢١) ، وأحمد في مسنده (١/ ١٧٩ ، ٣/ ٣٢ ، ٦/٣٦٩) والدولابي في الكنى والأسماء (١/٩٢) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٤٥، ٧/ ١٩٥ ، ١٩٦) .
وابن الأعرابي في معجم شيوخه (١/٢٦٦) رقم الحديث (٤٨٧) .
من تحقيقنا ، طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : فيما رواه مسلم (٣٢) كتاب فضائل الصحابة ، ٤-باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، عن سعد بن أبي وقاص وفيه : وسمعته يوم خيبر : (لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتطاولناها فقال : (ادعوا لي عليًا) فأتي به أرمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ، ففتح الله عليه ، ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال : (اللهم هؤلاء أهلي) .

(٣) في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ .
قال ابن كثير : سبب قول موسى لفتاه وهو يوشع بن نون هذا الكلام أنه ذكر له أن عبدًا من عباد الله بمجمع البحرين عنده من العلم ما لم يحط به موسى فأحب الرحيل إليه وقال لفتاه ذلك .
ثم قال بعد ذلك : فأخذ حوته بمكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام .
وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة هذا النبي (أي الذي جاء في قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآيات هو يوشع بن نون) .
قال ابن جرير : يعني ابن أفرايم بن يوسف بن يعقوب وهذا القول بعيد لأن هذا كان بعد موسى بدهر طويل وكان ذلك في زمان داود عليه السلام كما هو مصرح به في القصة ، وقال السدي هو شمعون وقال مجاهد هو شمويل عليه السلام .
انظر تفسير ابن كثير (٣/٩٤) ، (٣/٩٥) ، (١/٣٠٠) .

موسى عليه الصلاة والسلام يومئذ .

والله أعلم .

فصل

وصنف من الروافض[١] قالوا : بأن الوحي كان لعلي إلا أن جبريل غلط في الوحي إلى محمد ﷺ .

وصنف منهم قالوا بأنه كان شريكًا في النبوة وهؤلاء كلهم كفار .

لأنهم أنكروا نص القرآن ، وإجماع الأمة .

وقال الله تعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ .

وقال بعضهم : إن عليًا كان أعلم من النبي ﷺ ، وهو بمنزلة الخضر من موسى .

والجواب عنه أن نقول : ذلك العلم كان له بتعليم النبي صلى اله عليه وسلم لقوله ﷺ : (أنا مدينة العلم وعلي بابها)[٢] .

والباب لا يكون أعظم من المدينة .

يدل عليه أن عليًا رضي الله عنه كان وليًا .

---

(١) الرافضة هم الشيعة الرافضون لإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، أو أن ابتداءهم كان عندما خرج زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على هشام بن عبد الملك فأراد أنصاره الطعن في أبي بكر فمنعهم فتركوه وانصرفوا عنه فقال لهم : رفضتموني ؟ فبقي اسم الرافضة عليهم .
وقيل إنهم الرافضة لأنهم رفضوا الدين بالكلية ، فقد كفروا الصحابة ، وأبطلوا الاجتهاد ، واتهموا القرآن بالتحريف من قبل الصحابة بالنقصان والزيادة ، وادعوا أن الشريعة كما هي بين أيدي المسلمين ليست هي ما أنزل الله وأسقطوا التكاليف لذلك وأباحوا المحرمات الشرعية وتوسعوا فيها .
موسوعة الفرق والجماعات (صـ٢٢٨، ٢٢٩) .

(٢) أخرج الترمذي في سننه (٣٧٣٤) كتاب المناقب ، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أنا دار الحكمة وعلي بابها) .
وقال الترمذي : هذا حديث غريب منكر .
وفي فضائل علي روى الترمذي (٣٧٣٤) في المناقب عن ابن عباس قال : أول من صلى علي ، قال الترمذي وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم أول من أسلم أبو بكر الصديق وقال بعضهم : أول من أسلم علي ، وقال بعض أهل العلم : أول من أسلم من الرجال أبو بكر ، وأسلم علي وهو غلام ابن ثمان سنين ، وأول من أسلم من النساء خديجة .

والرسول عليه الصلاة والسلام كان نبيًّا .

ولا شك أن النبي أفضل من الولي ، وأما الخضر[١] عليه السلام كان له علم لدني لقوله تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[٢] .

وأراد به علم الإلهام .

وموسى عليه السلام كان أفضل منه ، لأنه صاحب الشرعية ، وله كتاب[٣] .

وصاحب الكتاب والشريعة أفضل كداود مع سليمان ، فداود أفضل لأنه أنزل عليه الزبور .

فصل

وصنف منهم قالوا[٤] : بأن الأرض لا تخلو عن النبي ، والنبوة صارت ميراثًا لعلي ولأولاده .

(١) روى البخاري في صحيحه كتاب التفسير ، تفسير سورة الكهف بسنده عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس إن نوفا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر عليه السلام ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل ، قال ابن عباس : كذب عدو الله ، حدثنا أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ قال : أنا ، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه أن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال موسى : يا رب وكيف لي به ؟ قال : تأخذ معك حوتًا فتجعله بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم . . . . . . الحديث بطوله .

(٢) سورة الكهف (٦٥) .

(٣) قال ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال : سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال : أي رب أي عبادك أحب إليك ؟ قال الذي يذكرني ولا ينساني ، قال : فأي عبادك أقضى ؟ قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى ، قال : أي رب أي عبادك أعلم ؟ قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى ، قال : أي رب هل في أرضك أحدًا أعلم مني ؟ قال : نعم ، قال : فمن هو ؟ قال : الخضر ، قال : وأين أطلبه ؟ قال : على الساحل عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت ، قال : فخرج موسى يطلبه حتى كان ما ذكر الله ، وانتهى موسى إليه عند الصخرة فسلم كل واحد منهما على صاحبه فقال له موسى : إني أحب أن أصحبك ، قال : إنك لن تطيق صحبتي ، قال : بلى ، قال : فإن صحبتني ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ .
تفسير ابن كثير (٣/٩٩) .

(٤) الرافضة قالوا : الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف وإنها قرابة وإن النبي قد نص على استخلاف =

ويفرض على المسلمين طاعة علي رضي الله عنه .

وكل من لا يرى طاعته فريضة فإنه يكفر .

وقال أهل السنة والجماعة : لا نبي بعد نبينا محمد ﷺ .

يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1] .

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : (إذا خرج المتنبي وادعى النبوة ، فمن طلب منه الحجة فإنه يكفر ، لأنه أنكر النص ، وكذلك لو شك فيه ، لأن الحجة تطلب لتبيين الحق من الباطل ، ومن ادعى النبوة بعد محمد ﷺ لا تكون دعواه إلا باطلًا)[2] .

= علي بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه ، فضل الصحابة الذين لم يقتدوا به بعد وفاة النبي ﷺ .

وقالوا : الإمامة لا تكون إلا لأفضل الناس وأن عليًا كان مصيبًا في جميع أحواله ولم يخطئ في أمور الدين : إلا الفرقة المسماة الكاملية أصحاب أبي كامل ، فهؤلاء أكفروا الناس بترك الاقتداء بعلي ، وأكفروا عليًا بترك الطلب ، وأنكروا الخروج على أئمة الجور ، وقالوا ليس يجوز ذلك دون الإمام المنصوص على إمامته .

موسوعة الفرق والجماعات (صـ٢٢٩) .

(١) سورة الأحزاب (٤٠) .

هذه الآية نص في أنه لا نبي بعده فلا رسول بالطريق الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس .

وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم .

فروى الترمذي (٣٦١٣) كتاب المناقب ، باب في فضل النبي ﷺ ، عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال : (مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارًا فأحسنها وأكملها وجملها وترك منها موضع لبنة فجعل الناس يطوفون بالبناء ويعجبون منه ويقولون : لو تم موضع تلك اللبنة وأنا في النبيين بموضع تلك اللبنة) . قال الترمذي : حديث حسن .

(٢) قال ابن إسحاق : وحدثني شيخ من أهل اليمامة أن وفد بني حنيفة أتوا رسول لله ﷺ وخلفوا مسيلمة في رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا له ما كان فأمر له رسول الله بمثل ما أمر به لهم وقال : (أما إنه ليس بأشركم مكانًا) يعني حفظه ضيعة أصحابه ، ثم انصرفوا وجاءوه بالذي أعطاه .

فلما قدموا اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ ، وقال إني أشركت في الأمر مع محمد ، ألم يقل لكم حين ذكرتموني له أما إنه ليس بأشركم مكانًا ، وما ذلك إلا لما يعلم أني قد أشركت معه ، ثم جعل يسجع السجعات فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى ، ووضع عنهم الصلاة وأحل لهم الزنا والخمر ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ أنه نبي فأصفقت معه بنو حنيفة على ذلك .

انظر تاريخ الإسلام للذهبي السيرة العطرة السنة العاشرة من الهجرة .

فصل

وقالت الروافضة : الإمام القرآن الذي جمعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقال أهل السنة والجماعة : الإمام القرآن الذي جمعه عثمان بن عفان[١] رضي الله عنه .

لأن النبي ﷺ لما توفي جمع أبو بكر القرآن .

وكان يقرؤه ، فلم يتفرغ بإظهاره ، لأنه كان مشتغلاً بقتال أهل اليمامة[٢] .

وكان أبو بكر في الخلافة سنتين ، فلما توفى لم يظهره عمر ، لأنه كان مشغولاً بفتح خراسان وغيره ، فلما كان في زمن عثمان رضي الله عنه اختلفوا في القرآن[٣] .

---

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو عمرو ، أبو عبد الله ، أبو ليلى ، القرشي ، ذو النورين ، أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة ، والعشرة المبشرين وأحد السابقين الأولين ، استشهد في ذي الحجة بعد عيد الأضحى سنة (٣٥) وكانت خلافته (١٢) سنة وعمره (٨٠ سنة) وقيل أكثر من ذلك ، وقيل أقل .
ترجمته : تهذيب التهذيب (١٣٩/٧) ، تقريب التهذيب (١٢/٢) ، تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٢٠٨) ، الجرح والتعديل (١٦٠/٦) ، شذرات الذهب (١/ ١٠ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٣) ، نسب قريش (١١٠) ، جمهرة أنساب العرب (٨٣) ، أنساب الأشراف (٤٤ ، ٤٥) ، أسماء الصحابة الرواة (٢٨) .

(٢) لما اشتهرت وفاة النبي ﷺ بالنواحي ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ومنعوا الزكاة ، فنهض أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقتالهم ، فأشار عليه عمر وغيره أن يفتر عن قتالهم فقال : والله لو منعوني عقالاً أو عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : (أمرت الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله) فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال ، وقد قال : (إلا بحقها) فقال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق .
تاريخ الإسلام للذهبي خبر الردة ترجمة الخليفة الأول أبي بكر الصديق .

(٣) قال أنس : إن حذيفة قدم على عثمان ، وكان يغزو مع أهل العراق قبل أرمينية ، فاجتمع في ذلك الغزو أهل الشام وأهل العراق ، فتنازعوا في القرآن حتى سمع حذيفة من اختلافهم ما يكره فركب حتى أتى عثمان فقال : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى في الكتب ، ففزع لذلك عثمان فأرسل إلى حفصة أم المؤمنين : أن أرسلي إلي بالصحف التي جمع فيها القرآن ، فأرسلت إليه بها ، فأمر زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، أن ينسخوها في المصاحف .
وقال : إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية فاكتبوها بلسان قريش ، فإن القرآن إنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى كتبت المصاحف ، ثم رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل جند من أجناد =

فقال عثمان إنكم اختلفتم فيه فمن بعدكم أشد اختلافًا ، فجلس عثمان وأخرج الذي جمعه فأظهره على الصحابة .

إلا أنه ينسب إلى عثمان رضي الله عنه ، لأنه هو الذي أظهره ، واتفقت الصحابة على ذلك .

فكل من أنكر آية من مصحف عثمان فإنه يكفر لأن مصحف عثمان هو الذي أجمعت عليه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

فصل

ويجب أن نعرف أن جميع الكتب التي أنزلها الله تعالى على الأنبياء والرسل كلام الله تعالى غير مخلوق ، وذلك مائه صحف ، وأربع كتب[١] ، فخمسون منها أنزلها الله تعالى على شيث بن آدم عليهما السلام .

وثلاثون صحيفة على إدريس عليه السلام .

وعشر صحائف على إبراهيم عليه السلام .

وعشر صحائف على موسى عليه السلام قبل نزول التوراة ، فسمي كتاب السنة ، وكان قبل غرق فرعون .

ثم أنزل الله الزبور على داود عليه السلام .

= المسلمين بمصحف ، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسل إليهم به ، فذلك زمان حرقت فيه المصاحف بالنار .

وقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص : خطب عثمان الناس فقال : أيها الناس عهدكم بنبيكم بضع عشرة وأنتم تميزون في القرآن وتقولون قرأه أبي ، وقرأه عبد الله ، يقول الرجل : والله ما نقيم قراءتك فأعزم على كل رجل منكم كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثير ، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلًا رجلًا ، فناشدهم أسمعته من رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك ؟ فيقول : نعم ، فلما فرغ من ذلك قال : من أكتب الناس ؟ قالوا : كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت ، قال : فأي الناس أعرب ؟ قالوا : سعيد بن العاص ، قال عثمان : فليمل سعيد وليكتب زيد ، فكتب مصاحف ففرقها في الناس .

وروى رجل عن سويد بن غفلة قال علي في المصاحف لو لم يصنعه عثمان لصنعته .

تاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة (٣٥) ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(١) انظر حديث أبي ذر الغفاري بطوله ، انظر تفسير ابن كثير (٥٨٦/١) .

ثم أنزل الله الإنجيل على عيسى عليه السلام وهو آخر أنبياء بني إسرائيل .

ثم أنزل الفرقان(١) على محمد ﷺ وهو آخر الأنبياء والرسل عليهم السلام(٢) .

فكل من أنكر آية من هذه الكتب ، فإنه يكفر وإذا قال : آمنت بالله آمنت بجميع الرسل ، ثم أنكر واحدًا من الرسل الذي ليس بمنصوص عليه ، وقال هذا ليس منهم لا يكفر ، ويكون مبتدعًا .

هذا إذا لم يدخل في دين من الأديان ، يكون مرتدًا ، فيقتل .

(١) قال تعالى : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان (١) .
﴿تَبَارَكَ﴾ وهو تفاعل من البركة المستقرة الثابتة الدائمة ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ نزل فعل من التكرر والتكثر كقوله : ﴿وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة ، والقرآن نزل منجمًا مفرقًا مفصلاً آيات بعد آيات وأحكامًا بعد أحكام ، وسورًا بعد سور وهذا أشد وأبلغ وأشد اعتناء بمن أنزل عليه كما قال في أثناء هذه السورة : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا﴾ ولهذا سماه هاهنا الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال .
تفسير ابن كثير (٣/٣١٨) .

(٢) من رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الحنيف له .
وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ، ولو تحرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلال عند أولي الألباب كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها ، وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتقاء أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم كما قال تعالى : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ الآية .
وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويأمرون به وينهون عنه ، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات فصلوات الله وسلامه عليهم دائمًا مستمرًا ما دامت الأرض والسماوات .
تفسير ابن كثير (٣/٥١٠) .

والدليل على أن الإيمان بجميع الكتب شرط قال الله تعالى : ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ .

والإيمان بجميع الرسل شرط .

قال الله تعالى : ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(١) .

فصل

ثم اعلم أن الأنبياء عليهم السلام مائه ألف وأربعة وعشرون ألفًا .

والرسل منهم ثلاث مائه وثلاثة عشر .

وفي رواية أبي ذر(٢) رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ ، وفي بعض الأخبار أن الأنبياء ألف ألف ومائتا ألف(٣) .

والسلامة في هذا أن تقول : آمنت بالله وبجميع ما جاء من عند الله على ما أراد به ، وبجميع الأنبياء والرسل حتى لا يعتقد من ليس نبي نبيًا ، ولا يعتقد من يكون نبيًا غير نبي .

---

(١) سورة البقرة (١٧٧) .

(٢) روى ابن مردويه في تفسيره بسنده عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال : (مائة ألف وأربعة عشرون ألفًا) قلت : يا رسول الله : كم الرسل منهم قال : (ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير) قلت : يا رسول الله : من كان أولهم قال : (آدم) قلت : يا رسول الله نبي مرسل قال : (نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وأخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم ، وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر ، وأول نبي من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى ، وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك) .

(٣) روى أبو يعلى الموصلي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : (إني أختم ألف ألف نبي أو أكثر ما بعث الله من نبي إلى قومه إلا حذرهم الدجال) .
وروى أحمد بسنده عن أبي سعيد قال : هل تقول الخوارج بالدجال قلت : لا فقال : قال رسول الله ﷺ : (إني خاتم ألف نبي أو أكثر وما بعث نبي يتبع إلا وقد حذر أمته منه وإني قد بين لي فيه ما لم يبين وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخامة في حائط مجصص وعينه اليسرى كأنها كوكب دري معه من كل لسان ومعه صورة الجنة خضراء يجري فيها الماء وصور النار سوداء تدخن) .
قال ابن كثير : وسياق رواية أحمد أثبت وأولى بالصحة .
مختصرًا من تفسير ابن كثير (٥٨٧/١) .

فصل

وصنف من الروافض قالوا : بأن عليًا وأصحابه يرجعون إلى الدنيا فينتقمون من أعدائهم فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا[١] .

وقال أهل السنة والجماعة : كل من مات لا يرجع في الدنيا إلى يوم القيامة .

لأنه لا يقام عليه الدليل[٢] ، فيدل على صحة ما قلناه قوله تعالى : ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[٣] .

ولم يقل مرتين .

وكذلك قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[٤] .

وكذلك[٥] قوله عليه السلام : (ليس بعد الموت دارًا إلا الجنة والنار) .

---

(١) انقسم الرافضة إلى أربع وعشرين فرقة يدعون الإمامية لقولهم بالنص بإمامة علي بن أبي طالب ومن هذه الفرق القطعية والكيسانية والكربية والراوندية والرزامية والأبو مسلمية والحربية والبيانية والمغيرية والحسينية ، والقرامطة ، والمباركية ، ومن رجالهم هشام بن الحكم ، وعلي بن منصور ، ويونس بن عبد الرحمن القمي والسكاك وأبو الأحوص البصري ، ومن رواة الحديث عندهم الفضل بن شاذان ، والحسين بن أشكيب والحسين بن سعيد ، وقد انتحلهم أبو عيسى الوراق وابن الروادني ، وألفا لهم الكتب في الإمامة .
موسوعة الفرق والجماعات (صـ٢٢٩ ، ٢٣٠) .

(٢) من فرق الرافضة : الكربية قالوا : إن محمد بن الحنفية هو المهدي المنتظر والذي أسماه كذلك هو علي لأنه لا يموت ولا يجوز عليه الموت ولكنه غاب وسيرجع ويملك الأرض ، ولا إمام بعد غيبته إلى رجوعه وهو يعيش بجبل رضوى يأتيه رزقه غدوة وعشية إلى وقت خروجه وعنده عين من الماء وعين من العسل وعن يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائه ، والسبب الذي من أجله صبر على هذه الحال أن يكون مغيبًا عن الخلق أن لله تعالى فيه تدبير ولا يعلم بعودته إلا هو .
انظر موسوعة الفرق والجماعات (صـ٣٢٨ ، ٣٢٩) .

(٣) سورة طه (٥٥) .

(٤) سورة يس (٣١) .

(٥) قال بعض الكيسانية في محمد بن الحنفية ما تقدم من أنه لم يمت وأنه محبوس بجبل رضوى لسبب لا يعلمه إلا الله ومنهم من ينسب ذلك كعقاب له لخروجه إلى يزيد بعد قتل الحسين بن علي ، ولهربه من ابن الزبير ، ومن أجل ذلك غيبه الله عن عيون الناس عقوبة له إلى أن يؤذن له بالخروج وهو المهدي المنتظر والثابت تاريخيًا أن ابن الحنفية مات سنة (٨١) هـ .
وكان الشاعر كثير بن عزة من الكيسانية وفي ذلك يقول :

=

فصل

وصنف من الشيعة قالوا : بأن الخمر ليس بحرام لكنه مكروه .

وقال الله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾[١] .

وكذلك قالوا : بأن اللواطة حلال[٢] .

لأن الله تعالى سماه منكرًا ، ولم يحرم في كتابه نصًا .

قال الله تعالى : ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾[٣] .

وكذلك الرقص والغناء والشعر حلال[٤] .

=

ألا إن الأئـمـة مـن قـريـش ... ولاة الـحـق أربـعـة سـواء
عـلـي والـثـلاثـة مـن بـنـيـه ... هـم الأسـبـاط لـيس بـهـم خـفـاء
فـسـبـط سـبـط إيـمـان وبـر ... وسـبـط غـيـبـتـه كـربـلاء
وسـبـط لا يـذوق الـمـوت حـتـى ... يـقـود الـخـيـل يـقـدمـهـا الـلـواء
تـغـيـب لا يـرى فـيـهـم زمـانـًا ... بـرضـوى عـنـده عـسـل ومـاء

(١) سورة المائدة (٩٣) .

(٢) اللواطة من الجرائم الخلقية التي لا تليق بالنوع الإنساني ، وفطرته التي فطره الله عليها ، فاللواط فيه عدوان ظاهر على الإنسانية ، وخروج عن سنن الله الطبيعية ، ولهذا سماه الله فاحشة كالزنا قال تعالى : ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فمن ارتكب هذا الفعل الشائن فقد اختلفت فيه آراء الأئمة : فمنهم من قال إنه يعاقب عقوبة الزاني وهي الإعدام ، إن كان محصنًا أما الموطوء فعقوبته الجلد كالبكر ، لأنه لا يتصور فيه إحصان ، ومنهم من يقول إن عقاب اللائط من باب التعزير ، لا من باب الحد ، فعلى القاضي أن يحبسه ، أو يجلده أو بما يراه رادعًا له عن الجريمة فإذا تكررت منه ولم يزدجر عذر بالإعدام .
الفقه على المذاهب الأربعة (١١٢/٥) .

(٣) سورة العنكبوت (٢٩) .

(٤) روى مسلم في صحيحه [٧-(٢٢٥٧)] كتاب الشعر ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه سلم : (لأن يمتلأ جوف الرجل قيحًا يريه ، خير من أن يمتلئ شعرًا) .
قال النووي : استدل بعض العلماء بهذا الحديث على كراهة الشعر مطلقًا قليله وكثيره وإن كان لا فحش فيه وتعلق بقوله ﷺ : (خذوا الشيطان) وقال العلماء كافة : هو مباح ما لم يكن فيه فحش ونحوه ، قالوا : وهو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح ، وهذا هو الصواب فقد سمع النبي ﷺ الشعر واستنشد وأمر به في هجاء المشركين وأنشده أصحابه بحضرته في الأسفار وغيرها ، وأنشده الخلفاء وأئمة الصحابة وفضلاء السلف ولم ينكر أحد منهم إطلاقه وإنما أنكروا المذموم منه وهو الفحش ونحوه .

=

وقالوا : هذا قول مالك بن أنس إمام المدينة .

وقال أهل السنة والجماعة : كل ذلك حرام لقوله عليه الصلاة والسلام : (كل لعب حرام على المؤمنين إلا ثلاث : رميه عن قوس ، وتأديب فرسه ، وملاعبة الرجل مع أهله) .

وقال الله تعالى : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[١] .

وأما الخمر قلنا : الخمر حرام[٢] .

لأنه ورد الخبر ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : (حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها ، والمسكر من كل شراب حرام)[٣] .

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ﴾[٤] .

والإثم هو الخمر .

ويدل عليه قول القائل :

شربت الإثم حتى ظل عقلي كذلك الإثم يذهب بالعقول

= النووي في شرح مسلم (١٢/١٥) .

(١) سورة المؤمنون (١١٥) .

(٢) في تحريم كل مسكر بإجماع المسلمين فقال النووي احتج الجمهور بالقرآن والسنة ، أما القرآن فهو أن الله تعالى نبه على أن علة تحريم الخمر كونها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهذه العلة موجودة في جميع المسكرات فوجب طرد الحكم في الجميع فإن قيل : إنما يحصل هذا المعنى في الإسكار وذلك مجمع على تحريمه ، قلنا قد أجمعوا على تحريم عصير العنب وإن لم يسكر .
والثانية الأحاديث الصحيحة الكثيرة كقوله ﷺ : (كل مسكر حرام) وقوله : (نهي عن كل مسكر) وحديث : (كل مسكر خمر) وحديث ابن عمر : (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام) .
مختصرًا من شرح مسلم للنووي (١٢٨/١٣) ، طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) بنحوه أخرجه ابن ماجه (٣٣٨٠) كتاب الأشربة ٦-باب لعنت الخمر على عشرة أوجه ، عن ابن عمر .
والحديث صحيح عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : (كل مسكر حرام) أخرجه : البخاري (٦١٢٤) كتاب الأدب ٨-باب قول النبي ﷺ : (يسروا ولا تعسروا) ومسلم [٧٣-(٢٠٠٣)] كتاب الأشربة ، ٧-باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام ، والترمذي (١٨٦١) كتاب الأشربة ، باب ما جاء في شارب الخمر ، والنسائي (٥٥٨٢) كتاب الأشربة ٢٢-باب إثبات اسم الخمر لكل مسكر .
وأبو داود (٣٦٧٩) كتاب الأشربة ، باب النهي عن المسكر ، وابن ماجة (٣٣٩٠) كتاب الأشربة باب كل مسكر حرام .

(٤) سورة الأعراف (٣٣) .

والجواب على احتجاجهم بالآية قلنا : الآية نزلت في حق قوم شربوا الخمر بعد نزول آية التحريم قبل بلوغ الخبر إليهم[١] .

ويصير كأن الله تعالى أمرنا ، ثم بدله عن ذلك ، والبدء والرجوع من الله لا يجوز .

فاغتمو بذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وأما ضرب الدف[٢] قلنا : أباحه الشافعي رحمه الله في التزويج للإعلام لا للعب .

فإن قيل : إباحة الخمر والمتعة كانت في الابتداء فلو قلنا : بجواز النسخ يكون ذلك رجوعًا عن الأول[٣] ، ويصير كأن الله تعالى لا يصح .

---

(١) في الأحاديث التي ذكرها مسلم تصريح بتحريم جميع الأنبذة المسكرة وأنها كلها تسمى خمرًا وسواء في ذلك الفضيخ ونبيذ التمر والرطب والبسر والزبيب والشعير والذرة والعسل وغيرها وكلها محرمة وتسمى خمرًا ، هذا مذهبنا وبه قال مالك وأحمد والجماهير من السلف والخلف وقال قوم من أهل البصرة : إنما يحرم عصير العنب ونقيع الزبيب النيئ فأما المطبوخ منها والنيئ والمطبوخ مما سواهما فحلال ما لم يشرب ويسكر وقال أبو حنيفة : إنما يحرم عصير ثمرات النخل والعنب قال : فسلاقة العنب يحرم قليلها وكثيرها إلا أن يطبخ حتى ينقص ثلثاها ، وأما نقيع التمر والزبيب فقال : يحل مطبوخهما وإن مسته النار شيئًا قليلاً من غير اعتبار لحد كما اعتبر في سلاقة العنب .
قال : والنيئ منه حرام قال : ولكنه لا يجد شاربه هذا كله ما لم يشرب ويسكر فإن أسكر فهو حرام بإجماع المسلمين .
النووي في شرح مسلم (١٣/١٢٧) .

(٢) روى الترمذي في سننه (١٠٨٨) كتاب النكاح ، باب ما جاء في إعلان النكاح ، عن محمد بن حاطب الجمحي قال : قال رسول الله ﷺ : (فصل ما بين الحرام والحلال الدف والصوت) و أخرجه النسائي في كتاب النكاح ، ٧٢-باب إعلان النكاح بالصوت وضرب الدف .
وابن ماجه في سننه (١٨٩٦) كتاب النكاح ٢٠-باب الغناء والدف .
وأخرج البخاري في صحيحه (١٨٥٩) كتاب النكاح ٤٩-باب ضرب الدف في النكاح والوليمة .
عن الربيع بنت معوذ قالت : جاء رسول الله ﷺ فدخل عليَّ غداة بني بي فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن (وفينا نبي يعلم ما في غد) فقال لها رسول الله ﷺ دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين .

(٣) نكاح المتعة قال القاضي عياض عنه : اتفق العلماء على أن هذه المتعة كانت نكاحًا إلى أجل لا ميراث فيها وفراقها يحصل بانقضاء الأجل من غير طلاق ، ووقع الإجماع بعد ذلك على تحريمها من جميع العلماء إلا الروافض ، وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول بإباحتها ، ورروي عنه أنه رجع عنه قال : وأجمعوا على أنه متى وقع نكاح المتعة الآن حكم ببطلانه سواء كان قبل الدخول أو بعده إلا ما سبق عن زفر ، واختلف أصحاب مالك هل يحد الواطئ فيه ، ومذهبنا أنه لا يحد لشبهة العقد وشبهة الخلاف ، ومأخذ الخلاف اختلاف الأصوليين في أن الإجماع بعد الخلاف هل يرفع الخلاف ويصير المسألة مجمعًا عليها والأصح عند أصحابنا أنه لا يرفعه بل يدوم الخلاف ولا يصير =

لأن البدء والرجوع ممن كان جاهلاً ولا يعرف عواقب الأمور ، والله تعالى منزه عن ذلك والجواب عنه أن نقول : لا نسلم بأن في النسخ بدءًا ورجوعًا .

بل هو انقضاء الحكم الأول وانتهاؤه واستئناف حكم آخر .

لأنه قد ظهر لنا أن الحكم الأول قد انتهى ، لم يكن مؤبدًا .

لكنه مؤقت إلى ذلك الوقت ، لأنا لا نعرف ذلك فظهر لنا أن الحكم الأول قد انتهى وانقضى .

يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام : (إن الله تعالى يحشر الموتى يوم القيامة) .

ولا يقال بأن فيه بدءًا ورجوعًا ، بل فيه انتهاء والحكم الأول يعني انتهاء حكم الموتى .

واستئناف حكم آخر كذلك هاهنا .

ولا يقال بأن في النسخ[1] بدءًا ورجوعًا ، بل فيه انتهاء حكم المنسوخ ، واستئناف حكم الناسخ فإن قيل ما الحكمة ، وما الفائدة في النسخ ؟ .

قلنا : الحكمة في النسخ التحنن والتخفيف والرحمة على عباده .

كما أن الله تعالى أمر المسلمين في الابتداء بأن يقاتل كل واحد منهم مع العشرة من

= المسألة بعد ذلك مجمعًا عليها أبدًا وبه قال القاضي أبو بكر الباقلاني ، قال القاضي وأجمعوا على أن من نكح نكاحًا مطلقًا ونيته أن لا يمكث معها إلا مدة نواها فنكاحه صحيح حلال وليس نكاح متعة وإنما نكاح المتعة ما وقع بالشرط المذكور ، ولكن قال مالك : ليس هذا من أخلاق الناس ، وشذ الأوزاعي فقال : هو نكاح متعة ولا خير فيه والله أعلم .

قال النووي الصواب المختار أن التحريم والإباحة كانا مرتين وكانت حلالاً قبل خيبر ثم حرمت يوم خيبر ثم أبيحت يوم فتح مكة وهو يوم أوطاس لاتصالهما ثم حرمت يومئذ بعد ثلاثة أيام تحريمًا مؤبدًا إلى يوم القيامة واستمر التحريم .

شرح مسلم للنووي (١٥٥/٩) ، طبعة دار الكتب العلمية .

(١) في نكاح المتعة روى مسلم في صحيحه [٢١-(١٤٠٦)] كتاب النكاح ، ٣٠-باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ، ثم أبيح ثم نسخ ، واستقر تحريمه إلى يوم القيامة ، عن سبرة الجهني قال رسول الله ﷺ : (يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيئًا فليخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا) .

قال النووي : هذا الحديث فيه التصريح بالمنسوخ والناسخ من حديث واحد من كلام رسول الله ﷺ كحديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وفيه التصريح بتحريم نكاح المتعة إلى يوم القيامة .

النووي في شرح مسلم (١٥٩/٩) .

الكفرة[١] والفجرة بقوله تعالى : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[٢] .

ثم خفف بعد ذلك وأسقط من عشرة ثمانية بقوله تعالى : ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾[٣] .

سماه تخفيفًا ، كذلك هاهنا الناسخ أنفع في الحال . لأنه يوجب العمل به في الحال ، والإيمان به واجب ، والمنسوخ لا يوجب العمل به في الحال ولكن يوجب الإيمان به[٤] .

---

(١) وذلك في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ الأنفال (٦٥) .
قال ابن كثير : كل واحد بعشرة ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة قال ابن المبارك بسنده عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ شق ذلك على المسلمين حتى فرض الله عليهم أن لا يفر واحد من عشرة ثم جاء التخفيف .
تفسير ابن كثير (٢/٣٣٢) .

(٢) سورة الأنفال (٦٥) .

(٣) سورة الأنفال (٦٦) .
قال ابن عباس : خفف الله عنهم من العدة ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم ، وروى البخاري حديث ابن المبارك عن ابن عباس نحوه .
وقال سعيد بن منصور بسنده عن ابن عباس في هذه الآية قال : كتب عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين كما خفف الله عنهم فقال : ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ فلا ينبغي لمائة أن يفروا من مائتين وروى البخاري عن علي بن عبد الله عن سفيان به نحوه .
تفسير ابن كثير (٢/٣٣٢) .

(٤) في نسخ قتال العشرين المائتين قال محمد بن إسحاق حدثني ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ومائة ألفًا فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الأخرى فقال : ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ الآية فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم يسغ لهم أن يفروا من عدوهم ، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم .
وروى علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس نحو ذلك وقال ابن أبي حاتم وروي عن مجاهد وعطاء وعكرمة وحسن وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والضحاك وغيرهم نحو ذلك .
وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث المسيب بن شريك عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ قال نزلت فينا أصحاب محمد ﷺ .
تفسير ابن كثير (٢/٣٣٢) .

فصل

قالت اليهود لعنهم الله : نسخ الشريعة لا يجوز وعند أهل السنة والجماعة يجوز[١] .

احتجوا وقالوا بأن الأمر بالشيء يقتضي المصلحة والنهي عن الشيء يقتضي المفسدة .

وإذا كان كذلك فالله تعالى لما أمر في التوراة ونهي ، دل على أن ذلك مصلحة .

فلو جاز أن ينهي عما أمر به في التوراة يؤدي إلى أن الله تعالى أمر في التوراة بالمفسدة ، وهذا لا يجوز أن يوصف فعله بالسفه .

والجواب عنه[٢] : قلنا : إن الله تعالى إذا أمر بأمور يقتضي المصلحة في وقت ولا يقتضي المصلحة في جميع الأوقات كالطعام والشراب يقتضي أن يكون مصلحة في حالة الجوع والعطش ، ولا يقتضي أن يكون مصلحة في حالة الشبع ، ولا لطبيب يأمر المريض بأدوية مختلفة في أوقات مختلفة[٣] .

---

(١) قوله تعالى : ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة (١٠٦) .
قال ابن كثير : قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ ما نبدل من آية وقال ابن جريج عن مجاهد ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ أي ما نمحو من آية ، وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ قال : نثبت خطها ونبدل حكمها حدث به عن أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ، وقال ابن أبي حاتم وروي عن أبي العالية ومحمد بن كعب القرظي نحو ذلك وقال الضحاك : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ ما ننسك ، وقال عطاء أما ﴿نَنسَخْ﴾ فما نترك من القرآن ، وقال ابن أبي حاتم : يعني ترك فلم ينزل على محمد ﷺ .
وقال السدي ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ نسخها قبضها .
تفسير ابن كثير (١٤٩/١) .

(٢) قال ابن جرير في قوله تعالى : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ ما ينقل من حكم آية إلى غيره فنبدله ونغيره وذلك أن يحول الحلال حرامًا والحرام حلالاً والمباح محظورًا والمحظور مباحًا ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي والحظر والإطلاق والمنع والإباحة .
فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ ، وأصل النسخ من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة أخرى إلى غيرها فكذلك معنى نسخ الحكم إلى غيره إنما هو تحويله ونقل عبارة إلى غيرها وسواء نسخ حكمها أو خطها إذ هي في كلتا حالتيها منسوخة .
المرجع السابق (١٤٩/١) .

(٣) اختلف علماء الأصول في حد النسخ والأمر في ذلك قريب ، لأن معنى النسخ الشرعي معلوم عند العلماء ولحظ بعضهم أنه رفع الحكم بدليل شرعي متأخر ، فاندرج في ذلك نسخ الأخف بالأثقل وعكسه والنسخ لا إلى بدله ، وأما تفاصيل أحكام النسخ وذكر أنواعه وشروطه فمبسوطة في أصول الفقه . =

ولا يكون ذلك منه بدأ ، بل يكون لتخفيف المصلحة في ذلك الوقت .

كذلك هاهنا ، لأن الله أرحم بعباده من الطبيب الشفيق .

فحين جعل التوراة شريعة في زمن موسى عليه السلام كان ذلك مصلحة إلى انقضاء زمن موسى[(١)] .

ثم صارت المصلحة في الزبور إلى انقضاء زمن داود ثم صارت المصلحة في الإنجيل إلى انقضاء زمن عيسى .

= ويختبر الله عباده وطاعتهم لرسوله بالنسخ فيأمر بالشيء لما فيه من المصلحة التي يعلمها تعالى ثم ينهى عنه لما يعلمه تعالى فالطاعة كل الطاعة في امتثال أمره واتباع رسله في تصديق ما أخبروا ، وامتثال ما أمروا ، وترك ما عنه زجروا .
تفسير ابن كثير (١/١٤٩، ١٥١) .

(١) في هذا بيان بليغ كفر اليهود وتزييف شبهتهم لعنهم الله في دعوة استحالة النسخ إما عقلاً كما زعمه بعضهم جهلاً وكفرًا وإما نقلاً كما تخرصه آخرون منهم افتراء وإفكًا قال ابن جعفر رحمه الله : فتأويل الآية ألم تعلم يا محمد أن لي ملك السماوات والأرض وسلطانهما دون غيري أحكم فيهما بما أشاء وآمر فيهما بما أشاء وأنهى عما أشاء وأنسخ وأبدل وأغير من أحكامي التي أحكم بها في عبادي بما أشاء إذا أشاء ثم قال وهذا الخبر وإن كان خطابًا من الله تعالى لنبيه ﷺ على وجه الخبر عن عظمته فإنه جل ثناؤه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام لمجيئهما بما جاءا به من عند الله بتغير ما غير الله من حكم التوراة فأخبرهم الله أن له ملك السماوات والأرض وسلطانهما وأن الخلق أهل مملكته وطاعته وعليهم السمع والطاعة لأمره ونهيه وأن له أمرهم بما يشاء ونهيهم عما يشاء ونسخ ما يشاء وإقرار ما يشاء وإنشاء ما يشاء من إقراره وأمره ونهيه .
قلت (أي ابن كثير) : الذي يحمل اليهود على البحث في مسألة النسخ إنما هو الكفر والعناد فإنه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام الله تعالى لأنه يحكم ما يشاء كما أنه يفعل ما يريد مع أنه قد وقع ذلك في كتبه المتقدمة وشرائعه الماضية كما أحل لآدم تزويج بناته من بنيه ثم رحم ذلك وكما أباح لنوح بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات ثم نسخ حل بعضها ، وكان نكاح الأختين مباحًا لإسرائيل وبنيه وقد حرم ذلك في شريعة التوراة وما بعدها وأمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده ثم نسخه قبل الفعل وأمر جمهور بني إسرائيل بقتل من عبد العجل منهم ثم رفع عنهم القتل كي لا يستأصلهم القتل ، وأشياء كثيرة يطول ذكرها وهم يعترفون بذلك ويصدفون عنه ، وما يجاب به عن هذه الأدلة بأجوبة لفظية فلا يصرف الدلالة في المعنى إذ هو المقصود وكما في كتبهم مشهورًا من البشارة لمحمد ﷺ والأمر باتباعه فإنه يفيد وجوب متابعته عليه الصلاة والسلام وأنه لا يقبل عمل إلا على شريعته .
تفسير ابن كثير (١/١٥١) .

ثم صارت المصلحة في الفرقان في عصر نبينا محمد ﷺ .

فصل

وصنف من الروافض قالوا : بأن المتعة حلال[١] وهو استئجار المرأة للوطء .

قال الله تعالى : ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[٢] .

أوجب الأجر بمجرد الاستمتاع دون النكاح .

قال أهل السنة والجماعة : المتعة حرام كالخمر إلا أنها أبيحت في سفر واحد للضرورة[٣] لقوله تعالى : ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾[٤] .

وأما الآية ، قلنا : الآية نسخت بقوله تعالى : ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[٥] .

---

(١) انظر ما تقدم من زواج المتعة وإنه نسخ .

(٢) سورة النساء (٢٤) .

(٣) قال القاضي عياض : روى حديث إباحة المتعة جماعة من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن مسعود وابن عباس وجابر وسلمة بن الأكوع وسبرة بن معبد الجهني ، وليس في هذه الأحاديث كلها أنها كانت في الحضر ، وإنما كانت في أسفارهم في الغزو عند ضرورتهم وعدم النساء مع أن بلادهم حارة وصبرهم عنهن قليل ، وقد ذكر في حديث ابن عمر أنها كانت رخصة في أول الإسلام لمن اضطر إليها كالميتة ونحوها ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه ، وذكر مسلم عن سلمة بن الأكوع إباحتها يوم أوطاس ومن رواية سبرة إباحتها يوم الفتح وهما واحد ثم حرمت يومئذ ، وفي حديث علي تحريمها يوم خيبر وهو قبل الفتح ، وذكر غير مسلم عن علي أن النبي ﷺ نهى عنها في غزوة تبوك وهذا الحديث رواه مالك ، وفيه يوم خيبر ، ورواه أبو داود وفيه أن النهي في حجة الوداع ، وروي عن الحسن البصري أنها في عمرة القضاء ، وروي هذا عن سبرة الجهني أيضًا ولم يذكر مسلم في روايات حديث سبرة تعيين وقت إلا في رواية محمد بن سعيد الدارمي ورواية إسحاق بن إبراهيم ورواية يحيى بن يحيى فإنه ذكر فيها يوم فتح مكة ، قالوا وذكر الرواية بإباحتها يوم حجة الوداع خطأ لأنه لم يكن يومئذ ضرورة ولا عزوبة وأكثرهم حجوا بنسائهم والصحيح أن الذي جرى في حجة الوداع مجرد النهي كما جاء في غير رواية ويكون تجديده ﷺ عنها يومئذ لاجتماع الناس وليبلغ الشاهد الغائب ولتمام الدين ، وتقرر الشريعة كما قرر غير شيء وبين الحلال والحرام يومئذ وبت تحريم المتعة حينئذ لقوله إلى يوم القيامة ، قال القاضي : ويحتمل ما جاء من تحريم المتعة يوم خيبر وفي عمرة القضاء ويوم أوطاس أنه حدد النهي في هذه المواطن لأن حديث تحريمها يوم خيبر صحيح لا مطعن فيه بل هو ثابت من رواية الثقات الأثبات . النووي في شرح مسلم (٩/ ١٥٣ ، ١٥٤) ، طبعة دار الكتب العلمية .

(٤) سورة النور (٢) .

(٥) سورة النور (٣٢) .

وصنف منهم قالوا : إذا مات الرجل وصار رميمًا يخلق الله تعالى له جسدًا آخر يدخل فيه الروح .

وقالوا : بأن الجسد للروح كالحياة للبدن .

واحتجوا بقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾(١) .

قلنا : أراد به ترديدًا بتبديل هيئاتها وصفاتها - لا تبديل عينها(٢) .

فيدل عليه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾(٣) .

وأراد به تبديل صفاتها لا تبديل عينها .

فصل

قال أهل الإباحة(٤) : إذا بلغ العبد في الحب غاية المحبة سقط عنه العبادة الظاهرة .

---

(١) سورة النساء (٥٦) .

(٢) يخبر تعالى عن دوام عقوبتهم ونكالهم فقال تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ قال الأعمش عن ابن عمر إذا احترقت جلودهم بدلوا جلودًا غيرها بيضاء أمثال القراطيس رواه ابن أبي حاتم ، وقال يحيى بن يزيد الحضرمي أنه بلغه في الآية : قال يجعل للكافر مائة جلد بين كل جلدين لون من العذاب ، رواه ابن أبي حاتم .

وعنه بسنده عن الحسن البصري قال : تنضجهم في اليوم سبعين ألف مرة .

وعنه بسنده عن ابن عمر قال : قرأ رجل عند عمر هذه الآية ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ فقال عمر : أعدها عليَّ ، فأعادها ، فقال معاذ بن جبل : عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة ، فقال عمر : هكذا سمعت رسول الله ﷺ .

تفسير ابن كثير (٥١٤/١) .

(٣) سورة إبراهيم (٤٨) .

(٤) أصحاب الإباحة من الحزمية هؤلاء صنفان : صنف منهم كانوا قبل الإسلام كالمزدكية الذين استباحوا المحرمات وزعموا أن الناس شركاء في الأموال والنساء ، ودامت فتنة هؤلاء إلى أن قتلهم أنوشروان في زمانه .

والصنف الثاني الحزمدينية وهؤلاء ظهروا في دولة الإسلام وهم فريقان : بابكية ومازيارية وكلتاهما معروفة بالمحمرة .

والبابكية : أتباع بابك الحزمي الذي ظهر في جبل بناحية أذربيجان وكثر بها أتباعه واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين ، وجهز إليه خلفاء بني العباس جيوشًا كثيرة بقيت عشرين سنة ، إلى أن أخذ بابك وأخوه وصلبا في أيام المعتصم .

وأما المازيارية فهم أتباع مازيار الذي أظهر دين المحمرة بجرجان وكانوا يظهرون الإسلام ويضمرون خلافه .

=

نحو الصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك وكانت عبادته بعد ذلك التفكر .

ويصعد بنوره إلى السماء ، ويدخل الجنة ويعانق الحور العين ، ويدخل القصور ويباضعهن[(١)] .

وقال أهل السنة والجماعة : من اعتقد هذا يكفر لأن الأنبياء عليهم السلام لم يصعدوا بأنفسهم إلى السماء .

كما قال تعالى في حق نبينا محمد ﷺ : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[(٢)] الآية .

وقال في حق عيسى عليه السلام : ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[(٣)] .

وقال في حق آدم عليه السلام : ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[(٤)] .

وقال في حق إدريس عليه السلام : ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[(٥)] .

= موسوعة الفرق والجماعات (ص١١) .

(١) أصحاب الإباحة من الفرقتين يسقطون التكاليف ويعطلون العبادات ويتعلمون القرآن ولا يرون جهاد الكفرة ، ولهم أعياد يجتمعون فيها على الخمر والزمر والنساء فإذا أطفئت السرج افتض الرجال من يتصادف معهم من النساء دون تمييز .
وكثير من فرق الغلاة كانوا على الإباحة ومن ذلك الجناحية والعذافرة وهؤلاء استحلوا الخمر والميتة والزنا واللواط وسائر المحرمات وأسقطوا وجوب العبادات وقالوا في المحرمات المذكورة في القرآن إنها كنايات عن قوم يجب بغضهم كأبي بكر وعمر وطلحة وكان ابن أبي العذافر يقول عن اللواط إنه إيلاج الفاضل نوره في المفضول وأباح أتباعه حرمهم طمعًا في إيلاجه نوره فيهن .
موسوعة الفرق والجماعات (ص١١ ، ١٢) .

(٢) سورة الإسراء (١) .

(٣) سورة النساء (١٥٨) .

(٤) سورة البقرة (٣٦) .

(٥) سورة مريم (٥٧) .
روى ابن حاتم بسنده عن ابن عباس قال : لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلًا من الحواريين يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي ، ثم قال أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي فقام شاب من أحدثهم سنًا فقال له اجلس ثم أعاد عليهم فقام ذلك الشاب فقال اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا ، فقال : هو أنت ذاك فألقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنه في البيت إلى السماء . . . . . . إلى آخره .
تفسير ابن كثير (٥٧٤/١) .

فغيرهم أولى أن لا يصعدوا .

ومنهم من قال[١] : إن الله تعالى خلق النساء والمال وذلك مباح فيما بينهم حتى إن من احتاج إلى مال غيره فله أن يأخذه .

وكذلك من احتاج إلى نسوة غيره له أن يأخذ .

لأن آدم وحواء عليهما السلام ماتا ، وبقى مالهما بيننا على السواء .

وقال أهل السنة والجماعة : لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه[٢] .

قال الله تعالى : ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[٣] .

والأحاديث الواردة في هذا الباب كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام : (البينة على المدعي واليمين على من أنكر)[٤] .

ومنهم من قال : إذا بلغ العبد في الحب غاية المحبة تحل له نساء الغير ، وهن كالرياحين

---

(١) هناك فرقة من إباحية المتصوفة أو المندسين في الصوفية أو المتشبهين بهم دخلوا التصوف ظاهرًا وقالوا : إذا كانت السعادة والشقاوة قد كتبت علينا وإلا ، والأعمال في الأصل لا تراد إلا لاجتلاب السعادة ودفع الشقاوة ، فإن الأولى أن تتوجه العبادة إلى مساعدة المقدور على الوقوع بأن نترك النفوس على سجيتها ولا نمنعها عن ملذوذ مقدور لها تحصيله .
وقالوا : الله مستغن عن أعمالنا فلنترك إذن أنفسنا على سجيتها بحسب ما هو ميسر له كل منا .
موسوعة الفرق والجماعات (ص١٢) .

(٢) أخرج الحديث البيهقي في السنن الكبرى (٦/٩٧) بلفظ (لا يحل لأحد من مال أخيه إلا ما طابت به نفسه) .
وذكره الهندي في كنز العمال (٣٠٣٤٣) بلفظ (لا يحل لامرئ مسلم أن يأخذ مال أخيه) .
أما لفظ الحديث فقد أخرجه أحمد في مسنده (٥/٧٢) ، والبيهقي (٦/١٠٠) ، (٨/١٨٢) ، والدارقطني في سننه (٣/٢٦) ، وأخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/٥١٦) رقم (٣١٠١) ، وعزاة للديلمي في الفردوس عن أنس .

(٣) سورة البقرة (١٨٨) .

(٤) أخرجه الترمذي (١٣٤١) كتاب الأحكام باب ما جاء في أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه ، ولفظه (البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه) .
وقال الترمذي : هذا حديث في إسناده مقال وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٧٩، ١٠/ ٢٥٢) ، وابن حجر في المطالب العالية (١٢٣٠) ، وابن أبي عاصم في السنة (١٠/١٠١) ، والعجلوني في كشف الخفا (١/٣٤٢) ، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٩١) ، وفي مشكاة المصابيح (٣٧٦٩) ، وفي تلخيص الحبير (٤/ ٣٩، ٢٠٨) ، والدارقطني في السنن (٤/١٥٧) .

له أن يشمهن .

لأن هذا حبيب الله ، والنساء إماء الله .

والحبيب لا يمنع حبيبه عما يريد .

وقال المسلمون وهم أهل السنة والجماعة : لا النساء تحل إلا بالنكاح ، ولا الإماء إلا بالملك والنكاح .

وأيضًا إذا زوجها مولاها من غيره ، لا تحل له ، وهي أمته .

يدل عليه قوله تعالى[(١)] : ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾[(٢)] الآية .

ولأن ماعزًا زنى ورجم[(٣)] .

فلو كان حلالاً لما استحق الرجم .

ومنهم من قال : إذا بلغ العبد في الحب غاية المحبة ، إذا ارتكب الكبيرة لا يدخله الله النار .

لأن من دخل النار لا يخرج منها ، كداخل الجنة وهذا مذهبهم الباطل .

والجواب عنه قلنا : إذا أذنب العبد ذنبًا كان وليًا أو غير ولي فهو في مشيئة الله تعالى ، إن

---

(١) للعلماء في هذه الآية تفصيل ونزاع فإن الزاني لا يخلو إما أن يكون بكرًا وهو الذي لم يتزوج ، أو محصنًا وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل ، فأما إذا كان بكرًا لم يتزوج ، فإن حده مائة جلدة كما في الآية ويزاد على ذلك أن يغرب عامًا من بلده عند جمهور العلماء خلافًا لأبي حنيفة رحمه الله فإن عنده أن التغريب إلى رأي الإمام إن شاء غرب وإن شاء لم يغرب .
وحجة الجمهور في ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث الأعرابيين لما قال أحدهما : يا رسول الله إن ابني هذا كان عسيفًا يعني أجيرًا على هذا فزنا بامرأته فافتديت ابني منه بمائة شاة وفيه : فرجم النبي ﷺ المرأة وجلد الابن وغربه عام .

(٢) سورة النور (٢) .

(٣) روى مسلم في صحيحه [١٧-(١٦٩٢)] كتاب الحدود ٥-باب من اعترف على نفسه بالزنا ، عن جابر بن سمرة قال : رأيت ماعز بن مالك حين جيء به إلى النبي ﷺ رجل قصير أعضل ، ليس عليه رداء ، فشهد على نفسه أربع مرات أنه زنى ، فقال رسول الله ﷺ (فلعلك) ؟ قال : لا والله إنه قد زنى الآخر ، قال : فرجمه ثم خطب فقال : (ألا كلما نفرنا غازين في سبيل الله خلف أحدهم له نبيب كنبيب التيس ، يمنح أحدهم الكثبة أما والله إن يمكني من أحدهم لأنكلته عنه) .
قال النووي : اختلف العلماء في المحصن إذ أقر بالزنا فشرعوا في رجمه ثم هرب هل يترك أم يتبع ليقام عليه الحد فقال الشافعي وأحمد وغيرهما : يترك ولا يتبع ، وقال مالك إنه يتبع ويرجم .
النووي في شرح مسلم (١١/١٦٢) طبعة دار الكتب العلمية .

شاء غفر له بفضله ، وإن شاء عذبه بعدله(١) .

قال الله تعالى : ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ .

وإذا عذبه بقدر ذنوبه ثم يخرجه من النار . كالذهب يدخل النار ليزول عنه غشيه ، فإذا زال عنه يخرج منها ، ولا يترك فيها بخلاف الكافر .

لأنه كالحطب(٢) أعد لإيقاد النار والإحراق ، لا لمعنى آخر .

وبخلاف أهل الجنة ، لأنه لا يدخل في الجنة إلا طاهرًا من وسخ الحوبة ، إما برعاية لنفس أو بالتوبة(٣) .

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري : المراد بولي الله العالم بالله تعالى المواظب على طاعته المخلص في عبادته . انتهى .
وهذا التفسير للولي هو المناسب لمعنى الولي المضاف إلى الرب سبحانه ويدل على ذلك ما في الآيات القرآنية كقوله سبحانه وتعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ .
وذكر ابن كثير في تفسيره (٤٢٢/٢) : يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسرهم ربهم ، فكل من كان تقيًا كان لله وليًا .
انظر قطر الولي على حديث الولي وهامشه (صـ٢١) ، من تحقيقنا ، طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) قال تعالى : ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ البقرة (٢٤) .
قال ابن كثير : أما الوقود بفتح الواو فهو ما يلقى في النار لإضرامها كالحطب ونحوه كما قال تعالى : ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وقال تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ ، والمراد بالحجارة هى حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المنتنة وهي أشد الأحجار حرًا إذا حميت أجارنا الله منها .
وقيل المراد بها حجارة الأصنام والأنداد التي كانت تعبد من دون الله كما قال : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ حكاه القرطبي والرازي ورجحه على الأول .
مختصرًا من تفسير ابن كثير (٦١/١) .

(٣) قال النووي : اعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا على كل حال فإن كان سالمًا من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ ، والتائب توبة صحيحة من الشرك . . . . . . إلخ .
وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى ، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً ، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما علم ، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ، ولو عمل من أعمال البر ما عمل ، هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق فى هذه المسألة =

ألا ترى أن النبي ﷺ قال : (أتحسبون أن الجنة مرابط الغنم ، والله لن يدخلوها حتى يصيروا (كالبردة))[١] ، والنار تحرق نجاسة الذنوب وتزيلها عن المؤمن العاصي ، فيخرج منها بعد زوالها بخلاف الجنة لأنها لا تزيل طهارة الداخل .

ليخرج منها ، ويدخلها ثانيًا برحمة الله تعالى وبشفاعة الأنبياء عليهم السلام .

ومنهم من يقول[٢] : إذا بلغ العبد في الحب غاية المحبة سقط عنه الأمر والنهي ، ويحل له ما اشتهى وحبيب الله لو خير بين الكفر والقتل يختار قتل نفسه ، فهو حبيب غاية المحبة[٣] .

وكل من لم يكن منافقًا ، فهو حبيب الله .

وقال أهل السنة والجماعة : العبد لا يسقط عنه الأمر والنهي .

وكل من كان أقرب إلى الله يكلف بأشد التكاليف كالنبي ﷺ كان حبيبه وصفيه ، وقام حتى تورمت قدماه .

= وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة .
النووي في شرح مسلم (١/ ١٩٢ ، ١٩٣) ، طبعة دار الكتب العلمية .

(١) كذا بالأصل .

(٢) من الإباحية جماعة ظنوا أنهم بلغوا من التصوف النهاية فقالوا : إذن لا نبالي ما يصدر منا سواء مع الشرع أو ضده ، وادعوا أن الشريعة مقصودها ضبط العوام الذين لم يعودوا هم منهم فلم يشملهم التكليف .
وذكر ابن الجوزي وابن جرير : أن هؤلاء الإباحية كانوا يستحلون المحرمات ومنهم جماعة قالوا بالمؤاخاة بين الرجال والنساء .
موسوعة الفرق والجماعات (صـ١٢) .

(٣) قال في لطائف المنن : مراتب المحبة أربع : الحب لله والحب في الله والحب بالله والحب من الله ، الحب لله ابتداء والحب من الله انتهاء والحب في الله وبالله واسطة بينهما ، الحب لله هو أن تؤثره ولا تؤثر عليه سواء ، والحب في الله أن تحب فيه من والاه ، والحب بالله أن يحب العبد من أحبه وما أحبه منقصعًا عن نفسه وهواه ، والحب من الله هو أن يأخذك من كل شيء فلا تحب إلا إياه .
وعلامة الحب لله دوام ذكره مع الحضور ، وعلامة الحب في الله أن تحب من لم يحسن إليك بدنيا من أهل الطاعة والخير ، وعلامة الحب بالله أن يكون باعث الحظ بنور الله مقهورًا ، وعلامة الحب من الله أن يجذبك إليه فيجعل ما سواء عنك مستورًا .
انظر لطائف المنن (صـ٥٧) .

وقد أمر بأوامر منها قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾(١) .

وقوله تعالى : ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾(٢) .

وقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾(٣) .

وكذلك آدم عليه السلام كان حبيبه وصفيه ونهاه عن أكل الشجرة بقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾(٤) .

فلما أكل منها عاتبه وأخرجه من الجنة .

وكذلك داود عليه السلام نظر إلى امرأة أووريا فعاتبه الله تعالى بذلك(٥) .

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ما شبع آل رسول الله ﷺ من خبز شعير مرتين حتى قبض(٦) .

---

(١) سورة الأحزاب (١) .

(٢) سورة المزمل (٢، ٣) .

قال ابن جرير بسنده عن أبي عبد الرحمن قال : لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ قاموا حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ قال فاستراح الناس وكذا قال الحسن البصري والسدي .

وعن عائشة رواه ابن أبي حاتم ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ فشق ذلك على المؤمنين ثم خفف الله تعالى عنهم ورحمهم فأنزل بعد هذا ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ . تفسير ابن كثير (٤/٤٣٧) .

(٣) سورة المؤمنون (٥١) .

(٤) سورة البقرة (٣٥) .

(٥) قال تعالى : ﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝٢١ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ (ص : ٢١-٢٥) .

ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديث لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله ، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل ، فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضًا .

تفسير ابن كثير (٤/٣١) .

(٦) أخرجه : مسلم في صحيحه [٢٢-(٢٩٧٠)] كتاب الزهد والرقائق ، عن عائشة أنها قالت : ما =

وكذلك روي عن النبي ﷺ أنه قال : (مات سبعون نبيًا في يوم واحد من الجوع والقمل) .

لأن التمتع بلا تحمل عناء التكليف موعود في الجنة كما قال الله تعالى : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾(١) .

أي صمتم في الأيام الحارة .

وقد أمر الله تعالى عباده بالصوم حيث قال : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(٢) .

وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾(٣) .

فما دام العبد مؤمنًا عاقلاً بالغًا ، لا يسقط عنه الصوم .

وكذا سائر الفرائض(٤) كالصلاة والزكاة ، بخلاف المريض والمسافر ، حيث أبيح لهما الأكل والشرب والصوم أفضل .

لقوله تعالى : ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(٥) .

= شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ .
والترمذي (٢٣٥٧) كتاب الزهد ، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله ، عن عائشة .
وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(١) سورة الحاقة (٢٤) .
أي يقال لهم ذلك تفضلاً عليهم وامتنانًا وإنعامًا وإحسانًا وإلا فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : (اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحدًا منكم لن يدخله عمله الجنة) قالوا : ولا أنت يا رسول الله قال : (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) .

(٢) سورة البقرة (١٨٥) .

(٣) سورة البقرة (١٨٣) .

(٤) قال الشوكاني في قوله : (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به . . . . . . الحديث) .
قال ابن حجر في الفتح : ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل ، وقد استشكل بما تقدم أولاً أن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها إلى الله تعالى فكيف لا تنتج المحبة ؟ .
والجواب أن المراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها ويؤيده أن في رواية أبي أمامة : ابن آدم إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضت عليك . انتهى .
انظر فتح الباري (١١/٢٩٤) ، وقطر الولي على حديث الولي للشوكاني (صـ٢٥١) ، من تحقيقنا ، طبعة دار الكتب العلمية .

(٥) سورة البقرة (١٨٤) .

بخلاف الحائض والنفساء ، حيث لا تصوم ولا تصلي ، وتقضي الصوم ولا تقضي الصلاة . ولأن قضاء الصلاة حرجًا لتضاعفها ، ولا حرج في قضاء الصوم .

ومنهم من قال : إذا بلغ العبد في الحب غاية المحبة سقط عنه الأمر والنهي(١) ، ولم يسقط عن الأنبياء .

فقد رأى درجة الولي أعلى من درجة النبي عليه الصلاة والسلام . ومن رأى درجة الولي أفضل من النبي فهو كافر بالله العظيم ، وله عذاب من رجز أليم(٢) .

فصل

قال أهل النجوم : أمور أهل الأرض متعلقة بالبروج(٣) الاثنا عشر وبالنجوم السبعة وهي :

(١) أقبح ما يحكى عن بعض المتلاعبين بالدين المدعين للتصوف أنهم يزعمون أنهم وصلوا إلى ربهم فانقطعت عنهم التكاليف الشرعية ، وخرجوا من جيل المسلمين المؤمنين ، وسقط عنهم ما كلف الله به العباد في هذه الدار ، فإذا صح هذا فما يقوله أحد من أولياء الرحمن بل يقوله أولياء الشيطان لأنهم خرجوا إلى حزبه وصاروا من جملة أتباعه .
فالعجب لهؤلاء المغرورين فإنهم رفعوا أنفسهم عن طبقة الأنبياء وطبقة الملائكة ، فإن الأنبياء حالهم كما عرفنا من إدامة العبادة لله في كل حال والازدياد من التقربات إلى الله حتى توفاهم الله تعالى .
انظر قطر الولي على حديث الولي (صـ٣٤٩) .

(٢) اعلم أن الأولياء غير الأنبياء وليسوا بمعصومين بل يجوز عليهم ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين لكنهم قد صاروا في رتبة رفيعة ومنزلة علية ، فقلَّ أن يقع منهم ما يخالف الصواب وينافي الحق ، فإذا وقع ذلك فلا يخرجهم عن كونهم أولياء الله ، كما يجوز أن يخطئ المجتهد وهو مأجور على خطئه حسبما تقدم أنه إذا اجتهد فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد وأخطأ فله أجر .
ثم قال في موضع آخر : وقد رأينا في ترجمة جماعة من أهل الله وأوليائه أنهم سمعوا خطابًا من فوقهم ورأوا صورة تكلمهم وتقول يا عبدي قد وصلت إلي وقد أسقطت عنك التكاليف الشرعية بأسرها ، فعندما يسمع منهم السامع ذلك يقول : ما أظنك أيها المتكلم إلا شيطانًا ، فأعوذ بالله منك ، فعند ذلك تتلاشى تلك الصورة ولا يبقى لها أثر ، فقد بلغ كيد الشيطان إلى هذا الكيد العظيم .
انظر الشوكاني في قطر الولي على حديث الولي (صـ٣٥، ٣٥٠) .

(٣) قال تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدي : البروج النجوم. وعن مجاهد أيضًا : البروج التي فيها الحرس وقال يحيى بن رافع : البروج قصور في السماء ، وقال المنهال بن عمرو ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ الخلق الحسن واختار ابن خثيمة أنها منازل الشمس والقمر وهي اثنا عشر برجًا تسير الشمس في كل واحد منها شهرًا ويسير القمر في كل واحد =

الزحل ، والمشترى ، والمريخ ، والزهرة ، والشمس ، والعطارد ، والقمر .

قالوا بأن هذه النجوم والبروج مدبرات لأهل الأرض .

فكل من علم ذلك يعرف صلاح نفسه ، ويمكنه أن يميل إلى ما هو خير له ، ويحترز عما هو شر له ، ويعلم متى يموت .

وقال أهل السنة والجماعة : هذه النجوم والبروج والشمس والقمر[١] والنجوم وجميع المنيرات مسخرات ، ليس لها من التدبير شيء .

ومدبر الأمور هو الله سبحانه وتعالى كما قال الله تعالى : ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ فإن قيل علم النجوم كان حقًّا في زمن إدريس عليه السلام ، ومن قال بأنه نسخ فعليه الدليل يدل عليه قوله تعالى خبرًا عن إبراهيم عليه السلام : ﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ﴾[٢] .

فاستدل بالنظر إلى النجوم أنه سقيم .

= منها يومين وثلثا ، فذلك ثمان وعشرون منزلة ويستتر ليلتين .
انظر تفسير ابن كثير (٤٩١/٤) .

(١) روى مسلم في صحيحه [١-(٩٠١)] كتاب الكسوف ، ١-باب صلاة الكسوف ، عن عائشة قالت (خسف الشمس في عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ يصلي . . . . . . الحديث) .
وفيه : ثم قال : (إن الشمس والقمر من آيات الله وإنهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته . . . . . . إلى آخره) .
قال النووي : قال العلماء : والحكمة في هذا الكلام أن بعض الجاهلية الضلال كانوا يعظمون الشمس والقمر فبين أنهما آيتان مخلوقتان لله تعالى لا صنع لهما ، بل هما كسائر المخلوقات يطرأ عليهما النقص والتغير كغيرهما وكان بعض الضلال من المنجمين وغيرهم يقول لا ينكسفان إلا لموت عظيم أو نحو ذلك ، فبين أن هذا باطل لا يغتر بأقوالهم لا سيما وقد صادف موت إبراهيم رضي الله عنه (هو ابن رسول الله ﷺ) .

(٢) سورة الصافات (٨٨، ٨٩) .
إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم فإنه كان قد أزف خروجهم إلى عيدهم فأحب أن يختلي بآلهتهم ليكسرها فقال لهم كلامًا هو حق في نفس الأمر فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه ﴿فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ﴾ قال قتادة والعرب تقول لمن تفكر نظر في النجوم يعني قتادة أنه نظر إلى السماء متفكرًا فيما يلهيهم به فقال ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾ أي ضعيف .
قال قتادة عن سعيد بن المسيب رأى نجمًا فقال ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾ كابد نبي الله عن دينه ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ﴾ ، وقال آخرون ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ﴾ بالنسبة إلى ما يستقبل يعني مرض الموت .
تفسير ابن كثير (١٣/٤) .

والجواب عنه قلنا : إن إبراهيم عليه السلام علم أنه يموت ، وكل من علم أنه يموت علم أنه سقيم[١] ، ويجوز كونه سقيمًا كما قال النبي ﷺ : (إن المؤمنين (. . . . . .)[٢] عن قلة أو ذلة) وأما زمن إدريس عليه السلام ، قلنا : ليس التدبير بالنجوم ولكن الله تعالى أخبرهم في كتابه أن نجم كذا إذا بلغ موضع كذا فاعلم أنه سيكون كذا وكذا[٣] ، فعرفوا ذلك بتعريف الله تعالى إياهم ثم نسخ من وقت سليمان عليه السلام حين غابت الشمس بعد ما دخل الليل فتشوش عليهم ذلك الحساب .

وقال عليه الصلاة والسلام : (إن لله تعالى (عادة جميلة)[٤] في تكذيب المنجمين) .

وقد قيل تكذيب المنجم كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار .

والدليل على بطلان علم النجوم قوله تعالى : ﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا

---

(١) قال سفيان في قوله ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ يعني طعين وكانوا يفرون من المطعون فأراد أن يخلو بآلهتهم ، وكذا قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ فقالوا له وهو في بيت آلهتهم : اخرج ، فقال : إني مطعون فتركوه مخافة الطاعون .
وقيل المراد ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ أي مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون الله تعالى ، وقال الحسن البصري : خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم فأرادوه على الخروج فاضطجع على ظهره وقال ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ وجعل ينظر في السماء ، فلما خرجوا أقبل على آلهتهم فكسرها .
المرجع السابق (١٣/٤) .

(٢) كلمة غير واضحة بالأصل .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) روى البخاري في كتاب التفسير ، تفسير سورة الحجر قال : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال : (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان) قال علي وقال غيره صفوان ينفذهم ذلك فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر ، ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض ، وربما قال سفيان حتى تنتهي إلى الأرض فتلقى على فم الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا ، يكون كذا وكذا فوجدناه حقًا للكلمة التي سمعت من السماء .
انظر تفسير ابن كثير (٥٦٤/٢) .

﴿خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[(١)] .

لأن العلم لا يحصل إلا بشيئين : إما بالمعاينة أو بخبر المخبر الصادق ، والنبي ﷺ ما أخبر عنها .

والناس في المعاينة كلهم سواء ، إلا أن بعض الناس وكلوا بآرائهم ، وخذلوا بعقولهم ، فضلوا ضلالاً بعيدًا ، وخسروا خسرانًا مبينًا[(٢)] .

وقد قيل : من اعتصم بماله قل ، ومن اعتصم بعقله ذل ، ومن اعتصم بربه جل .

قال أهل النجوم : والشمس والقمر والنجوم في السماء الرابعة .

وقال أهل السنة والجماعة ، وأهل التفسير : في السماء الدنيا .

يدل عليه قوله تعالى : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾[(٣)] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾[(٤)] .

---

(١) سورة الكهف (٥١) .
يقول تعالى هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني عبيد أمثالكم لا يملكون شيئًا ولا أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا كانوا إذ ذاك موجودين يقول تعالى أنا المستقل بخلق الأشياء كلها ومدبرها ومقدرها وحدي ليس معي في ذلك شريك ولا وزير ولا مشير ولا نظير .
المرجع السابق (٣/٩٢) .

(٢) في قوله تعالى : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض بزينة الكواكب ، قرئ بالإضافة وبالبدل وكلاهما بمعنى واحد فالكواكب السيارة والثوابت يثقب ضوؤها جرم السماء الشفاف فتضيء لأهل الأرض كما قال تبارك وتعالى : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ وقال عز جل : ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ .
تفسير ابن كثير (٤/ ٢ ، ٣) .

(٣) سورة الصافات (٦) .
انظر ما تقدم قبل هذا .

(٤) سورة الملك (٥) .
هي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ عاد الضمير في قوله وجعلناها على جنس المصابيح لا على عينها لأنه لا يرمى بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها والله أعلم .
وقوله تعالى : ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة الأخرى كما قال تعالى في أول الصافات : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ

وكذلك قوله تعالى في قصة ذي القرنين : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾[1] ، وهو لم يبلغ إلى السماء الرابعة .

والله الهادي إلى الصواب .

تمت الرسالة الموسومة بـ « بحر الكلام في
أصول الدين » لأبي المعين النسفي
تغمده الله برحمته ورضوانه
آمين
والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم
في وقت العشاء ليلة أحد في ١٨ شهر
ربيع أول سنة ١١٢٢ هـ

= ٱلْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ الآيات .
انظر تفسير ابن كثير (٣٩٦/٤) .

(١) سورة الكهف (٨٦) .
أي فسلك طريقًا حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب وهو مغرب الأرض وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمتعذر وما يذكره أصحاب القصص والأخبار من أنه سار في الأرض مدة والشمس تغرب من ورائه فشيء لا حقيقة له وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاف زنادقتهم وكذبهم ، وقوله ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه وهي لا تفارق الفلك الرابع الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه ، والحمية مشتقة على إحدى القراءتين من الحمأة وهي الطين كما قال تعالى : ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ أي طين أملس ، وقال ابن عباس وجدها تغرب في حين حامية يعني حارة وكذا قال الحسن البصري .
تفسير ابن كثير (١٠٥/٣) .

الخاتمة

تم بحمد الله وتوفيقه كتاب بحر الكلام للإمام أبي المعين النسفي رحمه الله وقد قمنا فيه بتخريج الآيات والأحاديث وكذلك الرد على الفرق والجماعات الإسلامية المختلفة والتي كان لها الأثر الكبير في إخراج كثير من الكتب التي قامت بالرد على هذه الفرق وتفنيد الآراء التي تخالف الكتاب والسنة وكذلك التأويلات التي كانت تخدم تلك العقائد وكان لعلماء الإسلام على مر الزمان جولات مشهودة في التصدي لهؤلاء الخارجين عن الإسلام ومنها هذا الكتاب الذي بين أيدينا والذي قام فيه مصنفه بالرد على تلك الفرق واعتمد على رأي أهل السنة والجماعة والموافق لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

المحقق

السيد يوسف أحمد

فهرس المحتويات

مقدمة التحقيق ٣

صور المخطوط ٩

مقدمة المصنف ١٣

فصل في المناظرة والجدل ١٥

فصل : العلم أفضل من العقل ١٦

فصل : الله تعالى خلق الخلق وأخرجهم من صلب آدم يوم الميثاق ٢٤

فصل : من لم يبلغه الوحي وهو عاقل ولم يعرف ربه ٢٩

فصل : من لم يعرف شرائط الإيمان هل يكون مؤمنًا أم لا ؟ ٣٠

فصل : أسماء الصفات على وجهين ٣٢

فصل : الموجودات على ضربين ٣٥

فصل : وصف الله تعالى بالمجيء والذهاب ٤٥

فصل : الاسم والمسمى واحد عند أهل السنة والجماعة ٦٩

فصل : الأرزاق مقسومة معلومة لا تزيد بتقوى المتقين ٧٢

فصل : قول المعتزلة : أفعال العباد كلها مخلوقات للعباد ٧٥

فصل : الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالقلب ٧٧

فصل : الإيمان لا يزيد ولا ينقص عند الإمام أبي حنيفة ٨٤

فصل : قول الخوارج : من ارتكب الكبيرة يكفر ٨٧

فصل : العبد مأخوذ بما قصد بقلبه نحو الزنى واللواطة ٩٢

فصل : قول الجهمية : الإيمان هو المعرفة بالقلب دون الإقرار باللسان ٩٣

فصل : قول المرجئة : إن الله تعالى خلق الخلق ونبيهم لم يأمرهم ولم ينهاهم ٩٤

فصل : قول المرجئة : إذا دخل أهل النار النار فإنهم يكونون في النار بلا عذاب كالحوت في الماء ٩٦
فصل : قول الجبرية : ليس للعبد استطاعة والعبد مجبور ٩٧
فصل : أطفال المشركين خدام أهل الجنة ١٠٠
فصل : المخاطبون على أربعة أصناف ١٠١
فصل : في معرفة نسل الشياطين ١٠٤
فصل : الغني أفضل من الفقير ١٠٥
فصل : قول القدرية : لا يفرض على العبد الاكتساب وطلب المال ١٠٩
فصل : قول المعتزلة والرافضة والجهمية : كرامات الأولياء باطلة ١١٥
فصل : قول المعتزلة : إن الشياطين ليس لهم عمل على بني آدم ١١٨
فصل : في إثبات الرسالة لما ثبت أن للعالم صانعًا قادرًا عالمًا حكيمًا ١٢٠
فصل : نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الآن هو رسول أم لا ١٢٤
فصل : قول المعتزلة : المعراج لم يكن ١٢٦
فصل : قول المعتزلة والمشبهة والشيعة : العرش هو الملك ، والكرسي هو القلم ١٣٠
فصل : قول المعتزلة : إذا أمر الله تعالى بالنفخة الأولى تفنى السموات ١٣٤
فصل : قول المعتزلة : الرضا والسخط ليسا من صفات الله تعالى ١٣٧
فصل : سؤال الجهمية : أن الله تعالى هل يعلم عدد أنفاس أهل الجنة ١٣٩
فصل : أول من ذهب وتكلم في مذهب الاعتزال ١٤٠
فصل : تفرق المعتزلة في الشفاعة ١٤٦
فصل : قول بعض المعتزلة والجهمية إن الله تعالى لم يخلق الجنة والنار بعد ١٥٥
فصل : خروج الأرواح من الأجساد ١٦٥
فصل : قول المعتزلة والخوارج : تحل دماء أهل القبلة إذا ارتكب الكبيرة ١٦٧
فصل : الإمامة ليست بمنصوصة لعلي ولا لأولاده ١٦٩
فصل : في بيان أن أفضل الصحابة أبو بكر ١٧٧
فصل : في ادعاء خلافة علي رضي الله عنه ١٧٩

فصل : قول الروافض بأن الوحي كان لعلي ١٨١
فصل : ادعاء الروافض بأن النبوة صارت ميراثًا لعلي ولأولاده ١٨٢
فصل : قول الروافض : الإمام القرآن الذي جمعه علي ١٨٤
فصل : جميع الكتب التي أنزلها الله تعالى على الأنبياء كلام الله ١٨٥
فصل : عدد الأنبياء عليهم السلام ١٨٧
فصل : ادعاء الروافض بأن عليًا وأصحابه يرجعون إلى الدنيا ١٨٨
فصل : قول الشيعة بأن الخمر ليس بحرام لكنه مكروه ١٨٩
فصل : قول اليهود : نسخ الشريعة لا يجوز ١٩٤
فصل : قول الروافض : بأن المتعة حلال ١٩٦
فصل : قول أهل الإباحة : إذا بلغ العبد في الحب غاية المحبة سقط عنه العبادة الظاهرة ١٩٧
فصل : قول أهل النجوم بأن أمور أهل الأرض متعلقة بالبروج ٢٠٥
الخاتمة ٢١٠
فهرس المحتويات ٢١١